وثائق أولى عن الثورة اليمنية

المشير عبدالله السلال   القاضي عبدالرحمن الأرياني   القاضي عبدالسلام صبره



مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء
دار الآداب - بيروت



وثائق أولى عن الثورة اليمنيّة

المشير عبدالله السلال

القاضي عبدالسلام صبره

القاضي عبدالرحمن الأرياني



مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء

دار الآداب - بيروت



الطبعة الثانية
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مقدمة

« قل لي من أنت ، أقل لك من تكون » . هذه العبارة التي - اذا صحّ أنها مأثورة - تلخص ببساطة المهمة الكبيرة التي يحاول مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ان يحقق ولو النزر اليسير منها . ولا نظن ان الذين يقللون - أو يجهلون حتى الآن - طبيعة المهمة التي يحاول المركز إنجازها قادرون على التقليل - أو جهل - فحوى العبارة الآنفة . ولأجل هؤلاء - خصوصاً - نعيد الى الأذهان ما سبق تكراره في بعض مقدمات كتب المركز ، وعلى الأخص في مقدمة كتاب « ثورة سبتمبر » ، ونؤكد على الأهمية الخاصة التي يحتلها تأريخ الحركة الوطنية اليمنية ، ومدى أهميته في تشكيل وجه حاضرنا المعاش .

وبمثل ما قد يقال ان معرفتنا لذواتنا هي الشرط الأساسي لانطلاقنا الى مستقبلنا ، كذلك يمكن القول ، وبالوتيرة نفسها تماماً ، إن تحقيق معرفتنا لذاتنا تبدأ من ذاتنا الوطنية ، نعني من تاريخنا الوطني الذي يضرب بجذوره إلى أعماق أعماق تاريخنا فوق تربة هذه الأرض .

لذلك لا غرابة اذا كان مركز الدراسات والبحوث اليمني قد أعطى قصب الأولوية في نشاطه توثيقاً ونشراً ، للحركة الوطنية اليمنية .غير أن اهتمامه بتاريخها المعاصر هو لمقتضيات الضرورة البحتة . . بسبب قربها الزمني ، وبسبب توفّر المصادر التي يحسن الإفادة منها قبل فواتها ، ونعني بذلك المعايشين لها من آبائنا ، وبسبب افتقادها لتاريخ مكتوب ، لأن التاريخ المكتوب للحكام من

الأئمة حاول إغفالها ، بل وتقصّد تزييف وجهها الحقيقي . لهذه الأسباب أعطى المركز الأولوية لحركتنا الوطنية المعاصرة ، وإلا فإن تاريخنا اليمني كلٌ واحد لا يتجزأ ، وحلقات متداخلة يصعب تجزئة بعضها عن بعض . تماماً كما هو الشأن بالنسبة « لسبتمبر » التي لا يمكن التأريخ لها إلا بالتأريخ لما سبقها ، كما لا يمكن التأريخ لحركة الأحرار إلا بالعودة إلى جذورها . . وهذه بما قبلها ، حتى تتكامل سلسلة الحلقة الواحدة .

وإذا كان التأريخ لحركتنا الوطنية يشكل صلب المهمة المحورية لمركز الدراسات ، فإن اهتمام المركز بها قد انعكس ، منذ تأسيسه قبل ست ـ أو سبع ـ سنوات ، بثمرة من الجهود ، التي وان كانت محدودة ، سواء على صعيد التوثيق أم على صعيد النشر ، فإنها مع ذلك جهود لا يمكن تقليلها حتى بمقاييس أولئك الذين يحاولون تقليلها عمداً . بل وحتى اذا غضضنا النظر عما حققته هذه الجهود على المستوى العملي ، فيكفي أن قضية التوثيق للحركة الوطنية ، قد تحوّلت إلى هاجس يشغل بال الجميع .

وحين نستعيد إلى أذهاننا الغياب شبه التام لهذه القضية قبل سنوات ، وما أخذت تحظى به من الاهتمام الواسع الذي يعبر عن نفسه بأشكال عديدة وكثيرة، نجد أن جزءاً من هذا التحوّل راجع بلا شك الى الدور الذي أسهم به المركز ، ولا سيما في الندوات الخاصة التي عقدها ، وفي ردود الفعل التي خلّفها نشر نقاشات بعض هذه الندوات .

وخلافاً للندوات السابقة التي قام المركز بعقدها في السنوات المنصرمة ، والتي غطّت جوانب مختلفة من جوانب تاريخ حركتناالوطنية ،رأى المركز الدعوة الى توثيق تاريخي شامل للحركة الوطنية ، يغطي تاريخ هذه الحركة منذ بداياتها في عشرينات وثلاثينات هذا القرن وحتى قيام ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ أو فك الحصار عن صنعاء عام ١٩٦٨ .

وقد حدد تاريخ ١٩ ـ ١٩٨٤/٥/٢٧ كموعد لافتتاح هذه الندوة التي انعقدت تحت رعاية الأخ رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة ، وما

تزال منعقدة ـ ضمناً ـ حتى هذا التاريخ ، بحكم أن عملية التجميع الوثائقي لم تستكمل واللجان المخصصة لم تنتهِ من أعمالها بعد . كما أن نشر نتائج العملية التوثيقية المزمعة لا يمكن التكهّن بموعده النهائي ولا بالشكل والحجم الذي قد يأخذه ، قبل أن يأخذ التوثيق وتحليل نتائجه أبعاده الكاملة .

ولذلك حتى تتكامل هذه العملية سيقوم المركز ما بين وقت وآخر بنشر بعض المواد التي يرى أن نشرها قد يحقّق فائدة ، حتى إذا اقتضى الأمر نشر بعض المواد كما هي ، دون تحليل أو مقارنة .

وبادئ ذي بدء ، رأى المركز نشر بعض المواد الخاصة بالإجابة على الاستمارة الأولى للمشاركين في ثورة ١٩٤٨ وانقلاب ١٩٥٥ ، والمتضمنة الردود على الأسئلة المرفقة . وبدأ بإجابات :

١ ـ المشير عبدالله السلال

٢ ـ القاضي عبدالرحمن الأرياني

٣ ـ القاضي عبد السلام صبرة

(صورة الأسئلة في الملحق بنهاية الكتاب)

الفصل الأول

إجابة المشير عبد الله السلال

رئيس الجمهورية الأسبق

- ١ -

بعد تخرجنا من الكلية العسكرية في بغداد عام ١٩٣٧ ووصولنا الى بلادنا، وبعد تلكؤ الامام يحيى في أمر جيشه والعمل الذي يُسند إلينا، شاهد جزءاً بسيطاً من تدريباتنا العسكرية التي قمنا بها على مرأى من الامام وولي عهده، وأبدينا فيها منتهى الانضباط والحماسة ونحن نرتدي البدلات العسكرية الموحدة ويحمل كل منا فوق كتفه الرتبة العسكرية وفي قبعته شارة السلاح الذي ينتسب اليه، وكانت هذه أموراً جديدة وغريبة لم يتعود الإمام والناس معه على رؤيتها منذ انسحاب الحكم التركي من اليمن وهو ما جعلهم يفكرون من وقتها كيف يفرقونا ويشتتونا، وكان من حسن حظّنا أنهم أسندوا هذا الأمر الى معلم الجيش وصفي بك، وهو سوري الجنسية، الذي حاول وبكل قوته وطاقته أن يغيّر من حالة الجيش الإمامي حتى استحال عليه ذلك وغادر اليمن مريضاً حيث وافاه الأجل بعد فترة قصيرة من وصوله الى وطنه وذهب ضحية محاولاته المتكررة لإصلاح الجيش.

أقول بعد أن أحالونا عليه، كشف لنا النّية المبيتة لدى المسئولين، وكيف أنهم ينوون تفريقنا وتمزيقنا وعدم تمكين أي فرد منا من تطبيق ما درسناه وتعملناه، ثم شكا لنا محاولاته الكثيرة للقيام بتنظيم الجيش الإمامي والمضايقات الكبيرة التي واجهته، ونصحنا بأن نتقبل الأمر الواقع.

على كل حال، بعد هذا صدرت الأوامر بتوزيعنا، وكان نصيبي أن أكون

مدرباً للعكفة، حرس الإمام يحيى،وهم من أولاد العشائر الذين لا ينتمون إلى الجيش النظامي ولا يعرفون من العسكرية أي شيء ، إلا ما تعلموه من الرماية على يد آبائهم بحكم العادة القبلية التي يتوارثها الابناء من الآباء وفوق هذا فهم لا ينضبطون ولا ينفذون أي أمر إلا إذا صدر من الإمام نفسه، وهنا أترك للقارىء تقدير موقفي وكيف ومن أين أبدأ تدريب هؤلاء ؟ ومع هذا فقد جرّبت نفسي معهم فترة قصيرة كنت خلالها أصحوا مبكراً كعادتي ، وأذهب الى ميدان التدريب ولا أجد الا بعض الأفراد ، وحين كنت أسألهم عن البقية كانوا يجيبون إنهم ما زالوا نائمين ، ثم أذهب مضطرا لإيقاظهم بنفسي ، ولكنهم يعتذرون بأنهم يحرسون الإمام طيلة الليل ولا يقدرون على التدريب . . . وهكذا فتر حماسي وعرفت من وقتها بأن المسألة لا تعدو أن تكون مهزلة وضياع وقت ، وقد تيقّنت من هذا عندما كنت أحضر مع هؤلاء الحراس « للمواجهة اليومية » وهي بضع ساعات من الصباح يستقبل فيها الإمام أصحاب الشكاوى والنذور التي يقدمها هؤلاء المساكين بنية شفاء أمراضهم ، وما كان يلاقي هؤلاء من عنت ونهب وإذلال واهانة من أفراد هذا الحرس ، بالاضافة الى من كان يطلق عليهم « المبلّغين » وهم الذين كانوا يبلغون الإمام برغبة هؤلاء المواطنين في تقديم شكاواهم ونذورهم اليه بعد أن يدفعوا الاتاوة المقررة لهم .

وفي هذه الفترة التي عشتها مدرباً للحرس والتي جعلتني قريباً من الإمام ، شاهدت وعرفت الإمام يحيى على حقيقته ، وكيف كان يستهين بالمواطنين ويستخف بعقولهم ، لا سيما عندما تقدَّم له النذور ممن كانوا يعتقدون فيه القداسة والبركة ويطلبون منه الدعوات المباركات بكل براءة ، ثم كيف كان يوزّع هذه الدعوات بقدر قيمة النذور ، وذلك بعد أن يتقمّص لباس الدجل والكهانة ويرفع يديه متمتماً بدعاء سرّيّ لا يعرف كنهه الا من أتقن الشعوذة والضحك على عقول البسطاء من الناس .

أما الأمر الثاني فهو مشاهدتي للمظالم الكثيرة التي كانت تتجسد في المناظر التي كنت أشاهدها عندما يحيل أصحاب الشكاوى الى كتابه وبطانته التي تحيط به ، وكيف كانت هذه البطانة تفترس بطريق الرشوة هؤلاء الذين

وصلوا من أماكن بعيدة يطلبون العدالة والإنصاف من العمال والحكام في الألوية والقضوات الذين استباحوا اموالهم وحقوقهم ، ثم يعودون وقد أجاب عليهم هؤلاء الكتّاب الى من يشكون بهم وذلك بعد أن يوقع الإمام على هذه الشكاوى ، دون أن يفكر بأن هؤلاء البؤساء إنما جاءوا من بلادهم البعيدة ليشكوا اليه منهم . اما السبب في هذا فان هؤلاء العمال والحكام مرتبطون برجال هذه الحاشية بواسطة ما يدفعون لهم من أتاوات موسمية وهدايا شهرية يأخذونها من أموال الناس المساكين وحقوقهم .

أما بقية أفراد البعثة فقد لاقوا نفس المصير الذي لاقيته ، ولم يتمكنوا من تقديم أي واجب باستثناء بعضهم ، فقد اندمجوا واستطاعوا ان يسايروا الوضع ويتحولوا الى جواسيس وأذناب لأمير الجيش وانتهت الى هنا مهمة أول بعثة عسكرية كان بإمكان أفرادها أن يعيدوا بناء الجيش ويرفعوا من كفاءاته الى مستوى الجيش العراقي وقتها .

أما بالنسبة لي فقد توجهت ومعي الأخ أحمد المروني والشهيد أحمد البراق للقيام بتدريس طلاب مدرسة الإصلاح ومدرسة الأيتام والإرشاد ، وذلك قبل افتتاح المدرسة المتوسطة والثانوية التي انتقل إليها الزملاء ، وقد وجدنا وقتها من سيف الإسلام عبدالله الذي كان وزيراً للمعارف تشجيعاً ، لكن هذا التشجيع قد جنى علينا فيما بعد ، وذلك عندما انتقلنا إلى وزارة المواصلات ، أنا والأخ أحمد المروني ، وعملنا في « طار الهواء » وهو جهاز لاسلكي عتيق لم يمكّنا المسئول من العمل عليه بصفتنا من سلاح الإشارة ، وهو من ضمن اختصاصنا . ولم يكتف بهذا بل كان ينقل اخبارنا إلى وزير المواصلات الأمير القاسم ابن الامام يحيى حينما كنا نتحدث عن نهضة العراق وحضارتها وقوة نظام جيشها ، وكيف تبدو مدينة بغداد وبقية البلاد العربية ونظافة مدنها وشوارعها المبلطة والمشجرة والمنورة بالكهرباء . وكان هذا حديثنا في المجالس والبيوت والأسواق ومع كل الإخوان الذين كنا نلتقي بهم ، ثم نقارن ذلك ببلادنا وما هي عليه من التعاسة والظلام والبؤس ، ونتمنى على الامام في قرارة نفوسنا أن ينهض بنا ويرتفع بمستواها إلى الدرجة التي شاهدناها في العراق وسوريا ولبنان ومصر وعدن التي كانت طريقنا في الذهاب إلى العرقق والعودة إلى اليمن .

هذا وقد كان للايطاليين في هذا الوقت نشاط كبير في بلادنا بواسطة الجالية الكبيرة التي كانت منتشرة في صنعاء وتعز والحديدة ، وذلك بعد أن استعمرت ايطاليا الحبشة وبدأ موسوليني يتأهب لاحتلال اليمن . وكانت قد بلغت البجاحة بأفراد هذه الجالية أن كانت ترفع الأعلام الايطالية على الدراجات التي كان أولادهم يركبون عليها . وفي يوم من الأيام شاهدنا هؤلاء الأولاد وهم واقفون بهذه الدراجات وهي تحمل الأعلام في باب دكان عوني العجمي في شرارا ، فتقدمنا من هذه الدراجات ونزعنا منها الأعلام ورميناها على الأرض ، الأمر الذي جعل الدكتور باسرا ، دكتور الإمام الخاص الإيطالي يعتبر هذا العمل إهانة كبيرة ، وشكا للإمام الذي أمر بمحاكمتنا لدى عامل صنعاء فضيلة السيد حسين عبد القادر . وكان المدعي علينا يحيى النهاري الذي كان يعتمد عليه الإمام ويثق به ، وكانت هذه الحادثة ، الى جانب ما سبق من أخبارنا بوصف الحياة في البلاد العربية فرصة ثمينة للإمام الذي وصفنا بالمارقين والخارجين على طاعته وانا بهذا ندبر فتنة بين اليمن وايطاليا ، قد مكّنته من أن ينتقم منا ، وما دام الغرماء أجانب فقد أشار عليه المرحوم القاضي محمد راغب وزير خارجيته بأنه يلزم محاكمتنا قبل إيداعنا السجن ، وبالرغم من أن الحق كان معنا وانتهت المحاكمة لصالحنا ، فان الإمام بواسطة ابنه القاسم أمر باعتقالنا في سجن القلعة بصنعاء، حبساً انفرادياً وبصورة تمثلت فيها القسوة والوحشية ، وهكذا تبخرت آمالنا التي كنا نحلم بها ونتمنى ونحن في العراق اليوم الذي ننتهي من دراستنا حتى نطبق كل ما تعلمناه لايجاد جيش يمني حديث .

هذا وقد قضينا في هذا السجن قرابة عام لا يرى بعضنا الآخر ، ولا نختلط الا بالمجرمين والقتلة وأصحاب السوابق . ومما يضاعف المأساة الكبيرة في هذا السجن وجود الرهائن من أبناء المشايخ والأعيان ومعظمهم من الأطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم العاشرة ، والذين يعيشون مع خليط من المساجين ، وكانوا في هذه السن المبكرة يرون المساجين وهم يحملون في أرجلهم القيود الثقيلة ويتلقون من حراسهم أنواع الذل والاهانة ، وكان بعض هؤلاء الرهائن يتساءلون ويستغربون وجودنا بينهم . وأذكر من هؤلاء الشيخ سنان أبو لحوم والشيخ علي

طريق وعلي عامر منيف وهم من رهائن نهم ومراد الذين ارتهنوا عن آبائهم المشايخ الذين قاموا وقتها بانتفاضة على حكم الإمام ، مما تسبب في القبض عليهم وأودعوا هذا السجن الرهيب مدة ، حتى قدّموا أولادهم رهائن للإمام وكان من هؤلاء المشايخ النقيب عبدالله أبو لحوم الذي سيأتي الحديث عنه في سجن نافع ، وكم كنا نسعد عندما يسألنا هؤلاء الرهائن عن أسباب حبسنا فنشرح لهم أن هذه هي إرادة الامام التي أوصلتهم وأوصلتنا الى هذا السجن دون أن نقترف أو يقترفوا أي جرم مثلنا . وكان بعضهم يقول إنه ليس الإمام ولكنها الحاشية ، ومردّ ذلك للعقيدة الراسخة عند الأباء الذين يشعرون بظلم الإمام ولكنهم يبرئونه ويحملون بطانته هذه المظالم وينسون في نفس الوقت بأنهم قد أعلنوا الفساد والخروج عليه .

ثم كان إطلاقنا بعد مراجعة الامام من بعض الخيّرين ، ولكنه لم يحرر الإطلاق إلا بعد أن تدحرجت سيارته التي كان يركب عليها بفعل السيل في منتزه وادي ظهر ونجا من الموت بأعجوبة ، وكان شقيقي علي وقتها يناشده إطلاق سراحنا ويظهر أن عزرائيل كان حاضراً وقتها وأن الامام رأى الموت بعينيه ، لأن الإمام هذا لا يهزّه أو يحرك فؤاده صوت مظلوم أو صرخة بريء ، وقد أسميت ابني الذي ولد يوم اطلاقي باسم شقيقي « علي » تيمناً بيوم الخلاص من السجن .

ثم عدنا بعدها للعمل في وزارة المواصلات للقيام بعمل البريد وختم الطوابع بحيث استمررت ومعي الأخ احمد المروني في هذه الوظيفة التي لم نكن نعرف عنها شيئاً، حتى وصول البعثة العراقية العسكرية حيث عدنا إلى الجيش ثانية لنتعاون مع أعضاء البعثة في تدريب وتعليم جنود الإشارة. وقد جاء تعييني بالجيش المظفر والأخ أحمد المروني بالجيش الدفاعي . أما الشهيد البراق فقد عاد مدرساً في المدرسة المتوسطة والثانوية التي فتحت بعدها ومعه الأستاذ زيد عنان والأستاذ احمد الحورش اللذان عادا من العراق بعدنا وعاد معهم أعضاء البعثة العسكرية اليمنية الثانية ، وهم المقدم الشهيد احمد يحيى الثلايا ، واللواء حمود الجائفي والمقدم احمد الحيمي والمقدم سلام

الرازحي والمقدم محمد عبد الولي الذين اشتركوا معنا ومع البعثة العراقية في تدريب وتعليم طلبة المدرسة الحربية وفوج النمونة والجيش الدفاعي وسلاح الاشارة .

وقد كانت هذه الفترة من أحسن الفترات التي قضيناها لأن البعثة العراقية اصطحبت معها الكثير من الأجهزة الحديثة التي تعلمنا عليها ، ولكننا ما كدنا نقطع شوطاً في التدريب والتعليم حتى صدر الأمر من الإمام ثانية باعتقالنا ومعنا هذه المرة الى جانب الشهيد أحمد البراق الأستاذ محيي الدين العنسي والأستاذ احمد الحورش والقاضي محمد الخالدي الذي تحمل من الضرب المبرح ما يستحق عليه التقدير والاعجاب . وقد سجن بتهمة نشر المنشورات التي وزعت حينها وفيها الهجوم والنقد الشديد للامام وظلمه وإرهابه ، ثم بعد عشرة أيام من استجوابه وضربه ، فوجئنا في اليوم الحادي عشر بحراس السجن يستدعونه بعد صلاة الفجر واغلقوا يديه « بالمغلقة » وهي نوع من أدوات التعذيب التي كانت تستخدم أيام الإمام ، ثم اقتادوه الى سجن وشحه المخيف ، وهو من السجون المشهورة ولا يودع فيه الا من غضب عليه الأئمة ، وفكروا في القضاء عليه ، هذا وقد سبق الى نفس السجن الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري وفضيلة محمد بن قاسم أبو طالب الخطيب حيث قضيا عاما كاملاً ، وذلك بسبب خطبهما التي كانا يطالبان فيها الإمام بالاصلاح ويشرحان له حالة الناس وما وصلوا اليه من البؤس والفقر والتعاسة ، وكان لا ينفع مع هذا الإمام الذي تحجّر قلبه وماتت عواطفه وتبلّد شعوره غير النهاية التي انتهى بها في اليوم الأول من ثورة عام ١٩٤٨ م حيث اغتالته جماعة مؤمنة من القبائل كما سيأتي شرح ذلك ان شاء الله .

اما نحن فقد قضينا فترة السجن الثانية التي استمرت عدة شهور في متابعة الأحداث التي كانت تتطور يوما بعد يوم وتكثر فيها المنشورات التي تشرح الحالة الكئيبة التي يعاني منها المواطنون ، وتهاجم الطاغية الذي استأثر بكل شيء لنفسه ولأسرته وحاشيته ، وترك هؤلاء المواطنين يتجرّعون الموت الذي انتشر في معظم المناطق اليمنية ، ولا سيما منطقة تهامة وحجة والمحويت ا التي

كان سكانها يفدون الى العاصمة صنعاء يستغيثون بالإمام ويطلبون نجدته ليعطيهم من حقوقهم المخزونة واموالهم المكنوزة في قصوره بدار السعادة والشكر ، والتي كان يسميها بحقوق بيت المال التي اغتصبها لنفسه واكتنزها لأسرته وأولاده . بينما كان المئات من أبناء الشعب يتساقطون في كل يوم وهم يئنون من الجوع .

وكانت هذه الفترة من أشد الفترات بؤساً وظلاماً على شعبنا ، حيث انقطعت فيها الأمطار وعمّ الجدب والقحط البلاد بأسرها ، وفي وقت كانت الحرب العالمية الثانية قد أعلنت وانقطعت اليمن عن الدنيا فيما عدا عدن واسمره وجيبوتي ، والتي أضحت سوقاً لأولاد الامام وبطانته حيث توزّعوا على هذه المناطق وحولوها الى أسواق يصدرون اليها قوت الشعب اليمني من طعام وسمن وفاكهة وأغذية بواسطة وكلائهم الذين يستقبلون هذه البضائع الرابحة ويبيعونها بأغلى الأسعار . وما إن إنتهت الحرب حتى كانت خزائن هؤلاء قد امتلأت على حساب الضحايا الذين فارقوا الحياة وهم يلعنون هؤلاء الطغاة .

وفي يوم إطلاقنا من السجن للمرة الثانية ، ذهبنا ثلاثتنا ، انا والأستاذ الشهيد احمد البراق والأخ أحمد المروني ، لمراجعة الإمام في إعادتنا الى وظائفنا وإعادة رواتبنا التي انقطعت مدة سجننا . وبينما كنا بين يديه إذا برزمة كبيرة من المنشورات تقع من الجدار الواقع بين مسجد حجر ودار الشكر الى وسط الحلقة التي يلتفّ الحرس فيها حول الإمام لحراسته . وقد سارع بعض الحاضرين لالتقاطها وسلّمها للطاغية الذي أخفاها ، ولم يكن احد يعلم بهذه المنشورات غيرنا . اما الذي رمى هذه المنشورات فهو الأخ المناضل علي أحمد عامر الذي كان أنشط وأجرأ من يتولّون هذه المهمة ، اما الشخص الأخر فهو الأخ محمد الفسيل تلميذ الأستاذ الشهيد احمد الحورش والذي كان يكلفه بوضع المنشورات التي كانت تكتب في السجن في مناطق معروفة من أسواق صنعاء وشوارعها ، ومن هؤلاء الذين كنا نكلّفهم بتوزيع هذه المنشورات المقدم احمد الجرموزي والمقدم حسين عنبه وعباس بن زيد الديلمي وغيرهم من تلاميذنا الذين كنا نعتمد عليهم في توزيعها .

هذا وقد عدنا الى وظائفنا السابقة ، وتسلّمت من النقيب عبد القادر الكاظمي ، أحد أعضاء البعثة العسكرية العراقية ، مدرسة الإشارة وتوليت إدارتها، ثم كلفت أيضاً بتدريس بعض المواد العسكرية في المدرسة الحربية التي كان يديرها العقيد محمد شوقي ، وهو من الضباط الأتراك الذين فضلوا البقاء في بلادنا ، وكان رجلاً عسكرياً منضبطاً واشتهر بالاضافة الى ذلك بالعفة والنزاهة ، وكان هذا عند رحيل البعثة العسكرية العراقية وعودتها الى بلادها حيث غادرت بلادنا مودعة بالتقدير والتكريم من جميع الضباط الوطنيين . وقد تأخر عن العزم أحد أفرادها وهو الرئيس جمال جميل الذي قام بتدريب لواء المدفعية الذي كان قائده العميد حمود رشدي وهو من الضباط اليمنيين الذين تعلموا في تركيا ، وكانت عنده نزعة عسكرية قوية ، أما سبب تأخر الرئيس جمال جميل فهي لظروف سياسية خاصة به وقد شرحتها في مذكراتي وسبق شرحها في كتابنا « ثورة ١٩٤٨ » .

باشرت عملي مع تلاميذي طلبة مدرسة الإشارة ، واستمرت ومعي زميل الدراسة في بغداد المقدم أحمد الحيمي الذي توزعت معه الدروس وبقية الواجبات ، وكان مثال الضابط الوطني المخلص ، ويتعاطف معنا ويشاركنا الغضب والكراهية للنظام الإمامي المهترىء ، الى جانب الأخ حسن العمري والأخ محمدمصلح الربدي اللذين ظلا على عهدهما ووطنيتهما ، وكانت تجمعنا الأيام فنستعيد فيها ذكرياتنا في العراق ونتحسر ونتأسف على الحالة التي كان يعانيها شعبنا . ومن الأشخاص الذين ظلوا على عهدهم ولم يشرفوا سجون الإمامة الأستاذ زيد عنان والأخ المقدم محمد حجر والمقدم سلام الرازحي الذي أخذ نصيبه من السجن في تعز وخرج منه أكثر قوة ووطنية ، والمقدم محمد عبد الولي ، اما اللواء حمود الجائفي الذي شاركنا مراحل النضال ، والمقدم البطل الشهيد احمد يحي الثلايا فانهما سلما من السجن في هذه المرحلة ، وسوف يأتي الحديث عنهما في محله ، وهما من زملائنا الضباط الذين شاركوا البعثة العسكرية العراقية في كل الواجبات ، واما الأخ المقدم احمد المروني فقد عاد الى الجيش الدفاعي واستمر في اداء واجبه .

وكانت عودتنا إلى الجيش فرصة كبيرة حيث قمنا الى جانب إلقاء الدروس العسكرية بالتوعية وشرح الأوضاع السيئة التي تعيشها بلادنا ، وبث الروح الوطنية في تلاميذنا الذين تأثروا بنا وتأثر معهم طلبة المدرسة الحربية والضباط الشباب الذين تخرجوا من هذه المدرسة أيام وجود البعثة العراقية . وأتذكر من هؤلاء المقدم علي العرشي والمقدم حسين عنبه والمقدم أحمد الجرموزي والمقدم احمد الشدادي والمقدم عبدالباري جمعان ومحمد المغربي وصالح الداعري والمقدم لطف العرشي والمقدم عبدالله بركات والمقدم حسين الدفعي وأخاه الشهيد النقيب احمد الدفعي والمقدم الشهيد حسين الجباتي والمقدم علي عنقاد والمقدم حسين جياش والمقدم عبد الرحمن الترزي والمقدم يحي النهمي والمقدم حسين الغفاري والمقدم محمد علي الأكوع والمقدم علي الربيدي والشهيد النقيب أحمد معصار والمقدم عبدالله الضبي . والمقدم شرف المروني والمقدم محمد المغربي وغيرهم الكثير ممن سنوضح أسماءهم وأدوارهم الوطنية في مذكراتي .

وفي ذلك الوقت تشكلت جمعية الأحرار اليمنيين بعدن بزعامة الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبيري والأستاذ الكبير أحمد محمد نعمان ، وأصدروا صحيفتهم « صوت اليمن » التي تولى رئاسة تحريرها الأستاذ الزبيري رحمه الله، واتفق صدورها في وقت كان الأستاذان الشهيد أحمد الحورش والأستاذ محي الدين العنسي قد وصلا الى مصر بعد فرارهما إثر إطلاق سراحهما من السجن ومعهما الأستاذ محمد المسمري ويحي زبارة ويحي الوادعي ، وقد بدأوا العمل الوطني هناك بالاتصال بجماعة الإخوان المسلمين بزعامة الشهيد حسن البنا ، وكان الهدف الرئيسي هو بث الوعي وتحرير المقالات في الصحف التي كانت تفضح نظام الإمامة المتخلف والمتحجر ونشرح العزلة الرهيبة والسجن الكبير الذي كان يعيش فيه الشعب اليمني . ومن هذه الجرائد جريدة الشباب التي كان يتولى تحريرها محمد علي الطاهر ومجلة الرابطة العربية ، ثم أصدروا بعد ذلك جريدة « الصداقة » التي كانت تصل ومعها جريدة « صوت اليمن » التي كانت تصدر في عدن وتصل من البيضاء

بواسطة المجاهد الكبير محمد حسن غالب الى اخيه مجاهد حسن غالب في وقت تنامى فيه الوعي الوطني عند قطاع كبير من العسكريين والمدنيين . وكنا نقوم ومعنا الكثير من تلاميذنا الضباط ، ومنهم المقدم حسين الدفعي والمقدم الجرموزي والشهيد أحمد الدفعي والمقدم حسين عنبة والمقدم علي العرشي وبعض الزملاء المدنيين وبعض طلبة المدارس ، بتوزيع هذه الصحف والكتيبات والمنشورات على المواطنين والمسئولين بصورة علنية وسرية . وكان لهذا النشاط الذي كان يتضاعف في كل يوم صدىً كبيراً لدى الطاغية وأسرته وحاشيته الذين بدأوا يتوقعون النهاية المحتومة ، ولا سيما بعدما شعروا بأن بعض الشخصيات الكبيرة التي كانوا يعتمدون عليها قد بدأت تسحب نفسها وتنتقد الأوضاع وتحاول بكل الصور تقديم النصائح للطاغية بأن يغير من طبيعته الاستبدادية المتحجرة ، ويبدأ الاصلاح قبل أن يفلت الزمام . ولكنى أنّى لهذا الطاغية الذي بلغ أرذل العمر أن يغيّر أو يصلح شيئاً وهو الذي أفسد الحياة وقضى على كل أمل في الاصلاح . ثم جاء انضمام سيف الحق ابراهيم ابن الامام يحيى ومعه الأستاذ أحمد البراق الى صفوف الأحرار ضربة قاضية للطاغية حيث جاء الشاهد على فساد الأوضاع من ابنه وأحب الناس إليه . وفي الرسائل التي كان يحررها سيق الحق لوالده أعظم دليل على أن هذا الإمام الذي نُحت قلبه من الصحر لا يمكن أن يغيّر من طبيعته الاستبدادية ونهجه الإجرامي حتى لو جاء في هذه الرسائل ما يبقي على ملكه ويحفظ الأسرة المالكة من العاقبة الوخيمة التي كانت تنتظر أفرادها . ذلك أن الطاغية الذي قال قولته المشهورة : « نحن الدهر من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع » لا يمكن أن يهتدي الى طريق الخير أو يسعد شعباً كان يعتبره جماعة من العبيد .

وهكذا تنامى الوعي وانتشر السخط وبلغت الحالة بالناس في المدن درجة جعلتهم يتلفتون الى الأحرار وينتظرون الساعة التي يتخلصون فيها من الكابوس الرهيب . وقد كانت غلطة الأحرار الكبرى أنهم اعتمدوا على هذا السخط وما كانوا يسمعونه من شكوى وأنين في المدن فأهملوا الريف الذي كان يعتبر قاعدة الأئمة وجيشهم الضارب ، ولا يغير من هذا استقطاب بعض المشايخ الوطنيين

الذين انضموا إلى الأحرار بل بدأ بعضهم التمرد والخروج على الامام قبل أن يأتي بعض من انضم من هؤلاء إلى الأحرار وقد شرحت هذا في مذكراتي . ولا يفوتني أن أنوّه بالمناضل شايف محمد سعيد الذي كان له الدور الكبير في مساعدة سيف الحق ابراهيم حينما قرر الإنضمام إلى صفوف الأحرار بعدن ، وقد بقي هذا المناضل مرتبطاً بالأحرار وقائماً بواجبه الوطني حتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) المجيدة .

ولأنه سبق وأن قلت بأن الجهل المطبق والأمية المتفشية في الريف الى جانب الدجل والتضليل والكهانة التي كان أعوان الإمام يبثّونها وينشطون في نشرها بين هؤلاء البسطاء قد جعلتهم يقدسون الإمام ويعتبرونه على صلة بالجن والعفاريت التي تنقل أخبارهم إليه ، ومن هنا انعدم الوعي وعمّت الجهالة وانعزل الريف وبقي على عهده القديم ومعتقداته التي تمثّل العصور الساحقة ، وبالرغم من النشاط الوطني الذي تضاعف في الداخل والخارج بعد انضمام سيف الحق الى الجمعية اليمنية ومضاعفة نشاطها بعدن وبرغم توافد الكثير من الأحرار إليها ومنهم الشيخ المناضل مطيع دماج والشيخ محمد ناجي القوسي والأستاذ محمد الفسيل والنقيب عبدالله بن حسين أبوراس والنقيب محمد بن حسن أبوراس والمناضل الكبير الشهيد زيد الموشكي والأخ أحمد محمد الشامي والأستاذ هاشم طالب ، ومن انضم اليهم في عدن من امثال المناضل الكبير الشيخ محمد علي الأسودي والمناضل الشيخ عبدالله الدحان والمناضل سلام ثابت والمناضل محمد أحمد شعلان وغيرهم من الذين بذلوا الأموال بسخاء ووضعوا كل ما يملكون تحت تصرف أقطاب الجمعية .

ثم برز في هذا الوقت المناضل الشهيد الشيخ عبدالله الحكيمي الذي كان يعيش في كارديف في بريطانيا وكان رئيساً للجالية اليمنية هناك حيث كان له الفضل في انضمام الكثير منهم لحزب الأحرار بعدن ، وتقديم العون ببذل أموالهم في سبيل الكفاح والجهاد وخلاص اليمن من الكابوس الجاثم على ابنائها . ثم بعد هذا اصدر الشهيد الحكيمي جريدة « السلام » التي انضمت الى ما سبقها من الجرائد ، وهنا التحم المناضلون في المهجر وعدن وصنعاء وتعز والحديدة وبقية المدن اليمنية حيث تهيأ الجو لعقد كثير من اللقاءات بين

المناضلين والأحرار والبحث في سبيل الخلاص من الإمام وأسرته .

وتبادل الأحرار الرأي في الداخل والخارج وكانت وجهات نظرهم مختلفة في طريقة الخلاص من هذا الحكم البغيض حتى وصل إلى اليمن المجاهد الكبير الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي اقتنع بعد زيارته للإمام وولي عهده واتصاله بالأحرار اليمنيين في الداخل والخارج بأنه لا حياة لليمن وشعبه الا باستئصال النظام من جذوره ، كما كان ينادي الأحرار ، لأن كل النصائح التي بذلها المصلحون اليمنيون وكرروها على مسامع الإمام بالإضافة الى تجربة بعض الاحرار وفي مقدمتهم الأستاذ الكبير الشهيد محمد محمود الزبيري والأستاذ الكبير أحمد محمد نعمان مع ولي عهده السيف احمد قد اقنعت الجميع بأنه لا يُرجى أي خير أو أمل في هذه الأسرة ، ولا سيما وقد جرّب الأستاذ الفضيل هذا الأسلوب بعد أن قدم لهما النصائح الجريئة والصريحة التي لم تُجْدِ أي نفع ، وكان أول ما فكر فيه « الفضيل » العمل على تشكيل شركة تجارية لتغطية النشاط الوطني مكوّنة من التجار المستنيرين والتي تشكلت برئاسة المناضل الشهيد علي محمد السنيدار الذي بقي على عهده ووطنيته وإخلاصه حتى استشهد في ثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة وهو يؤدي واجبه .

وقد استقرّ الرأي على أن يكون مقرّ هذه الشركة بسوق الملح ، وتحت اسم هذه الشركة بدأت الاجتماعات بين الفضيل والأخ أحمد محمد الشامي وبين الشهيد الخادم الوجيه والمناضل الكبير احمد المطاع والحاج عبدالله حسن السنيدار والمناضل الحاج محمد صالح السنيدار والشهيد عبدالله بن علي الوزير وغيرهم من الأحرار ، ثم تطوّرت هذه الاجتماعات واتسعت لتشمل العسكريين الذين شكلوا خليّة برئاسة الرئيس جمال جميل العراقي ، وبدأ التخطيط للقيام بثورة تنهي حكم أسرة بيت حميد الدين ويقوم على أنقاضه حكم دستوري شوروي ديمقراطي برئاسة الإمام عبدالله بن أحمد الوزير الذي تم اختياره من الجميع ، وذلك بعد وفاة الطاغية يحيى الذي تناوبته الأمراض ودبّت فيه الشيخوخة وأقعده العجز بعد أن اقترف من المظالم والجور والعسف والاستبداد ما جعل الكثير من الأحرار والوطنيين يطالبون بإعدامه ، خوفاً من أن يتحمل

شعبنا عار وفاته على فراشه ، وهذا ما كان يديره القدر حيث انكشف المخطّط الذي اتفق الثوّار عليه ، وذلك حينما وصلت برقية الى الأحرار بعدن تنعي الطاغية يحيى الذي قيل بأنه قتل على يد الشيخ علي ناصر القردعي وجماعته مما دفع الأحرار الى اعلان الخبر من عدن والقاهرة ، ونشرت الجرائد المخطط كاملاً ، الأمر الذي جعل الطاغية يستدعي أحمد ولي عهده للتشاور في القضاء على الإمام عبدالله الوزير وجميع الأحرار المشاركين ، ولكن الطاغية احمد الذي كان يعرف سير المخطّط بواسطة أعوانه المندسّين بين الأحرار كان يتمنّى القضاء على أبيه حتى يلبس قميص عثمان ويطالب بدمه ، لأنه كان يعرف قوة عبدالله الوزير وعزيمة الأحرار من حوله والعلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بالملك عبد العزيز آل سعود الذي تعاهد معه بأنه سيقف بجانبه بعد وفاة الإمام يحيى لأنه كان لا يطمئن الى ولي العهد احمد الذي اتهمه بتدبير مؤامرة اغتياله .

وكما واصل الأحرار اجتماعاتهم ومشاوراتهم قبل أن تنكشف المؤامرة ، فقد واصل هذه الاجتماعات المدنيّون منهم في بيت الشهيد عبدالله بن علي الوزير وبيت الشهيد حسين الكبسي ومعهم الفضيل الورتلاني ، والعسكريون في بيتي ومعنا الرئيس جمال جميل . وهكذا حتى تم الاتفاق بين الجميع على القيام باغتيال الطاغية يحيى بواسطة المشايخ الأبطال وهم : الشيخ علي ناصر القردعي والشيخ محمد قائد الحسيني وحسين الحسيني وعلي سنهوب وعلي العتمي ومحمد ريحان الذي تولى قيادة سيارة الأبطال ومصلح محسن هارون والعنجة .

اما نحن العسكريين فقد واصلنا الاجتماعات في بيتي الكائن بحارة ياسر ، وكانت تقتصر على رؤساء الأقسام (بما يعرف الآن برؤساء الخلايا) وهم : المقدم مجاهد حسن غالب والمقدم حسين عنبه والمقدم أحمد المروني والعقيد أحمد ناصر الشعاني والمقدم محمد ملهي السعيدي والمقدم احمد المقعش وأنا . وكان يرأس هذه الجلسات الرئيس جمال جميل الذي ظل يترأس الجلسات حتى ليلة الثورة والتي امتدّت قرابة شهرين حيث اتفقنا على الخطة وتوزيع الواجبات التي نفذناها في اليوم التالي بحذافيرها بل زدنا عليها . فقد

قمت نيابة عن المقدم محمد ملهي السعيدي بقيادة الجيش المظفر واحتلال دار السعادة حيث كنت مكلفاً فقط بالقيام بقطع سلك التلغراف الذي قام به ثلاثة من تلاميذي في سلك الاشارة وهم : المرحوم الرقيب أحمد الشدادي والمقدم عبد الباري جمعان والمقدم محمد الحيمي ، واحتلال وزارة المواصلات الذي قمت باحتلالها ، وقد حصل بعض التأخير من المسئولين الرئيسيين ـ وسوف أوضح ذلك في مذكراتي ـ وكان يتعاون معنا في هذه الفترة بعض الأبناء الوطنيين أمثال : المقدم طه مصطفى والمقدم محمد الشاطبي والمقدم عبد الكريم الغسالي . أما ما حدث بعد هذا وقبله بالتفصيل فقد سبق شرحه في كتابنا « ثورة ١٩٤٨ » ، ولكن الذي يهمني هو العودة الى المآسي والجرائم البشعة التي اقترفها بعض أبناء الطاغية يحى عندما أباح الطاغية احمد نهب صنعاء للجيوش التي ناصرته ووقفت بجانبه ، وذلك بعد فشل الثورة وسقوط صنعاء لأن هذه المأساة تعيد الى ذهني مأساة بغداد حين غزاها هولاكو وجيش التتار ، هذا ومهما أوتي البليغ والفصيح من حسن البلاغة وقوة الفصاحة فانه لا يستطيع ان يصور تلك المآسي الأليمة التي إن دلت على شيء فإنها تدل على أن هؤلاء الطغاة كانت طباعهم وأمزجتهم أقرب الى الوحوش المفترسة منها الى بني الانسان .

ومن شاهد تلك الأيام السوداء وما أصاب الأطفال والنساء والعجزة وكيف أن هؤلاء الوحوش كانوا لا يفرقون بين هؤلاء الضعفاء وبين من حاولوا إنقاذهم من هذه الأهوال التي عمّت الجميع وأحرقت بنارها المنقذ والبريء يصاب بالذهول ، أما أنا ، ومعي الشهيد الأستاذ احمد البراق رحمه الله ، فاننا بعد فشل الثورة قد صادفنا ونحن في طريقنا للبحث عن مأوى نختبيء فيه القاضي علي السمان وزير العدل حالياً الذي اصطحبنا معه الى بيته ، وكان مع زملائه من طلبة المدرسة العلمية الذين كان يرأسهم الأستاذ حسين المقبلي قد قاموا بواجبات كثيرة مع الثورة وشاركوا في الدفاع عنها . ولكن ما كاد الصباح يكشف عن نوره حتى اكتشفنا في مخبأنا مجموعة كبيرة من اصحاب بير العزب فاقتحموا علينا البيت وهاجمونا (بالصّمل الغليظة والعصيّ) وبدأوا يضربوننا بوحشية وهم

يخاطبوننا « يا قتلة الامام سوف نعذبكم حتى تلفظوا أنفاسكم » وهكذا واصلوا ضربنا ثم اقتادونا بعدها الى بيت الأمير على الوزير حيث كان الشيخ الصوفي وقبائله يحتلون البيت ، ثم قادونا إلى حبس الرادع اما الضرب الوحشي فإني والله لا أزال أعاني منه الى الآن ، وسامح الله هؤلاء الوحوش الذين لم ينلهم أي سوء مني ، وكنت على قمة المسئولية وبمقدوري معاقبتهم ، ولكنهم من جهلهم وغبائهم كانوا يعتبرون الطاغية يحى نصف إلّه ، فكيف وقد تحطم هذا الصنم الذي عبده أمثال هؤلاء العميان فتهاوى أمام اعينهم . لقد كانت ردة الفعل عنيفة ضدنا وفي منتهى الوحشية والقسوة .

وقد تم اقتيادنا الى سجن نافع الرهيب في حجة في موكب تجمّعت فيه الشياطين من بني البشر وأنصار الطغاة والطغيان الذين كانوا يتسابقون على قذفنا بكل ما صادفت أيديهم ومنها القاذورات على طول الطريق من صنعاء الى حجة ، وهم يهتفون ضدنا مستخدمين أقذع الشتائم التي تعلّموها من الطغيان الحميدي الذي مسخ الإنسان اليمني وحوّله الى ذئب مفترس ، وكان أسبقهم الى أذيّتنا أهل صنعاء الذين اعتقدوا بأننا كنا السبب فيما أصابهم وأصاب مدينتهم من المآسي المهولة . أما العذاب الذي نزل بنا ومن سبقنا ومن لحق بنا من الأحرار الى سجن نافع الرهيب فسوف أحاول شرح جزء منه في مذكراتي . إلا أنني لا أستطيع نسيان « الدرداح » المنوّع وتأثير « المغالق » والقيود الثقيلة التي حملناها في أيدينا وأرجلنا والتي ما زلنا نعاني منها الى الآن .

نزلنا بهذا السجن الرهيب الذي سبقنا اليه الأحرار الأستاذ المرحوم قاسم غالب والسيد محمد على المطاع والشيخ نعمان محمد نعمان والشيخ صالح المقالح الذي قضى مع هذه الكوكبة من الأحرار ثلاثة عشر عاماً في هذا السجن الرهيب ، وكان قبلها قد قضى السنين الطويلة في سجن القلعة حيث سبق وان التقينا به حينما اتفق مع الدباغ من أبناء شطرنا الجنوبي على اعلان ثورة ضد الطاغية يحى في المناطق الشرقية الجنوبية ، ثم عندما استطاع ان يؤثر على أحد أولاد الإمام يحى وهو الأمير اسماعيل ليلحق بأخيه سيف الحق ابراهيم الى عدن للانضمام للأحرار ، ولكنهما فشلا في الفرار وقبض عليهما في بلاد خولان

ثم أودع الشيخ صالح السجن ثانية ، وسيأتي شرح هذه القضية الغريبة مفصلة في مذكراتي ان شاء الله ـ وكان قد سبق الى سجن نافع المشايخ الذين قادوا معركة الجيش النظامي والقبلي بقيادة محمد بن محمد الوزير في شبام وبعد فشلها ألقي القبض عليهم وأرسلوا الى سجن نافع وهم : الشيخ عبدالله أبو لحوم والشيخ الأعوج والشليف والشيخ عبد الولي الذهب .

وفور وصولنا الى السجن أضافوا قيوداً على القيود التي حملناها من صنعاء . وكان السجن عبارة عن مغارة تحت الأرض تحيط بها بعض الأماكن ، ومنها المكانان اللذان سجن فيهما ثمانمائة من مشايخ الزرانيق الذين قضوا نحبهم فيما عدا واحداً منهم بقي على قيد الحياة اسمه سالم درويش . اما سبب وفاة هؤلاء الأبطال فهي الجراثيم والمكروبات الكثيرة التي كانت تنبعث من المجاري التي تصبّ الى هذين المكانين من مراحيض السجن ، وفي هذين المكانين الموحشين المليئين برائحة الموت والروائح الكريهة نزلنا وعشنا الأيام الطويلة . ولكننا وفينا العالم والأديب والضابط المثقف استطعنا إقناع زبانية السجن بالرشوة على تنظيف هذه المراحيض وتحويل مجراها الى خارج السجن ، الى جانب أننا كنّا مستعدّين جميعا للموت الذي كان يزورنا كل يوم بواسطة البرقيات التي كان يرسلها الطاغية احمد إلى نائبه بحجة بإعدام زملائنا والذين كنا نتسابق معهم الى الموت بصورة فدائية اذهلت كل من كان يشاهد هؤلاء الأبطال وهم في ساحة الإعدام والجلادون يتسابقون على تعذيبهم وهم يستشهدون بالأيات الكريمة والحكم والأشعار الوطنية . وكان من بين الوسائل والأساليب الشيطانية التي كان الطاغية واذنابه يستعملونها مع المساجين الزيارة المباغتة في منتصف الليل لنقل سجين أو أكثر الى أماكن مجهولة ثم يختلقون روايات لزبانيتهم توهم من بقي في السجن بأن هذا المخطوف أو المنقول قد قضي عليه بصورة مرعبة ، أو يستدعون أحد الاحرار في الوقت الذي يجهز زبانيتهم لمذبحة جديدة . وكنت ممن دعي الى هذه المذبحة مرة عندما أعدم الشهداء أحمد الحورش ومحي الدين العنسي وحسين الكبسي والشيخ محمد المسمري واقتادني الجلاد حتى باب السجن حيث شاهدت هؤلاء الشهداء وقد

أوثقوا رباطهم وجهزوهم للاعدام ، ثم بعدها قال لي الجلاد : «عُدْ فالمسألة فيها غلط » فقلت : « حتى في الموت تغلطون أيها القساة ؟ » . والمرة الثانية تكررت معي هذه الوسيلة الارهابية المخيفة ، وكانت في مناسبة أول عيد للنصر كما كانوا يسمونها ، وكان معي هذه المرة الفريق حسن العمري والمقدم غالب الشرعي حيث استدعانا الزبانية وغيبونا لمدة ثلاثة أيام كنا خلالها نشاهد الموت في كل يوم . ثم في اليوم الرابع الذي صادف يوم الجمعة استدعانا الزبانية في الوقت المحدد الذي صادف الإعدامات والذي يدعى فيه الشهداء للموت، بعد أن توضّأنا واستقبلنا القبلة وأدينا الصلاة الأخيرة، ثم اقتادونا في الوقت الذي كانت موسيقى الجيش تعزف ألحان الموت، وبعدها أعادونا ثانية إلى السجن ولكن بعد أن شاهدت كما يعلم الله كيف يستقبل الشهيد الموت وموجة من النور السماوي تحيط به من كل جانب .

وهكذا مضت بنا الأيام ثقيلة لم نكن فيها أحياء نشعر بنبض الحياة في عروقنا ، ولا أمواتاً يشعرون بطعم الراحة الأبدية في جنة الخلد مع من سبقنا من الشهداء والصدّيقين . وظللنا بهذا السجن الرهيب الذي بنته الشياطين حتى ارتوى السفّاح والطاغية احمد من دماء الأحرار في حجة وتعز وصنعاء ، وسوف أتوسع في هذا الفصل في مذكراتي ، إلا أني أحبّ أن أنوّه بمناضل مجهول هو الشيخ أمين عبد الواسع نعمان الذي استطاع بهدوئه ورزانته ووطنيته أن يفتح لنا نافذة من الأمل في هذا الجب المظلم الذي كنا نعيش فيه والمسمى بسجن نافع . اما هذه النافذة التي فتحها لنا فهو البريد اليومي الذي كان يصلنا بالعالم الخارجي ويحمل لنا الأخبار وبعض الصحف ومنها « صوت اليمن » التي كنا نعرف من خلال قراءتها كل ما يدور حولنا ، هذا الى جانب الرسائل التي كنا نتبادلها مع الإخوان المعتقلين في سجن المنصورة والقاهرة . ولولا موهبة هذا المناضل والبسمة التي لم تكن تفارق شفتيه والأسلوب الناعم الرقيق الذي كان يستعمله مع حراس السجن وزبانيته ، لما أمكن أن نعرف عن الحياة شيئاً .

وكان الملل والضيق ، بالاضافة الى معاناة سجن نافع الرهيب يذهبان بنا

كل مذهب ، وبعد مضي مدة حسبناها من قسوتها وشدتها ربع قرن من الزمان ، مع أنها كانت عامين ونصفاً ، تقرر نقلنا الى سجن قاهرة حجة الحصين في قصة غريبة ، وكانت هذه بالنسبة لنا الخطوة الأولى التي استعدنا فيها الشعور بالحياة حيث مرّ عامان علينا ونحن نتوقع الموت في كل يوم ، لأن سيف الطاغية كان مسلطاً على رقابنا ، ولأن من أعدم من زملائنا الأحرار كان على طبيعة ومزاج ورغبة الطاغية ، حيث لا يوجد حكم أو محاكمة ولم يسمح لأحد بالدفاع عن نفسه أو معرفة سبب إعدامه .

إلى جنة الدنيا. وذلك رغم أن الطاغية أمر بوضعنا في بادىء الأمر في حر البقرة وعزلنا عن إخواننا الذين سبقونا ومنهم القاضي عبدالرحمن الإرياني والقاضي محمد علي الأكوع والأستاذ علي ناصر العنسي وفضيلة الأخ الشيخ الصفي محبوب والقاضي عبدالله الشماحي ومن بقي من إخوان وأولاد الشهداء آل الوزير حيث عشت ومعي بعض الإخوة الزملاء خمس سنوات في معتقل قاهرة حجة وقبلها سنتين ونصفاً في سجن نافع عانينا فيها من الأهوال والمحن والابتلاء ما سوف استفيض في شرحه في مذكراتي.

ثم جاء الفرج من عندالله في وقت كان اليأس قد بلغ بنا منتهاه ، لأن من بقي في السجن هم البؤساء الذين لم يجدوا وسيطا ولا شفيعا عند الطاغية وكانوا قد وطنوا أنفسهم للسجن المؤبد كما امر بذلك الطاغية . جاء هذا الفرج السماوي الذي شكل معجزة خارقة بالنسبة لنا بعد قيام حركة ١٩٥٥ ووصول البدر الى حجة وبصحبته مجموعة كبيرة كان من بينهم الأستاذ الكبير احمد محمد نعمان وابنه الشهيد محمد والعقيد عبدالله الضبي والأخ أحمد الشامي والقاضي محمد بن علي الزهيري وغيرهم حيث اقترحوا عليه إطلاق المساجين ليكونوا عوناً له. وقد استجاب للإخوة وأمر بإطلاقنا على دفعات ، وكان ان سبق معجزة إطلاق سراحنا أن بحثت قضية ولاية العهد بين الأحرار الذين لا زالوا في سجن حجة وبين زملائهم خارج السجن واتفقوا جميعاً على ترشيح البدر الذي

كان يتعاطف مع الأحرار وقتها ، كما تبنّوا القيام بحملة إعلامية ضد الحسن الذي كان يعتبر العدوّ الأول للأحرار . ولكن الحركة التي تزعمها البطل المقدم احمد يحيى الثلايا وتم فيها اختيار سيف الاسلام عبدالله إماماً بدلاً عن الطاغية احمد قد ساعد على ازدياد الفرقة ، وانقسمت الأسرة على نفسها وهي الفرصة الثمينة التي كان يبحث عنها الأحرار الذي اتفقوا على مضاعفة العمل في زيادة تمزيق الأسرة وإثارة الشكوك بين أفرادها وإشعال نار العداوة بينها حتى يتمكنوا في النهاية من الخلاص من الجميع . وقد جاءت هذه الحركة لتزيد الفرقة ولتقرب يوم الخلاص ، إلا ان قادة حركة ١٩٥٥ رغم قدرتهم على محاصرة الطاغية في قصره وإجباره على التنازل عن الإمامة لأخيه عبدالله قد كرّروا الأخطاء التي اقترفها ثوار ١٩٤٨ حينما استطاع الطاغية أن ينفذ بجلده ويفرّ إلى حصن حجة دون أن يباشره المكلفون باغتياله في تعز .

ولقد أدرك من عايش هذه الحركة ممن شاركوا في ثورة ١٩٤٨ خطورة هذه القضية وقدموا النصح لقادة حركة ٥٥ بالخلاص من الإمام أحمد ، ولكن الفكرة التي سيطرت على الإمام الجديد وتأثر بها البطل الثلايا بأن السبب المباشر لفشل ثورة ٤٨ هو قتل الطاغية يحيى حالت دون ذلك . بينما ثوار ٤٨ بوضعهم مخطط اغتيال يحيى واحمد في وقت واحد كانوا أبصر الناس بالقضية ، بدليل أن الأيام الأولى للثورة شهدت مبايعة الحسن وبقية أفراد الأسرة للامام عبدالله الوزير ، ولكن ما كاد يظهر أن أحمد كان على قيد الحياة حتى انقلب كل شيء ، وذلك لأن هذا الطاغية الدموي الذي يخافه ويفزعه حتى أشقاؤه قد جعل بعض الأحرار يتردّدون ويحسبون له ألف حساب ، وذلك لأنه لا يتورّع عن قتل ابنه وأشقائه ، وهو بالنسبة لشعبنا الذي خيّم الجهل عليه وامتلأت عقول أبنائه بالخرافات والأساطير والدجل والكهانة التي تناوب على زرعها الأئمة الضالون وملأوا بها الأدمغة وحشوا بها الأفكار ـ أقول إن الطاغية أحمد كان يمثّل الرعب والخوف حتى ولو خلفه على العرش إمام من الأسرة نفسها ، بالإضافة الى أن الإمام الجديد كان غير معروف عند الكثيرين من أبناء الشعب ومتردداً وضعيفاً وعاجزاً ، مما تسبّب في انتهاء الحركة إلى ما انتهت اليه ثورة ١٩٤٨ ، وذهب

ضحية فشلها الإمام الجديد نفسه وقائد الحركة وبعض الإخوة والأبناء من الأحرار الذين لم يبخلوا على أمتهم بأرواحهم .

وأعود بعد هذا الى من أطلق سراحهم من سجون حجة ممن تبقّى من ثوار ١٩٤٨ ، وكيف أنه بعد انتصار الطاغية كان أول أمر أصدره هو عودة الجميع الى السجون ، ولكنهم تخلّصوا بحيلة سوف أشرحها في مذكراتي ، وقد أردت بهذا أن ألفت نظر القارىء الى هذا الوحش المفترس وكيف أنه لم يغير من طبيعته وغريزته المتوحشة ولم يعتبر أو يتعظ بما حدث في ثورة ٤٨ وحركة ٥٥ ، ثم لم يُبْقِ باباً لاستمرار الإمامة الشرعية باليمن إلا وأغلقه حتى انسدّت الأبواب في النهاية امام ابنه البدر الذي رشّحه خليفة من بعده اذ كيف يستطيع هذا الابن أن يستمرّ وقد أهدر والده وبطانته الدماء الغزيرة في كل بيت وقبيلة ، الأمر الذي جعل الكثير من الأحرار المجربين ينصتون ويستمعون الى من كانوا يسمونهم بالمتطرفين أو المتعجلين الذين بكروا أو فكروا في النظام الجمهوري حتى يقطوا دابر المترددين وينهوا المشكلة العويصة التي أعجزت الأئمة عن محاولات الإبقاء على الإمامة ولو بشروط الأحرار . وفعلاً لقد التقى الكثيرون من بعد هذه التجارب المريرة القاسية على النظام الجمهوري في سبيل تخليص البلاد والشعب من هذه الكارثة وقطع دابر هؤلاء الأئمة الذين أجدبت عقولهم وتبلد شعورهم وظهر أنهم غير مستعدّين للتجديد والتطور ومسايرة العصر .

هذا وقد عدنا بعد اطلاقنا من حجة وفشل حركة ١٩٥٥ الى صنعاء حيث كان الإخوة الأستاذ احمد محمد نعمان وابنه محمد والعقيد عبدالله الضبي والأخ أحمد الشامي قد اقترحوا على ولي العهد في حجة بأن أقوم بامارة حرسه الخاص بدلاً عن الأخ الضبي الذي أصبح سكرتيراً خاصاً ومسئولا عن الشفرة ، ولكن البدر بعد فشل الحركة غادر الى تعز ولم يصدر الأمر بتعييني وهو ما جعلني أنا والزملاء نقضي فترة في صنعاء مع الأهل والأصدقاء ثم بعدها اتفقنا جميعاً على السفر الى تعز للقيام بمراجعة الطاغية في تقرير مصيرنا .

وبعد وصولنا الى تعز وانتظارنا قرابة شهر دون أية فائدة تذكرت الاقتراح الذي قدّمه الإخوان بشأني الى ولي العهد فحرّرت له مذكرة بواسطة الأخ عبدالله

الضبي وجاء الردّ بأن أبادر الى صنعاء فذهبت من وقتي وتم بعدها تعييني في الحرس ، وهي قضية طويلة سيأتي شرحها في مذكراتي .

وبدخولي منطقة الخطر بسبب منصبي الذي يجعل العاقل يختار ما بين المنصب والضمير الوطني ، كان أول عمل قمت به هو توثيق صلتي بحاشية البدر التي كان فيها بعض الشباب الوطنيين أمثال الزميل عبدالله الضبي والأستاذ هاشم طالب وزميل السجن القاضي ابراهيم الحضراني والأخ علي المطري والقاضي يحيى الشماحي والقاضي عبدالحميد الشوكاني والذين شكلت معهم صفاً يدافع عن الأحرار وطلبة المدارس من هؤلاء الذين كان شغلهم الشاغل الإيقاع بالأحرار والانتقام منهم . على كل حال بعد ان اجتزت المراحل الصعبة تمكّنت ومعي هؤلاء الإخوان ومن كان يحضر من زملاء السجون لزيارة ولاية العهد ، تمكنت من أن أقطع شوطاً في الاستمرار في الوظيفة الجديدة بالرغم من الأقوال والتحذيرات الكثيرة التي كانت تصدر من الطاغية وحاشيته . إلا أن وليّ العهد، والحق يقال بأنه كان يميل إلى أقوال ونصائح الزملاء الذين كانوا يصفون المشكّكين بأنهم من أنصار الحسن وهم الذين يوحون للإمام وله بهذه الأوهام . وليت الذين يقيّمون الرجال من حيث قربهم من أصحاب المناصب الكبيرة ـ وان كانوا مخلصين وصادقين ـ يعلمون ما يلاقي هؤلاء من عنت ومطاردة من المستبدين وأذنابهم ! ولولا العقل والحكمة التي تحلى بها هؤلاء الرجال لما استطاع أحد منهم أن يقدم لبلاده أي خدمة تذكر ، وهو في هذا الموقع الحساس . ولكن الرجل منا اذا كان يحمل ضميراً وطنياً ويراقب الله في كل أعماله فإنه يستطيع ان يقدم لبلاده أجلّ الخدمات لأن القرب من الحاكم يفسح المجال ويهيء الفرصة للدفاع عن الرجال الوطنيين والمحافظة عليهم ويجعل دورهم أفضل بكثير من البعيدين والمتفرجين الذين لا يكتفون بالفرجة بل يتهمون الناس زوراً وبهتانا وهم لا يقدمون شيئا .

وفي هذا الوقت الصعب كان يزورني بعض أعضاء البعثة اليمنية الذين كانوا يدرسون في مصر ، ومنهم الأخ المقدم عبدالله بركات والمقدم لطف العرشي

والمقدم لطف الزبيري وهم يحملون معهم رسائل وكتيبات ومنشورات من القاضي الشهيد محمد محمود الزبيري وزميله الأستاذ الكبير محمد أحمد نعمان والمناضل الأستاذ محسن العيني ، يناشدون فيها الأحرار بمواصلة العمل الوطني والعمل على إنقاذ شعبنا وبلادنا من كابوس الإمامة الذي كتم أنفاسه وكاد يقضي على البقية الباقية من حياته ، هذا وكنت أواصل اجتماعاتي بهم ومعنا بعض الضباط الوطنيين من أمثال المقدم علي الربيدي والمقدم حسين عنبه والمقدم أحمد الجرموزي والمقدم علي العرشي والمقدم مجاهد حسن غالب والمقدم محمد الربيدي وغيرهم ، وكانت تعقد الجلسات في بيتي أو بيوت أحد الإخوان الى جانب الجلسات التي عقدناها في بيت المقدم لطف العرشي ، وعقدت الجلسة الثانية في بيت المقدم عبدالله بركات ، واتفقنا بعدها على مواصلة العمل الوطني الايجابي وضرورة مضاعفة الجهود وبذل كل الطاقات لجمع كلمة القوى الوطنية في الساحة وتجمعاتها الخاصة التي تهدف الى تحقيق هدفنا نفسه ولكنها تتبع أساليب مختلفة بحسب ظروف وامكانيات كل تجمع ، كما اتفقنا على توعية الشباب والأخذ بيدهم الى ما يعلي شأن الوطن ويهيء الجو الصالح والمناخ الملائم لإنقاذ شعبنا من حكم الطغاة . وفي الوقت نفسه استمررت في عملي قرابة عامين مستغلاً كل فرصة سانحة للإسهام في دفع العمل الوطني الى الأمام .

وقد تمكنت بعد افتتاح الكلية الحربية وكلية الشرطة من أن أتسلم المطار الحربي الذي استطعت من خلاله افتتاح كلية الطيران والإشراف على فوج البدر ، واخترت لمعاونتي مجموعة من الضباط الوطنيين ، منهم المقدم علي العرشي والمقدم علي الربيدي ، الذين كانوا خير عون لي ومن خلال مواقفهم الوطنية المعروفة ووجودهم بجانبي استطعنا معاً أن نقوم بمهمة بث الوعي الوطني وخاصة بين أبنائي طلبة كلية الطيران حيث بذلت في سبيل استمرار دراستهم كل طاقتي وقوتي ، واضطررت في كثير من الأحيان الى أن أتحدى بعض الأذناب الذين يثق الإمام بهم . لكن عودة الإمام أحمد من ايطاليا بعد شفائه من العلل التي انتابته بسبب المخدرات والمكيفات التي أدمن عليها ـ هذه العودة كانت

مفاجأة للجميع ومخيبة لآمال القوى الوطنية التي كثفت نشاطها ودفعت ولي العهد الى اتخاذ خطوات خرج فيها عن منهج أبيه وجدّه ، وأعدت له في غياب أبيه تجمعات وحفلات من قبل طلاب المعاهد العسكرية وطلبة المدارس، وتخلّلت هذه الحفلات خطب وقصائد حماسية وطنية أشادت بولي العهد وصوّرته على أنه المنقذ الوحيد ، مما دفعه الى اتخاذ مواقف مغايرة لسياسة من سبقوه ، وكان يختتم الخطب التي يلقيها بأن يعد فيها المستمعين بالإصلاح والعمل على نهضة البلاد ، والخروج بها من عالم الظلام الى عالم النور والحضارة ، الأمر الذي جعل الكثير من الأحرار يتفاءلون ويؤملون ، لا سيما بعدما اقترنت هذه الوعود بالانفتاح على مصر وعلى الزعيم جمال عبد الناصر الذي لبى طلب البدر بارسال خبراء ومستشارين ، وضاعف من البعثات العسكرية ومن ضمنها ضباط الطيران المصريين الذين تعاونت معهم في المطار الحربي ، وقدمت لهم كل عون ومساعدة حتى تمكنوا لأول مرة من الطيران على الطائرات الحربية التي كانت جاثمة في المطار دون أن يعمل عليها احد حتى كاد الصدأ والاهمال المتعمد يقضي عليها وينهي مهمتها ويلغي وجودها كمقاتلات حربية .

هذه الجهود وغيرها ظهرت كمكسب للقوى الوطنية وكثمرة مباشرة لجهود الأحرار . وما حدث من الأحداث التي سوف يكون مجال تفصيلها في مذكراتي جعلت الطاغية أحمد يقطع علاجه ويبادر بالعودة قبل استكمال العلاج ، وذلك بعد التقارير المتابعة التي كانت تصله من حاشيته وعملائه وأذنابه الذين كانوا يتعجّلون فيها وصوله ويحذّرونه من النزول في مصر إن هو قرّر المرور بقناة السويس خوفاً من أن يحتجزه جمال عبد الناصر ، كما كان ابنه وولي عهده يسر بهذا ويكشفه لبعض خاصّته . وقد استطاع الطاغية العودة سالماً الى الحديدة وفي اليوم التالي لوصوله خطب خطبته المشهورة التي توعّد فيها الأحرار وكل من يقف في طريقه بالويل والثبور وعظائم الأمور وتحدّاهم بقوله : « هذا الفرس وهذا الميدان ومن كذّب جرب » ثم بعدها بدأت الاعتقالات وفتحت السجون أبوابها للأحرار وزاد على ذلك بمحاولة إرهاب كل القوى الوطنية فأمر بقطع يد

ورحل الملازم شرف حسين المروني الذي اتهمه بانه كان وراء التمرّد الذي حدث بتعز وأدى إلى قتل اثنين من القضاة من آل الجبري، فكانت ضربة شديدة للقوى الوطنية بحيث تبخّرت بعدها الاحلام والآمال التي كانت قد أشرقت في غيابه فانقضت بعودة هذا الطاغية . وزاد من هذه المحنة أن موقف البدر وولي العهد من هذه التصرفات الشريرة والاجراءات الاجرامية كان موقفاً سلبياً ، رغم أنها كانت تتضاعف في كل يوم حيث عجز عن الدفاع عن الكثيرين ممن يعرف مواقفهم وممن ارتبط مصيرهم بمصيره ، الأمر الذي مكّن حاشية الإمام وأنصار الحسن من الإيقاع بالكثير من الوطنيين ومطاردة من بقي من المشايخ والأحرار الذين كنا نجتمع بهم ومنهم الشيخ سنان أبو لحوم والشيخ عبدالولي القيري والشيخ محمد أحمد القيري والشيخ علي بن علي الرويشان وأخوه محمد علي والشيخ علي طريق والشيخ عبد الوهاب دويد والشيخ فضل بن علي مهدي والشيخ أحمد محسن السني والنقيب علي أبو لحوم وغيرهم ، الى جانب الاجتماعات المتوالية التي كانت تربط خليتنا من الضباط الأحرار المقدم الدفعي والمقدم الضبي والمقدم عنبه والمقدم مجاهد حسن والمقدم علي الربيدي والمقدم علي العرشي والمقدم محمد الربيدي والمقدم أحمد الجرموزي وغيرهم الكثيرون .

وكانت اجتماعاتنا تكرس لتدارس هذه المحنة وموقف اللامبالاة الذي اتخذه ولي العهد وكان هؤلاء وهم الرجال الشجعان الذين نذروا أنفسهم للخلاص من الطاغية قد استمروا في اجتماعاتهم ومشاوراتهم حول اتباع طرق جديدة للوصول الى الهدف الذي تسعى اليه كافة القوى الوطنية على مختلف مشاربها ، بينما كان هناك فصيل من القوى الوطنية يتقدمه مشايخ حاشد من بيت الأحمر وبعض مشايخ بكيل . وقد تصدّر هذا الفصيل الشيخ البطل حميد حسين الأحمر ووالده الشيخ حسين والشيخ عبداللطيف بن راجح وجمع كبير من المشايخ حيث تم الاتفاق على القيام بانتفاضة قبلية تشارك فيها جميع القبائل ، وذلك بعدما اتفق الشيخ حميد مع الضباط الوطنيين بان لا يعتدي الجيش على القبائل ولا تعتدي القبائل على الجيش حتى لو كان هذا برغبة الإمام وأوامره وأن يقف الجميع موقفاً موحداً ضد الطغاة . وقد تعاهد الكثيرون من هؤلاء الأبطال

على ذلك ، وكنا وقتها أنا واللواء حمود الجائفي والعقيد عبدالله الضبي نوالي جلساتنا ونتدارس الوضع الخطير الذي استجدّ بعد وصول الطاغية لا سيما وقد كنا نلمس هذا الخطر الذي سوف يأتي على الجميع ، ثم قررنا بعد تعبئة طلبة الكليات الثلاث الحربية والطيران والشرطة ومن استطعنا من الحرس وضباط الجيش المرتبطين بنا أن نجعل من هذه القوى سنداً للحركة التي يتزعمها الشيخ حميد ومشايخ حاشد وبكيل ، وقد تفاهمنا على هذه الخطة مع بعض المشايخ وفي مقدمتهم الإخوة الشيخ سنان أبو لحوم وعبد الولي القيري ومحمد القيري وآل الرويشان وعلي طريق وغيره .

وستبدأ هذه الخطة بأن نقود هذه الحركة ونتوجه أولاً الى الجوف مقرّ تجمع القبائل أو الى حريب ثم نعلن مع القبائل ثورة شعبية نقضي بها على النظام البغيض .

ولكن تخاذل بعض القبائل وتردّد بعض الإخوان قد أفشل هذه الخطة التي سوف أفصلها فيما بعد ، حيث ذهب ضحيتها الشهيد حميد الأحمر ووالده الشهيد الشيخ حسين الأحمر والشيخ عبداللطيف بن راجح واعتقل الشيخ عبدالله الأحمر في سجن المحابشة الرهيب حيث ظل معتقلاً حتى قيام الثورة المجيدة وتم إطلاق سراحه صباح يوم السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول)عام ١٩٦٢ .

ثم أعقب ذلك سجن مجموعة كبيرة من المشايخ في سجن القلعة بصنعاء وسجن مهلهل بخمر وكان معظم هؤلاء المشايخ من العصيمات، ومن أبرزهم الشيخ المجاهد أبو شوارب الذي سجن بالقلعة ثم أطلق قبل الثورة ومعه مجموعة من المشايخ ، وسوف أتحدث عنهم في مذكراتي . ثم بعد هذا اتفقت مع الأخ عبدالله الضبي على أن يبحث المشكلة مع السفير المصري وقتها العقيد أحمد أبوزيد الذي كان يشغل من قبل منصب رئيس البعثة العسكرية المصرية في اليمن ، وكنا على صلة وثيقة به ونتفاهم معه على ما يهم القضية الوطنية والوسائل الكفيلة بدفعها إلى الأمام . ومن ضمن ما بحثنا معه قضية اندفاع بعض القوى في الأعمال الوطنية

علنا ضد الإمام في غيابه وقد عاد وهو يتوعد كل القوى الوطنية بالانتقام ، وبدأ بالفعل بـالبطش والتنكيـل ، فأزهق الأرواح وأعـدم البعض واعتقـل الآخـرين، بينـما يقف ابنـه وولي عهده مـوقف المتفرج ولم يحـرك أي ساكن أو يتـدخل لإنقاذ الأبرياء من سيف أبيه وانتقامه ، فوعدنا بأنه سيبحث الأمر مع حكومته ولكن رد الحكومة المصرية تأخر حيث وصلت بعد هذا لجنة من الطاغية برئـاسة صهـره عبدالله عبد الكريم للبحث والتحقيق معي في قضية كلية الطيران وطلبتها وبأمر من كـان فتحهـا ، ومن هـم المـدرّسـون الـذين يتـولـون التـدريس بهـا ونـوع المحـاضرات التي كـنا نلقيها على الـطلبة ؟ وكم تحتـاج من التموين ؟ وما يحتاجه الطلبة والمدرسون ؟ وكثير من أمثال هذه الأسئلة الغريبة التي لم توجه الى أي كلية أخرى .

وعلى كل حال ، بعد أن أنهت اللجنة تحقيقها معنا ورفعت تقـريرهـا الى الطاغية جاء الجواب بقطع التموين عن الكلية وطلبتها بقصد تعطيلها وإغلاقها ، لكن بعد بحث الموضـوع مع البدر على أثر صدور هذا الأمر الغريب ، ولما لم أجد لديه أي إمكانية للمسـاعـدة تذكـرت البراميـل الفارغـة الكثيرة التي كـانت موجودة بالمطار الحربي وبدأت في بيعها وشراء مـا تحتاجـه الكلية من وسـائل التموين وغيره وظللت على هذا قرابة شهر حتى جاءت البرقية من الطاغيـة الى البدر بإرسالي محفوظاً الى الـسخنة مقر إقامته فسافرت الى الـسخنة فوجدت هناك الكثيرين من الأحرار المغضوب عليهم وانتظرت قرابة شهر أتوقع ما يتوقّعه كـل حر ومناضل غير هيّاب ولا وجل ، لأن الـطغيان قـد علّمنا ودرّبنـا على احتمال أسلحته القاسية وأرانا الموت مراراً حتى وصل ولي العهد لزيارة والده الطاغيـة فناشدته الوقـوف بجانبي . وفي اليـوم التالي سـافرت معـه الى الحديـدة حيث استلمت إدارة ميناء الحديدة الجديد الذي كـان الـسوفيت قـد بدأوا في العمـل لبنـائه ، وكـان الغرض من هـذا هو إبعـادي عن الحرس وكليـة الطيـران وفوج البدر ، وكنت أضع كل آمالي الكبيرة عليها ، ومعها بقية الكليات والقوى الوطنية لانقاذ البلاد من هذه الكوارث التي احدقت بها .

وفي سبيل استمرار العمل الوطني ، دون لفت أي نظر أو اهتمام ، باشرت

العمل في الميناء الجديد وتقبلت الأمر الواقع وبقيت على صلة مستمرة مع بقية القوى الوطنية حتى انتهينا من عمل الميناء وانتهى بعده مشروع طريق صنعاء ـ الحديدة ثم بعـدها أقيمت حفـلات الافتتاح التي تـرأسها ولي العهـد وافتـتح المشروعين وقـد حضر عن الجانب السوفيتي وزير البحرية حيث مثل بلاده في افتتـاح مشروع ميناء الحديـدة الجـديـد ، وعن الجـانب الصيني وكيـل وزارة الخارجية وسفير الصين في جمهورية مصر العربية حيث مثـل بلاده في افتتـاح مشروع طريق صنعـاء الحديـدة . وكان وصـول الشخصيتين الرسميتين فـرصة بالنسبة لي حيث اجتمعت بهما كلاً على انفراد وأكدت عليهما ما كنت أشـرحه للخبراء فيما يتعلق بأوضاع بلادنا وضرورة مـساعـدة شعبنا على تغيير الأوضاع السيئة التي كان يعانيـها . والقصة طويلة وتحتاج الى إيضاح لأن الموضوع كان متعلقاً بالاستعداد لقيام الثورة وسيأتي تفصيل ذلك في مذكراتي .

اما بالنسبة للعمل الوطني ونشاط القوى الوطنية في الـساحة فإنه قد سبق قبل هذا عدة انتفاضات ضد الطاغيـة احمد ومحـاولات متعددة لاغتيـاله ، ولكنهـا كانت لسوء الحظ تنكشف قبل أن يباشر الأبطال تنفيذها ، ومن هذه المحاولات ما اتفق عليه الكثير من مشايخ حاشد وبكيل في صنعاء وانتخاب مجموعة منهم لاغتيال الطاغية في الـسخنة ومن هؤلاء الأبطال كما تبلغت وقتها الشيخ عبدالله ابن حسين الأحمر والشيخ جار الله القردعي والشيخ علي ناصر طريق والشيخ عبد الولي القيري والشيخ محمد أحمد القيري والنقيب علي أبو لحوم وغيرهم . وقد اجتمع بي النقيب علي أبو لحوم وشرح لي الخطة وذلك بعد فشل الحركة التي قام بها الشيخ حميد بن حسين الأحمر ومن معه من قبائل حاشد وبكيل ، الأمر الذي سبّب فرار المشايخ إلى عدن وعلى رأسهم الشيخ سنان أبو لحوم والشيخ أحمد علي الزايدي والنقيب علي بن علي الرويشان وأخوه محمد والشيخ علي طريق وغيرهم الكثيرون ، وذلك بعد انكشاف خطة الاغتيال بعد ان انضم الى المجموعة فدائي كله صدق وعزيمة واخلاص ذلك هو الشهيد سعيد حسن فارع الملقب « بابليس » الذي زودته بقنبلتين يدويتين ثم ودّعته وداع الشهداء الأبرار ليقيني بأنه سينال الشهادة . اما السبب الذي كشف هذه المحاولة فهو الرسالة

التي حملها معه من المجاهد الكبير حسين المقدمي إلى الشيخ يحى منصر أحد حراس الإمام ليقوم بمعاونته مع المجموعة وتسهيل المهمة التي نذر الأبطال نفوسهم لها ، ولكن الشيخ يحى قال له بانه قد اقسم الأيمان المغلظة للإمام ولا يمكن أن يخونه ، وهنا انكشفت الخطة ولكن البطل سعيد فارع أنكر الأمر وأصرّ على إنكاره رغم ما تحمل من عذاب وهوان حتى اختار الله له الشهادة . وسيأتي شرح هذه المحاولات وغيرها فيما بعد .

إلا أن الذي يهم الآن هو القصة الموجزة عن ثلاثة من الأبطال هم على التوالي الملازم عبدالله اللقية والملازم محمد عبدالله العلفي والملازم حسن الهندوانة الذين حطّموا الأسطورة ، وقاموا باغتيال طاغية القرن العشرين . وكان البطل الأول من ضمن السرية التي كانت تقوم بحراسة الميناء ، وكان وصولها بطلب مني لولي العهد وتسمية قائدها بسبب العلاقة الأبوية والروحية التي كانت تربطني بالشهيد عبدالله اللقية في صنعاء . اما الثاني فكان يعمل ضابطاً لمستشفى الحديدة وكانت معرفتي به من خلال زميل الكفاح والسجن المناضل علي احمد عامر . اما البطل الثالث فكان صديق وعم الشهيد العلفي الذي انضم معهما في آخر لحظة ، وقد كانت بينهم علاقة كبيرة مع الشهيد محمد الرعيني والمناضل الأستاذ عبدالله الصيقل الذي يعتبر صديقاً للمناضلين ، والأستاذ محمد الناظري والمجاهد الكبير حسين المقدمي مدير مستشفى الحديدة في ذلك الحين والمقدم محمد رفعت والأستاذ محمد أحمد الحيمي وغيرهم من الأحرار في صنعاء، وكانوا قد شكلوا تنظيماً عسكرياً في صنعاء، إلا أن هذا التنظيم انتهى ، مما حفز ودفع البطل عبدالله اللقية أن يحاول ومن يرغب معه من الفدائيين في محو عار الشعب اليمني باغتيال الطاغية وقتله قبل أن يموت على فراشه . وقد نذر نفسه لهذا العمل الجليل والمهمة العظيمة حيث شاركه أخوه وزميله في النضال البطل محمد عبدالله العلفي ثم انضم اليهما قبل تنفيذ المحاولة البطل محسن الهندوانة . وان أنسَ فلا أنسَ ذلك اليوم المشهود الذي وصل فيه الى بيتي المجاور لبيته ومعه ابنه الطفل فايز حيث ودّعني الوداع الأخير وأوصاني في ابنه وأمه ، وكان حاضراً معي في هذا المشهد الحزين الزملاء

المقدم علي الربيدي والمقدم أحمد عشيش اللذين لم يعرفا القصة كاملة الا بعد مباشرة اغتيال الطاغية في الليل . وكان يعرف الخبر المقدم أحمد الجرموزي الذي كان وقتها يتولى منصب أمير الجيش في الحديدة . وقد أسررت اليه بالخبر ووصفت له موقف البطل المؤثر وكيف كان رابط الجأش قوي العزيمة وهو ذاهب ليموت في سبيل مهمة مقدسة .

وهكذا باشر الأبطال الثلاثة عملية اغتيال الطاغية في حوالي الساعة السابعة ليلاً في مستشفى العلفي الحالي ، ولكن الطاغية كعادته أتقن التمثيل حتى في مثل هذه الساعة الرهيبة التي ينسى الإنسان فيها نفسه ، حيث مثل دور الميت بعد سقوطه صريعاً برصاص الأبطال ، ولم تفارقه هذه العادة حيث قضى عمره وهو يمارسها على شعبنا ويتقمص رداء خليفة المسلمين وهو بعيد كل البعد عن الاسلام وشريعته المقدسة . نعم لقد رقد وتظاهر بالموت بصورة لا يتقنها الا الممثلون حتى لقد داسه الأبطال بأقدامهم ولم يبد أي حراك ثم بعدها قامت قيامة حاشيته من الأذناب والعملاء لا سيما بعد أن عرفوا بأن الرصاصات التي اخترقت جسمه لم تصبه في مقتل ، وكان أول ما نطق به الطاغية حين أفاق هو : « أين السلال ؟ ! » . . وأين كان وقتها ؟ وقد تأكدت من هذا عندما رافقت نائب الحديدة لزيارته فمنعوني أولاً من الدخول عليه ثم سمحوا لي والحراس محيطين بي ، هذا والقصة متشعبة وطويلة وسيكون مجالها في مذكراتي بالتفصيل ، الا انني أود أن أشير إلى مواقف البطل اللقية الذي تحمّل من التعذيب والضرب ما تحمله أصحاب محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام في صدر الاسلام ، لا سيما عندما تشكلت محكمة وكان رئيسها ومعظم اعضائها من الأنصار الذين يثق الإمام بهم والذين أرادوا من وراء هذه المحكمة تدبير مذبحة كبيرة يذهب ضحية مدبريها كل الوطنيين والأحرار ، لولا موقف ولي العهد الذي وصل في اليوم التالي فضم الى المحكمة الشيخ محمد علي عثمان والمقدم عبدالله الضبي الى جانبي بالإضافة الى المقدم أحمد الجرموزي الذين كنا في نظر هيئة المحكمة حكاماً ومتهمين في وقت واحد ، وكذا فضيلة المفتي احمد زبارة الذي وقف موقفا كريما ومشرفا . الا أن صمود البطل عبدالله اللقية للتعذيب ولكل ألوان

الاستجواب الوحشي كان الموقف الأعظم من كل المواقف ، فقد أصر على الإنكار ولم ينبس ببنت شفه فيما يختص بالأحرار المرتبطين به حتى يوم إعدامه . اما زميله الهندوانة فقد قال في التحقيق بأن البطلين العلفي واللقية اخبراه بأن الزعيم عبدالله السلال سيقوم بالواجب بعد تنفيذ العملية ، وكان قبلها قد وصل الى الحديدة النقيب علي أبو لحوم حيث اجتمع بي وشرح لي حالة الأحرار بعدن ، وبلّغني تحيات أخيه الشيخ سنان أبو لحوم ومن معه من المشايخ وأنهم عاتبون علينا حيث طالت غربتهم وانتظارهم للخلاص من حكم الطغاة فأجبت النقيب علي ابو لحوم بأن الأمور تسير في طريقها والخبر اليقين عند الشهيد الملازم عبدالله اللقية ، فذهب من وقته وأبدى استعداده لمشاركة البطل وزملائه في اغتيال الطاغية أحمد ثم ذهب بعد أن طمأنته ورجوته بان يبلغ الشيخ سنان تحياتي ومن معه من الأحرار .

بعد مباشرة اغتيال الطاغية وأثناء محاكمة الأبطال الشهداء اللقية والعلفي والهندوانة وصل الى الحديدة اللواء محمد الجرموزي مندوباً من المقدم حمود بيدر ومجموعة من الضباط الأحرار للاستفسار عن سير المحاكمة وعما اذا كان البطل اللقية قد أدلى في شهادته بأسماء الأحرار المرتبطين به ، فطمأنته وقلت له بأن البطل صامد وثابت ولم يدل بأي اسم ورجوته ان يطمئن الجميع في صنعاء بهذا .

هذا ومن الصدف العجيبة أنه كان يرقد بمستشفى الحديدة مناضل مجهول ، هو جبر بن جبر ، وكانت علاقته وثيقة بالبطل الشهيد الملازم محمد عبدالله العلفي الذي أسرّ له بما كان ينوي مع زملائه الأبطال باغتيال الطاغية احمد حيث بارك هذا المناضل الشاب العملية ، وكاد يدخل في ورطة كبيرة في مباركته وتشجيعه للعملية ، لولا أن البطل الذي أسرّ لزملائه بحماس واندفاع هذا الشاب للعمل الوطني انتحر بعد تنفيذ العملية ، وكذا موقف الأحرار من أعضاء المحكمة وموقف المفتي أحمد زبارة لانتهى الأمر به وبغيره من الأحرار الى المشنقة وجزى الله الصدف الف خير . فقد كانت هذه القصة هي التي

ربطت بيني وبين هذا المناضل حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة وهو الذي عرفني قبل الثورة بكثير من المناضلين وفي مقدمتهم المناضل الكبير الدكتور عبد الغني علي وكذا تعرفت من خلاله على المناضل عبده عثمان والأستاذ أحمد الشجني وسوف استوفي هذا الموضوع في مذكراتي .

هذا وكان يرقد بالمستشفى وقتها مناضل آخر عرفته سجون الإمامة وتعرفه الأجيال من الأحرار والثوار ، ذلك هو الشيخ امين عبد الواسع نعمان الذي انتهى به التحقيق الى السجن كما هي العادة . هذا ومن الثوار الأحرار المجهولين الأستاذ الأديب عبده عثمان ومحمد عبد نعمان وغيرهم من الذين يستحقون منا ومن كل مناضل كل تقدير واحترام . وسوف أتناول قصصهم الوطنية وما قاموا به قبل الثورة من أعمال جليلة في مذكراتي ان شاء الله حتى تعرف الأجيال قصة هؤلاء الرجال وما أدوه من أدوار بطولية في سبيل الثورة المجيدة .

وبعد هذا اشتدت الرقابة عليّ ولا سيما من عامل الميناء على عبدالله الديلمي الذي وضعه الامام ونائبه لمتابعتي ومضايقتي تحت ستار تعيينه عاملاً للميناء . وقد كان يرفع بين فترة وأخرى تقارير حول نشاطي واجتماعي بالذين يزورون الميناء ولا سيما من الضباط الأحرار الذين كانوا يفدون لهذه الزيارة من صنعاء وتعز ومنها زيارة الملازم الشهيد علي عبد المغني والملازم ناجي على الأشول اللذين عقدت معهما اجتماعات مطولة وذلك لتلمّس الطريق نحو العمل الوطني وحسن التنفيذ ، وتواعدنا بعدها على لقاءات أخرى .

اما اغرب تقرير رفعه هذا العامل فهو الذي اكتشفته بعد الثورة والذي يقول فيه (احذروا السلال يا مولانا وهو والله سيكون اول رئيس للجمهورية اذا غفلتم عنه) هذا وقد كانت أشق فترة عاشتها الحديدة هي قبل اغتيال الطاغية حيث توالت على المدينة الحرائق التي كانت تلتهم بعض الحارات بأكملها ويذهب فيها الكثير من الضحايا . ولولا أن الخبراء الروس قد استقدموا مع معدات الميناء سيارات الإطفاء وهي التي كنت استعين بها على إطفاء هذه الحرائق لتضاعفت المأساة وذهب ضحيتها المئات من الناس . ويشهد على هذا من

عاصر هذه المحنة وشاهد تلك الحارات وهي تحترق بكاملها . وأتذكر من شهود العيان القاضي عبد الكريم العرشي نائب رئيس الجمهورية الذي سمعني وأنا أتحدث مع المقدم أحمد الجرموزي عن هذه المأساة وأرجع أسبابها الى الطاغية حيث شاركنا الحديث وتحمس لهؤلاء البؤساء وتمنى على الله ان يعجل العقاب على الطاغية والذي قال موافقاً معنا بأنه هو السبب في كل هذه المآسي . وكان هذا الموقف الصادق والحماس في قول الحق الذي أبداه النائب هو أول معرفتي به حتى قيام الثورة المجيدة حيث كانت فاتحة تعاون وإخلاص بيننا . وقصة هذه الحرائق وأسبابها والمتعة التي كان الطاغية يشعر بها وهي تلتهم كل شيء طويلة وتحتاج الى شرح أطول وتفسير اكثر .

وبينما كنا نعيش هذه الظروف القاسية والحالة المزعجة ونترقب يوم الخلاص من هذا الحكم الظالم المتخلف اذ أتتنا الأخبار من صنعاء بواسطة إخواننا الضباط والمشايخ الوافدين الى الحديدة عن النشاط الوطني الذي بدأ يتضاعف ويدخل مرحلة العمل الإيجابي يوما بعد يوم . ومن أبرز معالمه توزيع المنشورات الكثيرة في صنعاء وإطلاق النار على دار البشائر مقر ولي العهد وعلى بيوت بعض العملاء . اما مقر هذا النشاط فلا يخطر على بال أحد ، لأنه كان يدار من دكان المناضل ناصر الكميم بمشاركة المناضل القاضي عبد السلام صبره والمناضل الفريق حسن العمري . والمنفذون الفعليون لهذا التحرك هم الاحرار الوطنيون من إخواننا العسكريين والمشايخ المعروفين بوطنيتهم وحماسهم للمشاركة في الخلاص من حكم الإمامة الذي بدأ يقترب من النهاية . وعلى أثر هذا النشاط وعودة اللواء حمود الجائفي والبطل صالح الرحبي الى صنعاء من المنفى بعدما قضى اللواء حمود الجائفي فترة في سجن ولي العهد في قلعة صنعاء وتمكن بعدها من الهرب الى عدن بمساعدة الأبطال الوطنيين وفي مقدمتهم الشهيد صالح الرحبي والمقدم علي أبو لحوم ـ أقول بعد هذا فوجئت ببرقية يدعوني فيها ولي العهد الى صنعاء ، وبالفعل غادرت الحديدة ووصلت صنعاء دون أن أدري السبب لهذا الطلب المفاجيء حتى التقيت بالصديق عبدالله الضبي الذي شرحه لي قبل ان يستقبلني البدر . اما

السبب فقد عزاه الى ازدياد النشاط الوطني الذي بدأ بتصاعد في الجيش والكليات العسكرية وتطرف البعض من الضباط في انتقاد الوضع وما سينتج عن هذا من مشاكل وهو ما جعل اللواء حمود الجائفي يقرر أن يبتعد عن الكلية الحربية ولو لفترة مؤقتة ، لا سيما وهو عائد من المنفى والأنظار موجهة اليه ويقترح على ولي العهد بأن يتسلم ميناء الحديدة بدلا عنك وتعود انت الى الحرس ، وأنا بدوري قد ساعدته وراجعت البدر معه وقد استحسن الفكرة وأظن ان هذا هو السبب في طلبك اليه . هذا ما فهمته من الأخ الضبي وانتظرت حتى قابلت البدر بعد ذلك فأمرني بالعودة الى الحرس واللواء الجائفي يتسلم الميناء . وقد تقبلت الأمر وقلت بيني وبين نفسي إنها إرادة الله وعلي أن أتقبلها عسى أن يكون فيها خير لي ولبلادي .

وكنت في قرارة نفسي أكره العودة ثانية بعدما لاقيت من الطاغية وموقف البدر السلبي مني ، ولكن الأقدار كانت تهيء لي الأمور وتعدّ المعجزات للبلاد حيث جعلتني أتقبل الأمر الواقع وأنتظر العودة الى ما كنت أشرف عليه من الكوادر الوطنية مثل كلية الطيران وفوج البدر اللذين بنيت عليهما آمالي وأحلامي . وقد باشرت عملي في الحرس حيث كنت أستقبل المواطنين من الاحرار وغيرهم بصورة تليق بكرامتهم وأمنع عنهم وحشية وطباع بعض أفراد الحرس وأجد فرصة في كثير من الأوقات للحديث مع بعضهم عن الحالة السيئة والأوضاع المزرية حيث كنت أجد في المقابل إنفتاحاً وثقة كبيرة بي ، على الرغم من رقابة بعض الحرس الذين كانوا يلازمونني حتى أعود في الليل الى بيتي ويبيتون في بعض الأوقات بمنزلي بحجة الحراسة . وأحمد الله ان الكثير من هؤلاء المواطنين من الأحرار عسكريين ومشايخ ومدنيين يتذكرون تلك اللحظات وهذه المواقف وما كان يدور بيننا من حوار وطني يهم الوطن والمواطن وتفصيلات هذه المواقف يحتاج الى شرح طويل وتفصيل أكثر .

المهم أنني مضيت في لقاءاتي مع كل ممثلي القوى الوطنية وكنت أسعد في بعض الأوقات سعادة لا مثيل لها بلقاء المجاهد الكبير حسين السكري

والمناضل يحيى النهمي اللذين كانا يعملان مع اخوانهما وزملائهما الضباط بمكتب الحرس وهم المقدم حسين السحيمي الذي كان مرتبطاً بخليتنا والمقدم علي النعامي . هذا والواجب يحتم علي الاشادة بالسيد حسين الحبشي وما قام به من الأعمال الجليلة حيث كان الموجّه والمرشد والناصح الأمين لمعظم الرعيل الأول من المناضلين الأحرار والثوار ، وحسبه فخراً وشرفاً هو وأولاده ان أبواب منزله العامر كانت مفتوحة على مصراعيها لكل الوطنيين ، الأمر الذي عرّضه للكثير من التهديد والوعيد والمتاعب أمدّ الله في عمره .

بعد هذا جاءت الرحلة المباركة التي تعرفت فيها على المشايخ والأعيان والقبائل وتحدثت معهم مبشراً الجميع بقرب الخلاص ، وكسبت معظمهم الى صف الثورة . وقد رافقت البدر في هذه الرحلة التي ابتدأت ببلاد حاشد حيث أقمنا ومعنا العقيد الضبي الذي رافقنا في بعضها في مدينة خمر أولاً ، ثم ذيبين وريدة وعمران ، وبعدها اتجهنا الى الجوف ومأرب والجوبة وحريب ، ثم عدنا الى صرواح وخولان وآنس فصنعاء ، وكانت بحق رحلة مباركة وفقت فيها أشد التوفيق ، وقد تعرفت فيها على رجال هذه القبائل ومشايخها ، ولوّحت لهم بيوم الخلاص ونهاية حكم الطغيان ولا سيما الذين كنت أعرفهم وأثق بهم ، وفي مقدمتهم بعض الأسماء . وسوف أضمن اسماءهم واستوفي هذا الموضوع الهام في مذكراتي ولا بد لي من أن أنوه ببطل مجهول هو الملازم محسن اليوسفي محافظ تعز الآن الذي التقيت به في مأرب وعرفني على الكثير من مشايخها وكان يواصلني بالشفرة التي حررها لـه الأخ العقيد عبدالله الضبي بكل ما يهم مرحلتنا الوطنية حتى انضم الى خليتنا وقام بواجبه بكل إخلاص وصدق وعزيمة . والذي اكتمل بالرحلة الثانية التي بدأناها بذمار ورداع والبيضاء ثم العودة عن طريق ذمار صنعاء .

هذا وقد استفدت في هذه الرحلة فائدة كبيرة حيث تعرفت على المواطن اليمني الصبور عن قرب ، ولولا أنني ابن اليمن ومن هذه التربة الطاهرة لاستغربت جدا وتحدثت مع نفسي متسائلا كيف استطاع هذا الانسان ان يتحمل

كل هذا البؤس والشقاء وان يكابد هذا العناء وما زال يعيش ويكدح حتى أنه يقهر الأمراض الفتاكة والموت الذي يتربص به من كل ناحية ، وما ذلك الذي يلاقيه ويعانيه إلا من آثار حكم الإمام الذي امتص حياته وانتهش عقله وافترس آدميته وسلبه شعوره وتفكيره وحرمه من نعمة التمييز بين حياته البائسة وحياة الآخرين في القرن العشرين ، وكيف يعيش مع هذه الآفات القاتلة والثالوث الرهيب : الفقر والجوع والمرض ، التي حلت به وشاركته حياته ، ورغم ذلك فإنه ما زال يقاوم ويصمد ويتمرد وينتفض ويتشبث بالأرض التي كانت في يوم من الأيام مهد الحضارات، ومنبع الخير والرخاء ، ومحطة قوافل التجارة العالمية الى كل مكان، ثم تحولت الى خرائب واطلال واراض قاحلة مجدبة .

ولم تكن الرحلة المباركة مجرد إلقاء نظرة على أحوال أبناء شعبنا واستشكاف لمدى تقبّلهم لتغيير الوضع فحسب ، بل كانت شحنة قوية وطاقة دافقة لتكثيف العمل الوطني ومضاعفته . وقد ضاعف تنظيمنا من نشاطه وأخطر فرع تعز الذي كان يتكون من المناضل علي محمد سعيد وعبد الغني مطهر وعبد القوي حاميم والملازم محمد مفرح والنقيب علي الكهالي وعلي حمود الحرازي وعبد القادر الخطري . وقد كان هذا همزة الوصل بين صنعاء وتعز حيث كان يطلعنا على نشاط هذه المجموعة ونطلعه على نشاطاتنا لإبلاغها للفرع بتعز وكان للقاضي عبد الرحمن الأرياني دور في دفع هذه المجموعة وتوجيهها لقربه منها ولثقة الجميع به وبإخلاصه ، بالإضافة الى أنه كان يعتبر مستشاراً للجميع ، كما كان لمناضل مجهول عاش السنين الطويلة في سجون الأئمة هو القاضي محمد بن علي الأكوع دور وطني بارز وكان كل المناضلين الأحرار يولونه ثقتهم ويطمئنون الى وطنيته وصدق اخلاصه .

وهناك مجاميع من المناضلين والأحرار كانوا يتفقون معنا ومع الضباط الأحرار على المبادىء والأهداف نفسها ، ومن واجب الإنصاف ان أذكر دور مناضلي الحديدة وأبرزهم الأستاذ المجاهد عبدالله الصيقل الذي تحمّل من التهديد والوعيد والسجن الطويل في قضية اغتيال الطاغية ما يرتفع به الى مصاف

الأبطال الذين يستحقون التكريم ، كما ان الحديدة أنجبت مناضلين أمثال الدكتور مكي زكري ويوسف هبة والأستاذ أحمد جابر ويوسف الشحاري ، بالإضافة الى وجود مناضلين معهم أمثال الأستاذ محمد الشرعي والأستاذ محمد الناصري والمقدم محمد شائف جار الله وغيرهم ممن كانوا يعملون في الحديدة وقتها ، ويشاركون الأحرار في مبادئهم وأهدافهم . وكنا نلتقي بهم لدفع القضية الوطنية حتى جمعتنا ثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة وأهدافها واشتركنا مع الطلائع الثورية في تفجيرها . وقد التقينا مع تنظيم الضباط الأحرار من خلال المقدم الشهيد صالح الرحبي والمقدم حسين الدفعي وغيرهم من الضباط الذين شاركوا في ثورة ١٩٤٨ وحركة ١٩٥٥ وكنت والمقدم مجاهد حسن والمقدم حسين عنبه والمقدم علي العرشي والمقدم أحمد الجرموزي والمقدم علي عبدالله السلال وغيرهم من الضباط نعقد الجلسات في بيت المقدم حسين الدفعي الكائن في بستان السلطان ونتناول في كثير من الأوقات الغداء معه ثم نواصل جلساتنا استعداداً لليوم المشهود والذي كان يلوح قريباً ويتمثل لنا في يقظتنا ومنامنا وأحلامنا ونستعد لقدومه ببذل حياتنا وأرواحنا التي جندناها منذ أن انخرطنا في صفوف النضال وعرفنا قدسية القضية الوطنية .

وحينما التقت خلية تعز بالأبناء الضباط الشهيد علي عبد المغني والشهيد احمد الكبسي والمرحوم سعد الأشول والملازم محمد الخاوي والملازم علي الضبعي وبقية أفراد التنظيم ، فإن ما دار من حديث حول التحضير للثورة وضرورة قيامها ومساندتها من كل القوى الوطنية بلغ الى خليتنا في صنعاء ، ثم أحطت علماً بما يقوم به الضباط الأحرار من خلال اللقاء بالمناضل الشهيد علي عبد الغني في بيت الشهيد صالح الرحبي وتم التنسيق بيننا وبينهم في قصة طويلة ليس هنا مجالها . ثم كان لقائي مع اللواء جزيلان في بيتي مرتين للتنسيق ، وقد شهد هذا اللقاء المقدم علي الربيدي والمقدم حسين عنبه ، ثم لقاء بوعان الذي حضره مجموعة من رواد العمل الوطني في مقدمتهم المجاهد الكبير القاضي عبد السلام صبره والمناضل عبد الغني مطهر والعقيد عبدالله الضبعي والأستاذ هاشم طالب والشيخ علي محمد سعيد والمرحوم الشيخ محمد

علي عثمان والمناضل محمد عبد الواسع نعمان واللواء عبدالله جزيلان . وفي هذا الاجتماع تدارسنا القضية الوطنية من جميع جوانبها واتفقنا على قيام الثورة ، وكانت هناك اقتراحات للتعديل أبداها كل من الشيخ محمد علي عثمان والأستاذ هاشم طالب وكل له رأيه وهو حر في إبدائه . اما رأيي فقد كان واضحاً ومحدداً مع الثورة ، فالثورة لا تحتاج الى تكرار ما حدث من أخطاء في ثورة ١٩٤٨ وحركة ١٩٥٥ . واذا كان ولا بد فلنتخلص من الجميع . ويؤسفني أن ينسب اللواء جزيلان هذا الموقف له ويدعي في كتابه ويسجل فيه أن هذا هو رأيه ، رغم أن معظم شهود الجلسة لا زالوا أحياء . وهناك الاجتماع الهام الذي ضمني منفرداً والمجاهد الكبير عبد السلام صبره حيث أبلغني بأن اللواء حمود الجائفي قد انسحب من كونه قائداً للثورة ، وتم اختياري قائداً للثورة بإجماع الضباط الأحرار ، فأجبت عليه بأنه يشرفني أن أكون قائداً للثورة ، ويؤسفني انسحاب اللواء حمود الجائفي في هذا الوقت الحرج . وكم كنت أتمنى بأن أكون جنديا من جنوده لمعرفتي الأكيدة بإخلاصه وصدق وطنيته ، هكذا كان جوابي ولم أزد على ذلك شيئاً . ثم الاجتماع الذي ضمني مع المناضل عبد الغني مطهر والمناضل علي محمد سعيد أنعم بمنزلي وفيها تم تحرير الرسالة الأخيرة التي حملها الأخ عبد الغني للزعيم جمال عبد الناصر . هذا الى جانب الجلسات المتوالية التي كنت أعقدها في بيتي مع المقدم محمد الرعيني والأخ المقدم حسين الدفعي والتي تلقيت فيها من الأخ محمد إجماع الضباط على انتخابي قائداً للثورة ، وكانت بدأت علاقتي به في الجلسة التي عقدها في بيته بالحديدة ومعي المقدم علي الربيدي عندما بدأ التفكير في اغتيال الطاغية أحمد ، وسوف اتوسع في هذا الموضوع في مذكراتي . غير انه كما كان يوجد في صنعاء المناضل ناصر الكميم كان يوجد بالحديدة مناضل مجهول آخر كان له دور كبير في الحركة الوطنية ذلك هو الشيخ سيف عبد الرحمن علي الذي لم يتذكره أحد من الأحرار وان كان الأخ علي محمد سعيد قد نوه به في معرض شهادته عن الحركة الوطنية حينما تم ارسال الأسلحة والذخيرة من تعز الى الحديدة فصنعاء في قصة تدل على الشجاعة والبطولة قبل قيام الثورة . وسوف أوفي موضوع

هذين الجنديين حقهما في مذكراتي ، وهذه الشهادة مسجلة في مركز الدراسة والبحوث .

أما ما جاء في كتاب (ثورة سبتمبر) وأسرار الثورة وغيرها من الكتب ونقل بعضهم على لساني بأنني اشترطت أولاً الاطلاع على مخطط الثورة ، وكيف لي أن أشترط وأنا عضو مؤسس لهذه الثورة ومطلع على كل أسرارها ومبادئها حتى من موقف الزعيم جمال عبد الناصر من خلال الرسالة الجوابية التي حملها الي المناضل عبد الغني مطهر جواباً على الرسالة التي حررتها للزعيم عبد الناصر وقتها لأتأكد من موقف الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة للثورة ، ومن خلال اجتماعاتي الكثيرة بالقائم بالأعمال المصري محمد عبد الواحد وقبله السفير احمد ابو زيد ، ثم القائم بالأعمال نبيل الديبروطي لأني وأنا المجرّب الذي قضيت قرابة عشر سنوات في سجون الإمامة ونجوت من الموت المؤكد ثلاث مرات ، كنت أعرف شعبنا والتخلف الفكري الرهيب الذي كان يعيشه الى جانب العقيدة الراسخة في قلوب الكثير من أبنائه بالنسبة للأئمة الذين كانوا يعتبرون ظل الله في الأرض ويحكمونه باسم الشريعة الإسلامية والعقيدة الراسخة ، وبأنهم ينتمون الى أهل البيت وغير ذلك من الدعاوى والادعاءات الطويلة العريضة ، وإذن فالمسألة كانت صعبة جداً لا سيما إذا قسنا بما جرى من تجارب ٤٨ وحركة ٥٥ والأخطاء التي أدّت الى ما جرى فيهما من مآسٍ وذهب من الضحايا ، مع أن الذين تصدّروا القيادة فيهما أئمة من أهل البيت نفسه أحدهما الامام عبدالله بن أحمد الوزير الذي كان معروفاً عند القبائل باستقامته وديانته ، والثاني الامام عبدالله بن حميد الدين من الأسرة الحاكمة وشقيق الطاغية أحمد . ومع هذا فقد فشلت التجربتان ، فما بالك برجل من أبناء الشعب العاديين يقود ثورة ينهي بها الإمامة ويعلن بعدها النظام الجمهوري الذي لا يعرف ولا يفهم معناه سوى القوى الوطنية المستنيرة ورجال الثورة ، ثم في أي منطقة ستقوم هذه الثورة ؟ إنها في الجزيرة العربية والخليج الذي كان الانجليز والأمريكان والغرب بأسره يتحكمون في آبار النفط فيه واستخراجه وتصنيعه وهو السلاح الرهيب الذي ما زال يحكم العالم الى الآن . هذا ولا

يناقض هذه الحقيقة كون الضباط الأحرار والقوى الوطنية المشاركة معهم قد قاموا ليلتها بواجبهم الذي تمثلت فيه البطولة والشجاعة والفدائية ، وذلك بالرغم من قلة الذخيرة والامكانيات البسيطة . إلا أن المتتبع لحالة شعبنا والوقت والظروف التي قامت بها الثورة لا بد وأن يتذكر بأنها قامت في وقت لم يختلف فيه الوضع في اليمن عما كان عليه الحال في ثورة ١٩٤٨ وحركة ١٩٥٥ الا بنسبة بسيطة . وهذه النسبة تمثّلت في يقظة الطلاب في المدرسة الثانوية والمتوسطة والتحضيرية ودار المعلمين والمدرسة السيفية بتعز والحديدة ، ومن مجموع هذه المدارس تكونت الكليات العسكرية الثلاث ، الحربية والطيران والشرطة ، ثم انضمت اليها مدرسة الأسلحة التي كان طلابها من خريجي هذه الكليات ، اما بعض ضباط المدرسة الحربية ومدرسة الإشارة السابقتين فقد سبق ان اشترك معظمهم في ثورة ٤٨ وحركة ٥٥ ، فمنهم من قتل شهيدا بسيف الجلاد ومنهم من قضى في سجون الإمامة فترات طويلة وشارك في ثورة ١٩٦٢ . أما إخواننا المدنيّون الذين انضموا الى الثورة فمنهم من شارك في الحركات الوطنية ومنها ثورة ٤٨ وحركة ٥٥ ، ومنهم الشباب الذين زاملوا الضباط الأحرار أثناء الدراسة ويعتبرون فرعاً منهم . واما المشايخ والتجار الأحرار الذين شاركوا في العمل الوطني من قبل ومن بعد فهم قلة ومعروفون للجميع ، وحسبهم فخراً مشاركة أولادهم مع الطلائع الثورية لتفجير ثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة .

هذه كلها هي حصيلة الرجال الذين كنانعرفهم عند قيام الثورة بالإضافة الى مشاركة مدرسة الاشارة ومدرسة ضباط الصف الذين أدّوا دوراً بطولياً مشهوداً ، مع مجاميع قليلة من ضباط الصف وجنود الجيش المظفر والدفاعي . اما الباقون وهم معظم أبناء الشعب ، فقد كنا على يقين وعلم بحالتهم ومستواهم الفكري وما كانوا يعانون من الفقر والتعاسة والجهل والتجهيل، وهم إن فكروا فلا يفكرون الا بما يعولون به انفسهم واولادهم ولا يهمهم بعد هذا من يحاول إنقاذهم او يأخذ بأيديهم الى طريق الخلاص ، لأن الجهل المطبق وعقيدة الإمامة الراسخة في أعماقهم والجوع والجهل وقيود التخلف التي اثقلهم بها

الإمام وسجن الإمام الكبير الذي كانوا يعيشون فيه قد حصر فكرهم في زاوية ضيقة وهي التفكير في كيفية الاستمرار في حياتهم على الرغم من ضيقها وقسوتها ، الأمر الذي حدا بمئات الآلاف منهم الى الهجرة وتحمّل قسوتها وآلام غربتها .

أما ما كان يسمى بالجيش المتوكلي فالضباط الكبار من القوى الوطنية كانوا يعرفون هذا الجيش حق المعرفة وتركيبته الغريبة وما أراد الإمام وحاشيته من تشكيل هذا الجيش ـ وقد كان هو أيضاً ضحية من ضحاياه حيث ضيّق عليه سبل الحياة ، وقرّر لأفراده وضباطه المرتبات التي لا تقوم بأودهم ولا تكفيهم للحاجات الضرورية التي تقيهم الموت جوعاً ـ الا لاستخدامه في ما كان يسمى بالمأموريات والمحطات التي شرحتها في كتابي (الجيش المتوكلي) فقد أطلق هذا الجيش على المواطنين الذين كانوا يكدّون ويكدحون لدفع الزكاة والضرائب والمكوس والضرائب المتعددة للحكومة التي كانت تستأثر بالكثير من هذا، ثم تترك النزر اليسير للمحصّلين ومن معهم من عسكر الإمام الذين سخرهم لهذا الغرض ، وذلك حتى يبذر العداوة بين أفراد الجيش والشعب لينشغلوا بعدواتهم وينصرفوا عن التفكير في ظلمه وجوره .

ولا حاجة لي بأن أذكّر بمأساة البطل الشهيد أحمد يحيى الثلايا حينما شجعه الجيش بتعز على ان يقود حركة التمرّد ضد الطاغية وعاهده على الوقوف بجانبه ، ثم عندما فشل وفشلت الحركة انقلب عليه جيشه ، وكيف قاده الطاغية وهو مثقل بالقيود بين الجيش الذي اعتمد عليه وكيف كان يخاطبه في ساحة الإعدام ويعدّد ما صنعه له ثم يلتفت الى الجيش الذي عاهد البطل ويستشيره فيما يستحقّه من الجزاء ، فكان جواب الجيش مع الغوغاء الذين تحلّقوا في ساحة الإعدام القتل للبطل الثلايا ، وهذا لا ينفي أن أفراداً من هذا الجيش شقّ عليهم هذا الموقف المحزن وتمنّوا وقتها لو قتل الطاغية ، ولكن هذا هو شأن الجيش الذي لا ذنب له والذي جعله الطغاة لا يعرف ولا يفقه من أنظمة الجيوش الحديثة شيئاً . وسنأتي على بعض الأمثلة فيما بعد ان شاء الله ، هذا

بالاضافة الى عدم وجود قانون ولا نظام للدولة ولا أي جهاز من الأجهزة الحديثة .

كانت هذه إشارة عابرة لوضع بلادنا قبل الثورة، وفي الفترة التي تكاثرت فيها الاجتماعات ونشطت جميع الخلايا ومنها الخلية التي كنت أرأسها من ضباط الجيش والأمن والمدفعية ، وبينما كنا نوالي اجتماعاتنا ونكثف نشاطنا ونتدارس كل الاحتمالات فوجئت باقتراح من البدر بسفري الى تعز لمراجعة الإمام في زيادة معاش الجيش وكان هذا الاقتراح بعد الجلسة التي عقدناها في بوعان ، فاستغربت جداً هذا الاقتراح ورغم أنني خمنت الغرض منه فقد قلت للبدر كيف أستطيع المراجعة في زيادة معاش الجيش وانت ابنه وولي عهده ، ثم ما علاقتي بالجيش وهناك امراء له أدرى بمشاكله ؟ ولكنه بعد هذا أصرّ وأصدر أمره بعزمي وزيادة في التمويه حرّر بيدي رسالة لوالده . وهنا أدركت الغرض من طلبي وتأكدت أنه قد اتفق مع والده على التخلص مني ولكن تذكرت وقتها خلية الثوار بتعز والتي كانت تتربّص بالطاغية وتعتزم اغتياله ، فعزمت على بركة الله ونزلت بدار الضيافة في غرفة مجاورة للنقيب الصعر الذي كان يراقبني . وكان أول من علم بوجودي المناضل عبد الغني مطهر الذي زارني وشرحت له المؤامرة التي تُدبّر للخلاص مني ، ثم زارني في اليوم التالي المناضلان عضوا خلية الضباط الأحرار الملازم المرحوم سعد الأشول والملازم محمد حاتم الخاوي ، اللذان شرحت لهما قصة وصولي الى تعز والمؤامرة التي اتفق عليها الطاغية مع ابنه البدر للتخلص مني ، وكان هذا بعد جلسة بوعان . ثم شرحا لي قصة خليتهما واستعداد الضباط الأحرار المتواجدين بتعز للقيام بواجبهم وأنهم يتحيّنون الفرصة في كل يوم للقضاء على الطاغية ، وما علينا إلا أن نطمئن ، وقد لمست من خلال حديثهما العزم والقوة والصدق ، وشرحت لهما أوضاع الضباط الأحرار وبقية القوى الوطنية بصنعاء وانتظارهم الساعة الحاسمة . ثم قلت لهما إنه لا خوف ولا تثريب على الجميع ما دمنا قد وهبنا أرواحنا لله وللوطن ، وأنه إذا سقط منا رجل فهناك من الرجال كثيرون يحملون راية الثورة ويحافظون على العهد حتى يكتب لشعبنا الخلاص من حكم الطغيان .

ومن حسن حظي وحسن حظ الثورة أيضاً أنني عندما وصلت تعزّ كان الإمام قد أشرف على النهاية المحتومة ولم يعد يعي شيئاً نتيجة النزيف المستمر من الجراح التي سببتها رصاصات الأبطال الثلاثة العلفي واللقية والهندوانة ، والأمراض التي انتابته بفعل المخدرات والمكيّفات ، وبعدها وصل ولي العهد لزيارة والده وطلبني لمقابلته فناشدته في هذه المقابلة أن يسمح بعودتي الى صنعاء ، وكانت المرحومة والدته قد لامته ورجته في أن لا يفرط في أو يغدر بي ، الى جانب مناشدة الإخوان العقيد عبدالله الضبي والأستاذ هاشم طالب والمقدم صالح العروسي حيث أوحوا اليه بأن هذا التصرف يعتبر بادرة خطيرة وسيجعل كل من اقترب من البدر يخاف على نفسه ، كما أنه يؤثر على قضية وفاء البدر لهؤلاء .

وقد سمح لي البدر بالعودة معه ولاحظت من تهربه مني ومن العقيد الضبي وبقية الأحرار بأنه بدأ يدبّر أشياء مع من كان يلوذ به من حاشية والده ، لا سيما عندما كان ينفرد ببعض الأشخاص الذين كانوا يتظاهرون بأنهم مع الثورة والثوار ثم بعدها يوجه لي وللأخ الضبي أسئلة كنا نستشف منها مهمات هؤلاء الذين ينفردون به ويجلسون معه الساعات حيث كانوا يكشفون له أسرار المؤامرة التي بدأت تقترب من التنفيذ ، بدليل أسئلته التي كان يكررها أمامي وأمام الأخ الضبي من أنه قد سمع أن الضباط ومعهم المشايخ يدبّرون شيئاً ، وكان جوابنا دائماً هو طمأنته ونفي أيّ خبر من هذه الأخبار التي يسمعها ، ثم نقول له ربما يكون هؤلاء الذين أبلغوه بالأخبار مدفوعين من عمّه الحسن بقصد دفعه للتفريط في أنصاره فيصفو الجو لعمه الحسن .

وقد توالت جلسات البدر التي كان ينفرد بها مع بعض هؤلاء ثم يكرّر ولي العهد أسئلته علي وعلى الأخ الضبي ومعنا في بعض الأحيان المقدم صالح العروسي والنقيب علي الشعبي ، ولكنه لا يخرج بأي فائدة ولا يسمع منا الا الأجوبة السابقة نفسها ، حتى ضاق مرة بنا وقال أنتم المسئولون عما يحدث في الجيش ! والغريب أن الأسئلة التي كان البدر يوجّهها لنا كل يوم كنا نسمعها من حاشيته الجديدة ، حتى أن بعضهم كان يلحّ علينا في الأسئلة ويقول بتوضيح

اكثر : سواء صدقتم أو غالطتم فالمسألة أصبحت واضحة ولا تحتاج الى سؤال أو جواب ، الأمر الذي كان يدفعنا لأن ندخل مع هؤلاء في جدال عنيف مستخدمين المنطق المعقول لديهم وهو : أنكم بأقوالكم هذه سوف تدفعون الضباط وهم المخلصون لولي العهد الى الحركة ولو من قبيل الدفاع عن النفس ، ثم بعدها كنا نلتقي بالأخوة القاضي عبد السلام صبرة والفريق حسن العمري والبطل الشهيد صالح الرحبي والمقدم عبدالله جزيلان ونحثّهم على الإسراع بالحركة قبل أن ينكشف أمرها ويتضح كل شيء ، وهم بدورهم كانوا يبلغون التنظيم وبقية الخلايا ، ويظهر أن القدر وإرادة الحي القيوم قد أعمت صواب رجال الحكم الإمامي ، بالاضافة الى استماتتي والأخ الضبي وبعض الأحرار المحيطين بالبدر في الدفاع عن الثورة وحمايتها من الذين أرادوا الكيد لها وكشف أسرارها ممن كانوا يتظاهرون بالثورية والوقوف في صف الثوار ، وأهم من ذلك كله فقد أذن الله بإنقاذ شعبنا ، وإلا فما معنى تكرار هذه الأسئلة التي كانت تقطع الشك باليقين بأن المؤامرة قد انكشفت خيوطها واتضح كل شيء للمسئولين ؟ ! . . وممن ؟ من بعض فاقدي الضمير الذين ظنّوا أن من الشطارة الاحتفاظ بخط الرجعية مما يجعلهم يتخلّون عن مبادئهم وكلمة الشرف التي أعطوها للمحافظة على الأسرار ويدلون للبدر بكل شيء ، وهؤلاء معروفون ويشهد معي عليهم العقيد عبدالله الضبي والمقدم صالح العروسي وغيرهما .

نعم لقد أذن الله لشعبنا بالخلاص ، وآن للمعجزة أن تتحقق وللثورة أن تقوم ، بالرغم من هؤلاء الشاطرين حتى لو جاء في كتاب أبنائي بعض ضباط الثورة بأن التنظيم وخلاياه كان من السرية بحيث لا يستطيع أحد أن يخترقه أو يطلع على أي شيء من أسراره أو خفاياه . فما رأي هؤلاء بأننا في الأيام الأخيرة قد منعنا تنفيذ اقتراح هؤلاء الواشين بأن يُنفى الشهيد علي عبد المغني وعبد اللطيف ضيف الله واحمد الرحومي ومحمد مطهر وأمثالهم من المتحمسين الى القاهرة بعذر أخذ دورة تدريبية عسكرية هناك ثم يجري توزيع الباقين على العمل في الجيش بصنعاء وتعز والحديدة وحجة ومأرب والحزم وغيرها من المراكز والقضوات والمدن الصغيرة حتى يتفرق شمل الضباط الأحرار ويذوبون

في هذا المحيط الواسع فتضعف قوتهم وينتهي الأمر ؟ وكان القرار أن من يرفض تنفيذ هذا المخطط الجهنمي فالقوة كفيلة بحمله على الطاعة وتنفيذ الأوامر ، ويعلم بهذا ويشهد عليه كل من كان قريباً من البدر . وعلى الأخص أنا والعقيد الضبي وصالح العروسي والنقيب علي الشعبي . والذي كان يبدي هذا الرأي بعض العقلاء أعني المتحاملين على الضباط الأحرار ، أما الأذناب والعملاء فقد كانوا يعتبرون هذه المؤامرة فرصة ولي العهد الذهبية ليبدأ بها تأسيس ملكه كما بدأها من قبل أبوه وجده .

والتاريخ اليمني الحديث ومن بقي ممن عاصروا الإمام يحيى وولي عهده أحمد وأخاه الحسن يعرفون كيف بنى أفراد هذه الأسرة ملكهم وكيف ارتفع على الجماجم والدماء الغزيرة حتى رووا سيوفهم من دماء القبائل والأحرار . وقد كان أولئك الموتورون والحاقدون يعتبرون القضية مسألة سباق بينهم وبين الأحرار الثوار ، إلا أن رحمة الله والنفوس الطاهرة والنيات الطيبة كانت أسبق من هؤلاء جميعاً حيث وافت المنية طاغية القرن العشرين في التاسع عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ م بعد أن طالت بنا الأيام ونحن نترقب الفرصة السانحة لاغتياله وإكمال المهمة المقدسة التي بدأها الأبطال الثلاثة الشهيد اللقية والعلفي والهندوانة . وكان لا يمضي يوم إلا ونحن في انتظار تنفيذ الخطة التي وضعها الثوار وأسندت الى البعض لتنفيذها ، الأمر الذي حدا بالمتعجلين من الضباط الأحرار تدبير خطة أخرى يتم فيها اغتيال ولي العهد ، والذي أصبح بعد موت أبيه خليفة من بعده في اليوم نفسه الذي ستشيع فيه جنازة والده ، ولكن العقلاء منهم ومنا قد رأوا بعد دراسة الخطة بأنها ستتسبب في مذبحة كبيرة في حالة تنفيذها ، وذلك لضخامة عدد المشيّعين الذين يقدرون بالآلاف وقد كنت أنا مع التأجيل .

ثم وصلت الجنازة من تعز ومعها جنازة محمد أحمد الشامي الذي أراد الله جلّت قدرته أن يموت مع الإمام في يوم واحد . وانتهت مراسم التشييع بسلام ، ثم توافد على صنعاء من تعز بقية الحاشية ورجال دولته المعروفين يتقدمهم الشباب من أفراد الأسرة المالكة ، وأحاطوا بالإمام الجديد إحاطة السوار

بالمعصم وأبعدوا عنه كل العقلاء والناصحين ، وانشغل الجميع بالبيعة وتشكيل الحكومة ، وتدبيج الخطب والبيانات التي ستذاع على الشعب المغلوب على أمره والمفترى عليه والذي سيكتب له - إن لم تقم الثورة لإنقاذه - أن يواجه هؤلاء الرجال الذين أفسدوا كل شيء وشاركوا الطاغية والده في كل ما اقترفه في حق الأمة والبلاد من ظلم وتسلط وقهر وطغيان لم يسبق له مثيل حتى في عصر محاكم التفتيش .

أما من بقي من الأحرار الذين لم يصلوا الى قناعة كاملة بأن البدر والامام الجديد سوف يكون صورة من والده سواء أرادوا أو لم يريدوا لأن الرجال الذين تجمعوا حوله في الأسبوع الأول والأخير من خلافته هم حاشية الإمام وأنصار عمه الحسن وهم لا يرغبون ولا يريدون تغيير أي شيء مما سار عليه الإمام يحيى وابنه أحمد أو العباس بنهجيهما المتخلف لا سيما عندما يتبادر الى ذهنهم قصة الثورة المصرية وزعيمها جمال عبد الناصر ، وكيف أن الثورة قضت على الفساد ودعائمه وركائزه من أفراد حاشية الملك فاروق وأفراد الأسرة المالكة ، وكيف أن جمال عبد الناصر تمكّن من هزّ هذه العروش وقام بتأسيس إذاعة صوت العرب ، هذا الصوت الذي كان يدوي ليلاً ونهاراً ويقضّ المضاجع ويدعو الشعوب العربية الى الثورة والتمرّد على الأنظمة الأثرية وأولها نظام اليمن الذي كان يجب الثورة عليه .

من هنا فإن الذين تحلّقوا حول الإمام الجديد لا يمكن أن يغيّروا أو يبدلوا ، بل على العكس لقد اقترحوا على الإمام الجديد بأن يستدعي عمّه الحسن الذي يفوق والده الإمام يحيى تحجراً ويحمل عقلية متخلفة لم تعد موجودة على ظهر هذه الأرض ، وكان الرأي أن يُسند اليه منصب نائب الإمام وفعلاً استجاب البدر للرأي بكل سهولة رغم معرفته المؤكدة بخطر قدومه عليه ، لكنه بدا مسلوب الإرادة ومسيّراً بآراء حاشية أبيه ، وقد أرسلت شفره لعمه الحسن بأن يبادر لتسلم هذا المنصب أو يتسلم محافظة صعده وغيرها من المحافظات الشمالية ، وكان من حسن حظ الثورة وحظ الثوار أن الأسبوع الأول الذي تقلّد فيه البدر الإمامة كاد ينقضي وهؤلاء مشغولون بهذه المخططات ، ولولا أننا بادرنا باعلان الثورة

بعد ان انكشف مخطط الحسن واستماع الشعب لخطبة الجمعة الأولى الشهيرة ، التي كشفت البدر على حقيقته وعرّته أمام من كان يؤمل فيه ويتردّد في الثورة عليه ، والتي قال فيها بعد أن هدّد وتوعّد « بأنه سيسير بالشعب المنكوب » سيرة أبيه وجده والأئمة من قبل - نعم لو لم نبادر قبل اكتمال حلقات التآمر بعد أن يكتمل نصاب الأسرة بمجيء الحسن فيعلم الله ما ذا كان سيحل بنا وبشعبنا المسكين . ومع هذا فإني ومعي الكثير من العقلاء نعرف بأنه لولا قيام الثورة في وقتها لتربّع الحسن لا سمح الله على عرش الإمامة بعد قدومه الى اليمن بوقت قصير ، لان الرجال الذين التفّوا حول البدر قبل الثورة كانوا من أنصاره بما في ذلك حاشية الإمام أحمد وأنصاره وبقية الأمراء من أفراد أسرة بيت حميد الدين بحيث استطاع هؤلاء في خلال هذه الفترة القصيرة أن يهيّئوا الجوّ المناسب لترشيح الحسن للخلافة ولم يبق غير قدومه المشئوم . ويعلم الله ماذا كان يخبيء القدر لبلادنا لو انتهى الحكم الى هذا الطاغية وأنصاره . ذلك لأن البدر كان قد استجاب لكل الاقتراحات والتوجيهات والشروط التي فرضها هؤلاء عليه بل وزاد عليها بخطبته يوم الجمعة المشهورة . وأنا بهذا الكلام أضع النقاط على الحروف لمن كان يتردد وقتها ويطلب التأجيل حتى تنتهي تجربة الإمام البدر ، وقد شاءت إرادة الله أن تقوم الثورة وتنتصر وذلك بالرغم مما كان يدبّره هؤلاء القساة العتاة .

كانت هذه التدابير التي بدأ ينفذها البدر لمواجهة الثورة المحتملة والتي لم يقتنع بأجوبتنا على أسئلته وآرائنا في الثوار - كانت هذه التدابير مقنعة لمن كان مؤملا في عهده الجديد أو تردّد في الانضمام الى صفوف الثوار وتأييد خطة الثورة التي تبنّت القضاء على العهد الجديد واجتثاث النظام الملكي من جذوره واقامة نظام الشعب على أنقاضه ، وهو النظام الجمهوري ، وبهذا اكتملت الحلقة التي جمعت الثوار وكل القوى الوطنية الشريفة على مبدأ الثورة الشاملة وبدأ السباق الرهيب بين الخير المتمثّل في الثورة والشرّ المتمثّل في عصابة الأثريين . وانتصر الخير في النهاية وانهزم الشر وهذه سنة الله في خلقه ، ثم بعد ان اقتنع الجميع وظهرت الاحتمالات السرية بين البدر وبعض من كانوا

يحافظون على خط الرجعة ، وما حدث في الاجتماع الأخير بين المشايخ الوطنيين الذين رفضوا مبايعة البدر إلا بشروط بالإضافة الى الخلاف الذي حصل بين هؤلاء المشايخ وغيرهم ممن ظلوا عل عهدهم مع أسرة بيت حميد الدين حتى أدّى هذا الخلاف إلى اشتباك البعض، مما حدا بمؤيدي البدر الى مقابلته وكشفوا له في هذه المقابلة سرّ هذا الاجتماع وحذّروه من السكوت والتهاون، وأنه لا بد من اتخاذ اجراءات حاسمة، وهو ما جعله هذه المرة يشعر بالخوف والترقّب ويعيد علي وعلى الأخ الضبي سؤاله المعتاد عما يسمع، وأنه قرر أن يضرب ضربته سواء أجبنا عليه بما يؤيد شكوكه أو بنفيها. فكان جوابي عليه بأنه وقد بادر جميع أنصار الحسن بالدخول الى صنعاء ومعهم الأمراء الصغار من بيت حميد الدين فانه لم يبق معك غير هؤلاء الضباط والمشايخ الذين ارتبطوا وربطوا مصيرهم بمصيرك.

وأيّدني في هذا الرأي الأخ الضبي وأكّد كلامي ، وكان جواب البدر انتما المسئولان عن هذا الكلام اذا حدث عكسه ، ولن أتهاون بعد الآن اذا ظهر غير هذا ، ثم اجتمع مع بعض خاصته ومنهم وزير خارجيته حسن بن علي بن ابراهيم الذي زمجر في وجوه المشايخ في بيته وهدّدهم بالويل والثبور إن هم اشترطوا على بيعة البدر أي شروط وواصلوا اجتماعهم للنظر في تدابير مواجهة الضباط والمشايخ . وأنا بدوري أخبرت المجاهد الكبير القاضي عبد السلام صبرة والفريق حسن العمري والشهيد المقدم صالح الرحبي بأن المسألة قد انكشفت وأنها قد وصلت الى حدّ التهديد والوعيد ، وفي الجلسات السرية التي يعقدها البدر ما يوحي بتدبير شيء ، والمسألة أصبحت كما قلت سباقاً رهيباً بيننا وبينهم ، والرأي ان نسبق بدون تأخر ، وقد اعتبرت هذا التحذير الأخير إشارة بدء الثورة وقطع دابر المتردّدين والمتخوفين والمتخاذلين ومن كان ينصح بالتأخير والتأجيل .

هذا وبينما كان البدر يوالي جلساته مع الخاصة من رجاله ويكيدون للثورة ورجالها ويدبّرون توجيه ضربة للمشايخ الوطنيين تكون عبرة للآخرين، إذا بالمقدم

صالح الرحبي يصل إلي يوم الأربعاء مندوباً من الضباط الأحرار ويخبرني بأنه تقرّر القيام بالثورة هذه الليلة ، وطلب أن أكون على استعداد لقيادة هذا الحدث العظيم ، ونبّه عليّ المقدم الرحبي ألاّ أغادر المنزل من الساعة التاسعة حتى وصول المدرعة التي ستقلّني مع الضباط المرافقين الى مبنى الكلية الحربية الذي وقع الاختيار عليه ليكون مبنى قيادة الثورة. ويعلم الله أن هذا الخبر العظيم هو ما ظللت أحلم به منذ خروجي من سجنة حجة كوسيلة لخلاص شعبنا من ليل الظلم الطويل الذي لفّه بعجلة التخلّف الرهيب وسجنه في عزلة جعلت من بلادنا سجناً كبيراً يتولى حراسته أئمة قساة وجلاّدون شداد غلاظ من أسرة بيت حميد الدين ، لقد هزّني أولئك الرجال العظام الذين سقطوا مع قوافل الشهداء في مسيرة نضال شعبنا والذين كان حقاً على الأحياء أن يفوا بالعهد ويؤدوا الأمانة التي عاهدوهم على الوفاء بها حتى تستقر أرواحهم التي أوهنها التعب من طول الانتظار لمثل هذا اليوم العظيم ـ في رحمة الله .

وقد أكد لي هذا الخبر العظيم المقدم حسين الدفعي الذي ركب معي السيارة ومعنا المقدم هادي عيسى اللذان التقيت بهما وقت الظهيرة ، ونزلنا معاً حيث كرر على مسامعي ما سمعته من الشهيد الرحبي بضرورة التزام البيت في الليل حتى تصل المدرعة والمرافقون المكلفون بنقلي الى مقر القيادة ، أما آخر من أنبأني بالتوقيت فهو الأخ القاضي عبد السلام صبره الذي أرسل إليّ الأخ محمد حسين صبره يؤكد لي الخبر العظيم ، وذلك قبل مغادرتي لقصر البدر .

وبعد أن قمت بالمرور على الضابط الفدائي المقدم حسين السكري الى مقري في إمارة الحرس وجدته متحفزاً ومتوثباً وعلى أتم الاستعداد للقيام بواجبه وتنفيذ المهمة المقدسة التي أوكلت اليه ، وودعته ودعوت له بالنجاح والثبات ثم غادرت بعد ذلك دار البشائر الى بيتي .

وهناك كتبت وصيتي وودّعت أهلي وأولادي على أساس أنني ذاهب في مهمة خاصة للبدر الى تعز . وطال انتظاري ولم تصل المدرعة حسب الاتفاق

رغم أن الاشتباك بدأ بين الثوّار والبدر وأنصاره ، الأمر الذي دفعني إلى أن أركب سيارتي الخاصة وأتجه بها الى القيادة ، غير أني صادفت المناضل المقدم عبدالله الراعي الذي نصحني بالعودة الى بيتي حتى تصل المدرعة ، لأن النار الكثيفة التي يتبادلها الثوار مع البدر وأنصاره سوف تشكل خطراً على حياتي وعلى السيارة ، وانه بدوره سوف يؤكد على المسئولين بسرعة إرسال المدرعة .

واضطررت للعودة الى بيتي بعد ان استحال تنفيذ خطة الوصول الى القيادة بسيارتي الخاصة في وقت مبكر من بدء تنفيذ خطة الثورة ، وفور عودتي اتصلت بالقاضي عبد السلام صبره وحثثته على إرسال المدرعة فقال إنه سوف يتصل باللواء جزيلان ويحثّه على سرعة إرسالها، ثم اتصلت بعدها بالكلية الحربية فأجابني اللواء جزيلان بأنه لا توجد لديه مدرعة في الوقت الحاضر؛ ولكنه سوف يرسلها عند وصول ضباط الدورية، وهنا بدأت الشكوك تراودني وقلت في سرّي ربما يكون جزيلان منتظراً وصول اللواء حمود الجائفي من الحديدة، وبنيت هذا الرأي على أساس الكلام الذي سمعته من البطل الشهيد صالح الرحبي قبلها بيوم واحد من ان الأخ عبدالله جزيلان والأخ المقدم أحمد الرحومي سافرا الى الحديدة ليحاولا مرة ثانية إقناع الأخ حمود بأن يطلع من الحديدة ليتسلم القيادة .

لكن ما كاد الليل ينتصف حتى توالت المكالمات التلفونية على بيتي ومنها مكالمة من الفريق حسن العمري يحثني فيها على التحرك الى القيادة فأجبته إنني ما زلت في انتظار المدرعة بعد ما استحال علي الوصول الى القيادة بسيارتي ، ثم جاءت مكالمة أخرى من القاضي عبد السلام صبره الذي قلت له إن المدرعة لم تصل حتى الآن ، ثم كان آخر المتكلمين تليفونياً العميد محمد عبد الواسع نعمان الذي حثّني على سرعة الوصول لأن الموقف اصبح حرجاً للغاية . وبذلت من فوري محاولة ثانية بسيارتي لكنني لم أتمكن فعدت بالسيارة وسائقها محمد الحنبصي بعد ان اصيبت السيارة بعدة طلقات وكاد السائق البطل ان يموت لولا أن عاد مسرعاً للبيت مرة ثانية ، وما زال والحمدلله على قيد الحياة حتى الآن .

ثم اتصلت بالكلية الحربية وكان الجواب في هذه المرة بأن المدرعة في طريقها اليك ومع هذا لم تصل الا الساعة الرابعة صباحاً قبل الفجر ، وكان عليها البطلان الشهيد المقدم صالح الرحبي والمقدم أحمد الرحومي . وكان الموقف قد تأزّم بدرجة كبيرة ، وتوجهنا من فورنا الى مبنى الكلية الحربية ، وقبل أن أروي ما قمت به في هذه اللحظات التي كانت فيها الثورة في غاية في الحرج ، لا بد من حل لغز المدرعة مع القارىء ، وذلك من خلال ما أورده جزيلان في كتابه حيث قال بأنه كان قد أرسل برقية للواء حمود الجائفي يحثّه فيها على الوصول ليلة الثورة ولكن البرقية كما روى ورواياته طبعاً كثيرة لم تصل . فاذا صحّ هذا ولم تكن هذه من رواياته الخيالية ، فمعنى هذا أن جزيلان كان غير مقتنع بقيادتي للثورة ، أو أنه ، والله أعلم ، احتاط لذلك ، وإلا فما معنى أن يخالف عبدالله جزيلان إجماع التنظيم الذي بلغ الي بواسطة القاضي عبد السلام صبره والمناضل الشهيد صالح الرحبي وغيرهما ، ثم أكد ذلك البطل الشهيد علي عبد المغني بأنه تمّ انتخابي لقيادة الثورة كما سبق وأوضحته ؟ لقد ظهر ليلتها بأن جزيلان ولا أدرى من معه كانوا يرجّحون أن يقود الثورة حمود الجائفي . وفي رأيي أنه لا فرق بين السلال أو الجائفي ، فهما زميلا كفاح وقد كانا ملتقيين على مواصلة النضال حتى يتحرّر شعبنا وبلادنا من كابوس الإمامة الثقيل . والدليل على صدق رأيي وصحة نظريتي أنه بعد مرور أربع وعشرين ساعة على قيام الثورة وصل اللواء حمود الجائفي من الحديدة وتوجه الى قيادة الثورة فنهضت من كرسي القيادة وقلت له تفضل استلم القيادة فمكانك هنا وأنت أحق بها مني ، ولكنه رفض وأصرّ إصراراً شديداً على التمسك بقيادتي ، وبارك قرار الإخوان الضباط الأحرار بانتخابي بالاجماع قائداً للثورة وأصر على الرفض والتمسك برأيه رغم مراجعة بعض الضباط الأحرار له بان يتسلم القيادة .

والحق يقال إن هذا الموقف كان كريماً ومشرفاً للجميع ، والمبادرة كانت مني شخصياً ، ودون أن يقترح علي احد كما جاء في بعض الروايات ، هذا وقد أكدت الأيام صدق هذه الرواية وانحلّ لغز تعطيل المدرعة حتى الساعة الرابعة

صباحاً ، غير أنني أحب لفت نظر القارىء الى اختلاف الروايات في تحديد الوقت الذي وصلت فيه الى القيادة . فجزيلان قال بأني وصلت في الساعة الثامنة صباحاً وكتّاب لجنة الضباط الأحرار قالوا في كتابهم بأنني وصلت الساعة السابعة صباحاً . اما الرواية الصحيحة والتي جاءت في شهادة المناضل المقدم احمد الرحومي والذي وصل بالمدرعة ومعه البطل الشهيد صالح الرحبي الى بيتي فقد قال بانهم وصلوا الي قبل الفجر . وهذه هي الرواية الصادقة ، ولا ادري كيف أفسّر اختلاف الروايات ولكن أترك للقارىء اللبيب تفسير هذا التناقض الغريب .

واما اول عمل قمت به فهو الاجتماع الذي عقدته مع بعض أعضاء الثورة الذين كانوا متواجدين في القيادة وهم : المقدم ناجي علي الأشول واللواء عبدالله جزيلان والمقدم عبداللطيف ضيف الله والشهيد البطل علي عبد المغني حيث استعرضنا الموقف العسكري من جميع جوانبه والمشاكل التي واجهت الثوار ليلتها وأدّت الى أحرج المواقف وستؤدّي لو استمرت الى خطورته ، وكان أهمها امتناع المسئولين عن قصر السلاح عن فتح الباب لتموين مواقع الثوار بالذخيرة التي أوشكت على النفاد . أما ثانيها فهو احتلال اميري الجيشين المظفر والدفاعي لثكنة المدفعية بعد أن كان الثوار مكلفين بقيادة المقدم حمود بيدر باحتلالها ، وقد نفذوا التكليف واحتلوها والسيطرة عليها ولكنهم اعتقلوا بعد وصول اميري الجيشين وسيطرة الأميرين مع قائد المدفعية عليها ، ثم بدأوا يهدّدون الثوار في الكلية الحربية المواجهة لثكنة المدفعية ، اما ثالثها فهو موقف فوج البدر الذي بدأت الرسائل تنهال عليه من البدر تباعاً والى بعض ضباط الجيش المظفر والدفاعي ، وكان الخوف من الفوج أن يستجيب لهذه الرسائل فيهاجم مبنى الكلية الملاصق للثكنة . وبعد تدارس الموقف بدأت الاتصال بالمسئولين في قصر السلاح بواسطة التلفون ، وأمرتهم بأن يفتحوا الباب ولكنهم اجابوني بأنه لا يمكن ان يفتحوا الباب إلا بأمر تحريري مني . وقمت بتحرير الأمر ووقعته باسم أمير الحرس ولكنهم رفضوا أولاً بعذر أن الأمر لا يمكن ان يصدر إلا من الإمام كما هي القاعدة التي أسسها الطاغية احمد بعد فشل ثورة ١٩٤٨ حينما

احتل عبدالله الوزير القصر في الظهيرة، وتأسست بعدها قاعدة عدم فتحه إلا بأمر من الإمام نفسه، فكيف يفتحون القصر في الليل؟

وهنا كان المأزق الذي صادف الثورة وصادفني في الوقت نفسه، وذلك بالرغم من وجود دبابتين كانتا ترابطان في بابي قصر السلاح، ومحاولة الضباط الأحرار المكلفين باحتلال قصر السلاح وفتحه بالتفاهم مع المسئولين في القصر. لكن النتيجة كانت الرفض. وهنا سؤال منطقي: وهو ماذا تستطيع دبابتان والقوة التي كانت معهما أن تصنع امام قصر السلاح وموقعه الاستراتيجي المتميز والقوة الضاربة التي أخذت وضع الاستعداد في مواجهة الثوار؟ ثم قررت الذهاب الى فوج البدر والأسئلة تدور في ذهني بدون إجابة، واجتمعت هناك في مقر الفوج بمن كان يوجد فيه من الرقباء وبحثت معهم موضوع تسلمهم لرسائل البدر ونصحتهم بأن لا يقوموا بأي عمل مضاد للثورة، طالما أن البدر قد استسلم وأمرني بأن أنصحكم بالاستسلام. ولكن رأيي الشخصي ونصيحتي لكم هو أنكم أولاً من الجيش واليه وهذه الثورة هي ثورة الجيش، فأجابني بعضهم: كيف تقول إن البدر قد استسلم وهذه الرسائل التي وصلت منه قبل ساعة يحثنا فيها على الصمود وضرب هؤلاء الذين احدثوا الفتنة؟ فقلت لهم إن هذه الرسائل قد حرّرها قبل وصولي اليكم وهل انتم واثقون من كلامي وانا الذي كنت المسئول الأول عنكم قبل رحيلي إلى الحديدة لاستلام الميناء؟ وهنا وافقوني وقالوا إذا كان الأمر كذلك فنحن من الجيش وإليه.

والغريب في هذه القصة هو ان الضباط المسئولين عنهم من الشباب من أمثال البطل محسن حباشي والبطل علي عنقاد والبطل عبد الرحمن الترزي وغيرهم الذين كانوا قد انضموا الى الثورة مع الضباط الأحرار كانوا قد سحبوا ليلتها كل الأسلحة والذخيرة التي كانت موجودة في المستودع الى جانب الدبابات والمدرعات. ومع هذا فالجنود الذين لا يعلمون بشيء او ان ضباطهم لم يخبروهم كانوا يخشون ان يقفوا موقف المعارضة للثورة ومحاولة مقاومتها،

لكن يبدو أنني خرجت من عندهم وقد أظهروا الاقتناع، ثم عدت بعدها الى مبنى الكلية ومقر القيادة لأحاول ثانية مع مسئولي قصر السلاح والتزمت لهم بأنني المسئول فيما يحدث من مسئولية بعد هذا. وظهر أنه لا فائدة من المحاولات بينما ما زال أمراء الجيوش على موقفهم في مبنى المدفعية ومعهم امير لواء المدفعية، مما يهدد مقر القيادة التي تقف مكشوفة امام المدفعية، والمواقع التي احتلها الثوار تطالب القيادة بإرسال الذخيرة في الوقت الذي بدأت فيه قوات الحراسة في قصور الإمام والسيوف من أولاده وأحفاده وأذنابهم وعملائهم يطلقون النار ويصوبون الرصاص على مواقع الثوار، ومعهم بيت زبارة الذي كان مسيطرا على القيادة.

وقد تمكنّا من إسكاتهم بطلقتين من مدافع الدبابات وفكرت كيف يجب الخروج من هذا المأزق الحرج الذي لو استمر بضع ساعات فقد ينهي الثورة وينهينا معها، وقبل أن أتعامل مع رئيس الاستئناف والمرتبين الذين كانوا في بيته يطلقون النار ويتكاثرون في كل ساعة بعد أن تطورت الرماية من البندقية الى الرشاش، وجمع كبير من أهل صنعاء قد بدأوا التجمع حول الكلية واندسّ معهم بعض الجواسيس والأذناب الصغار الذين كانوا بالطبع يبلغون أسيادهم بموقفنا ساعة بساعة، قلت للزملاء: ولماذا لا نرسل لرئيس الاستئناف من يستدعيه باسم البدر ونوصله الينا ونحتجزه ثم نعلم بأنه أعدم؟ وما دام الجمع المحتشد الآن حولنا من أهل صنعاء، فأنا كفيل بهم لما اشتهر عنهم من إطلاق الإشاعات والارجاف فانهم سوف يبالغون في القصة ويزيدون عليها، وهذه سنّة جبلوا عليها من قبل مئات السنين. وقد قال عنهم المؤرخ الكبير أبو الحسن الهمداني قبل الف سنة (ما رأيت كأهل صنعاء يرجفون على أنفسهم) ويظهر ان الله سبحانه وتعالى قد أذن للمعجزة أن تتحقق بوصول رئيس الاستئناف مع المجموعة التي ذهبت لإحضاره.

وبينما كنت أستجوبه عن مصدر الرماية اذ برصاصة القدر تنطلق على صدره ويموت بعدها ومعه ابنه الذي أصر على مرافقته رغم تحذير المجموعة له، وما

ان شاهد أهل صنعاء مصرعه مع ابنه حينما نقلت جثتاهما الى خارج مبنى القيادة حتى فزعوا وفروا وبعضهم يصيح بأعلى صوته ، إنهم يطلقون الرصاص على كل من يعترض أو يقاوم الثورة ، ويدعون الناس الى الهروب وهم يتحدثون عن قتل العشرات ، الأمر الذي جعل اميري الجيشين ينجوان بنفسيهما ويقفزان من فوق سور المدفعية ويتجهان نحو جبل نقم ، وذلك بعد ان حاول البطل الشهيد علي عبد المغني ومعه مجموعة من الضباط وضباط الصف أن يتفاهم معهما على سرعة إطلاق البطل حمود بيدر ومن معه حتى اضطر الى تهديدهم بضرب الثكنة بواسطة الدبابة التي كانت مرابطة في باب الثكنة ، وبعد هذا تم القبض على الأميرين وهما في طريقهما الى جبل نقم المنيع وأودعا مبنى القيادة ، بعد ان كانا قد شكلا مع مرتب قصر السلاح الذين كانوا على صلة بهم يؤيدونهم على موقفهم بعدم فتح بابي القصر خطراً كبيراً على الثورة . ولكن التدبير والدقة والسرعة والحسم هو الذي عجل بعدها بفتح أبواب قصر السلاح بعد أن بلغ المسئولين بالقصر بواسطة المرجفين من أهل صنعاء بأن عدد القتلى قد تضاعف ، الأمر الذي جعلهم يبادرون ويتصلون بي بأن أرسل إليهم الأمروهم على أتم الاستعداد لفتح الأبوابوتسليم الذخيرة المطلوبة .

وفي الحال سلمت الأمر الى البطل الملازم هاشم صدقة أحد الضباط الأحرار ومرافقيه باستلام الذخيرة المتنوعة ثم دعوت المناضل النقيب لطف العرشي وأخبرته بان يجهّز مستودعين للذخيرة وما سنحتاجه من الأسلحة ، ثم يتولى التوزيع على المواقع بأسرع ما يكون . وقد قام بهذا الواجب أتم قيام . وقد اعتبرت هذا التدبير ورصاصة القدر وما حدث بعدهما ، بأنه كان للعناية الربانية دخل في تلك الساعة الرهيبة وسوف أشرح بقية المفاجآت في مذكراتي . إن هذه اللحظة التي انفرجت فيها الأزمة بعد أن وصل الموقف إلى درجة الخطورة الشديدة هي التي تستحق من المنصفين أن يتأملوها . .

هذا ولو سئلت ما هي أصعب المواقف واحرجها التي صادفتك في حياتك ، لقلت انها الساعات التي صادفتني يوم فجر الثورة وما تلاها في ذلك اليوم المشهود ، وكيف كانت الدقائق واللحظات تمرّ وأنا أستعرض أمامي

النكبات والكوارث التي داهمت الأحرار والثوار والمواطنين الأبرياء عندما فشلت ثورة ١٩٤٨ م وما أعقبها من انتفاضات ثم المذابح الرهيبة التي ذهب ضحيتها خيرة الرجال من الآباء والأبناء وأصدقهم إيماناً وعزيمة بحيث لم يفرق الطاغية والجلادون معه عندما اعدمهم بتلك الصورة الوحشية بين العالم الكبير في السن والأديب والمثقف واصحاب الفكر وهم في عنفوان شبابهم ، الى سجن من انقذهم القدر في تلك السجون الرهيبة التي سبق ووصفت جزءاً يسيراً من عذابها وأهوالها ، ولا سيما وقد أشرقت شمس ذلك اليوم المجيد وما تزال المقاومة تشتد وتتجاوب من قصور الإمام وسيوف الإسلام ومن يلوذ بهم من الأذناب والعملاء . وكان التركيز الشديد على الاذاعة وبعض المواقع التي استمر الضرب عليها الى قريب الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الخميس ، هذا ولولا الروح الفدائية والشجاعة والثبات والإقدام التي كنت ومعي ثوار سبتمبر (أيلول) بحيث جعلتني أتمثل بالحكمة المأثورة (اطلب الموت توهب لك الحياة) لتغيّر الموقف لا سمح الله .

إلا أن الذي كدّر هذه المواقف البطولية هو فرار البدر رغم القوة الكبيرة التي كانت ترابط حول قصره ، مما اضطرني ومعي الثوار أن نعلن دمار واحتراق القصر . وعلى كل حال فالإشاعة هذه ، إشاعة احتراق القصر ، قد أفادتنا وأكسبت الثورة قوة وقتها حينما انهالت برقيات ورسائل التهاني من معظم المناطق اليمنية الى قيادة الثورة وفي مقدمتها تعز والحديدة وإب حيث كان فيها بعض الأحرار المرتبطين بالثورة ، ثم بعدها توافد الكثيرون من الأحرار والمشايخ والأعيان والموظفين الكبار على صنعاء مهنئين ومباركين لنجاح الثورة وفيهم من كان يلقي الخطب والقصائد الحماسية وينعتون فيها الماضي البغيض وعهد الإمامة وبيت حميد الدين بكل الأوصاف التي تدينهم وتدين عهود الظلم والجور الى آخر الأوصاف التي استمع اليها الشعب وقتها في الإذاعة .

هذا ومن الضروري التنويه والإشادة بالإذاعة والمذيعين الذين شاركوا في الثورة وعلى رأسهم الدكتور عبد العزيز المقالح والأستاذ الراحل عبدالله حمران وعبد الوهاب جحاف ومن التحق بهم من زملائهم الذين قاموا بواجباتهم خير

قيام وحولوا الاذاعة البسيطة الى صوت مدوّ وقوي بحيث تجاوبت على هذا الصوت الكثير من المحافظات وأقاموا الزينات والأفراح وتباروا في إقامة الحفلات ابتهاجاً بالمولود السعيد ، ثم لا ننسى الدور المشرف الذي قام به مدير الإذاعة وقتها الأخ احمد المروني ، وكذا لا ننسى مذيعاً وطنياً حراً كان لصوته المجلجل بالثورة والجمهورية دوي كبير وهو الأستاذ محسن الجبري . اما بالنسبة لي ومن معي من الثوار فقد واصلنا العمل ليل نهار ولم نترك لحظة من وقتنا تمر دون أن نتابع الأخبار ونلاحق الأحداث ونستقبل الى جانب المهنئين أفواج المعتقلين من رجال العهد الماضي الذين شاركوا الطغاة في كل المآسي التي حلت بشعبنا والذين تبرع الكثير من المواطنين والأحرار في القبض عليهم وادخالهم الى مقر القيادة .

وفي اليوم الثاني للثورة الذي صادف الجمعة ألزمت جميع ضباط الجيش المظفر والدفاعي والمدفعية بأن يصلوا مع جنودهم الى ساحة الجيش المظفر حيث قمت بإلقاء خطاب عليهم ثم حوّلت الخطاب الى محاضرة طويلة ، ذكرتهم فيها بما كان يعاني الضباط وضباط الصف والجنود من قهر وإذلال وجوع وفقر وتعاسة وإهانة في العهد الإمامي ، ثم قلت لهم إن هذه الثورة التي قمنا بها مع ابنائكم الضباط الأحرار وأبناء المشايخ الأحرار وبقية القوى الوطنية هي ثورة الجيش ، أي ثورتكم ، وهذا يعتبر فخراً وشرفاً وعزة لكم ولأبناء الشعب جميعاً ، وما علينا وعليكم من الآن الا ان نرفع رؤوسنا ونحافظ على الأمن ، والا نلتفت أو نستمع الى الموشوشين من الأذناب وعناصر الثورة المضادة ، ويكفي ما حصل لكم وللمواطنين بعد فشل ثورة عام ٤٨ م وحركة ٥٥ م وبقية الانتفاضات الوطنية حينما كان العهد الأسود يستعين بكم لضرب هذه الثورات ثم ينقلب عليكم .

كانت محاضرة طويلة أنصت لها الجميع لأني ، وأنا واحد من أفراد هذا الجيش المغلوب على امره ، كنت لطول مدة بقائي فيه أعرف كل النقط الحساسة التي تثير مشاعرهم وتوقظ فيهم المآسي التي عاشوها وعاشها شعبنا معهم . وسآتي على شرح الكثير من هذه المحاضرات في مذكراتي .

وهنا وقبل أن أختتم هذه الصفحة لا بد لي من أن أنوّه بشبل من رجالنا كان لا يتجاوز عمره الخامسة عشرة ، ذلك هو الرئيس القائد الأمين العام العقيد علي عبدالله صالح الذي شاركنا هذا الشرف والفخر مع زملائه الضباط والجنود من رجال الأمن الذين قاموا بواجبهم في منطقة قاع العلفي وبابي البلقة والقاع وبقية المناطق التي تكلفوا بها في ليلة الثورة بكل إخلاص وشجاعة ، وكانت أول معرفة لي بهذا الشاب حينما كان أخوه محمد عبدالله صالح الذي شارك مع زملائه مدرسة ضباط الصف في الثورة ، ومن ضمن الحرس الخاص في مكتبي بالقيادة العامة وسوف أشرح هذا مع دور هؤلاء الأبطال في مذكراتي ان شاء الله .

بعد هذا أمرت بتشكيل قوتين ، الأولى بقيادة النقيب وقتها محمد الأهنومي والملازم علي عبدالله السلام والملازم حميد سوار ، والملازم الشهيد علي عبد القادر والملازم الشهيد يحيى الفقيه والملازم الشهيد أحمد مطهر وغيرهم لمطاردة البدر والقاء القبض عليه ، والثانية بقيادة البطل النقيب محمد مطهر والنقيب عبدالله صبره والنقيب حسين المسوري ومعهم مجموعة من الضباط الأحرار . وقد توجهت الأولى الى مدينة شبام ثم الطويلة فالمحويت ولكن البدر تجنّب هذه الطريق ولم يمرّ بها ، الا أنّ القوة استطاعت أن تؤمن هذه المناطق وتمنع الأذناب والعملاء من أن يحدثوا أي شيء الى جانب ما قام به القائد والضباط معه من توعية المواطنين .

أما القوة الثانية ، بقيادة الأبطال النقيب الشهيد محمد مطهر والمقدم عبدالله صبره والمقدم حسين المسوري وغيرهم فقد توجهت نحو مدينة عمران وكحلان حيث علما بوجود البدر في جبل مسور ، وقاما مع القوة بمطاردته ومن معه ، وذلك بعد أن نصبوا المدافع في حصن كحلان وواصلوا الضرب عليه الى بيت عذاقه حتى غادرها وتوجه نحو مدينة حجة حيث تابعت قوة أخرى بقيادة المناضلين المقدم مجاهد أبو شوارب والمرحوم يحيى البشاري ، اما بالنسبة لمدينة حجة الحصينة فاني كنت باسم القيادة قد أصدرت أمراً بالافراج عن المعتقلين السياسيين وكان فيهم الى جانب المعتقلين المدنيين بعض الضباط

وصف الضباط والجنود ، وما ان تم الافراج عنهم حتى غادروا حجة الى مدينة كحلان في طريقهم الى صنعاء . وقد تذكرت هذه المدينة الحصينة وما احدثه الطاغية احمد حينما نجا من الاغتيال وتوجه اليها في ثورة عام ٤٨ وعرفت في وقتها بأن البدر لو وصلها فإنه سوف يعيد ما بدأه والده لا سيما وهذه المنطقة تعتبر مهمة جدا بالنسبة لهم ولأن فيها أصهارهم وأخوالهم وأنصارهم من القبائل الذين يعتقدون فيهم ويقدسونهم ، الأمر الذي جعلني أحرّر برقية عاجلة باسم القيادة العامة الى النقيبين علي سيف الخولاني وهاشم الحوثي ومن معهم مثال الأخ عبد الملك الطيب والأخ عبد الرحمن جابر بان يعودوا الى مدينة حجة وباسرع ما يكون لاستلام القيادة والقيام بتحصينها ومنع وصول البدر اليها ، مع اليقظة والحذر والحسم واتخاذ الحيطة التامة . وفعلا لقد حدث ما توقعت وحاول البدر بمن معه احتلال مدينة حجة المنيعة عدة مرات ، ولكن القائدين البطلين ومن معهما استطاعوا ان يمنعوه ويفشلوا كل مخططاته بالرغم من أنصاره داخل المدينة وضواحيها الذين أرادوا ان يكرروا ما أراده والده عندما افشل ثورة ١٩٤٨ ، وبعدها القوا القبض على العناصر الخطرة الذين شاركوه وشاركوا الطاغية احمد قبله في كل ما اقترفه في حق الأحرار والثوار .

هذا وللقصة بقية سوف اتناولها في مذكراتي ان شاء الله .

رسالة المشير السلال
إلى الرئيس عبد الناصر

الأخ الكريم الوفي السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة الأفخم .

تحية تقدير وحب وإخاء

لقد كنت بعثت إلى سيادتكم برقياً بواسطة السفارة العربية بصنعاء مشيراً إلى بعض ما أثاره الدكتور عبدالرحمن البيضاني من المشاكل التي أوشكت أن تهدد كيان الثورة مباشرة ، نتيجة الكثير من التصرفات الغير سليمة ولا مقدرة للمسئولية والظروف التي تمر بها بلادنا في هذه المرحلة الحرجة ومن قلب المعركة السافرة والشرسة مع قوى الرجعية والاستعمار . .

ونظراً لأن الموقف نتيجة ذلك قد بلغ الدرجة التي لا يمكن معها تغاضي بعدما قد تحملناه من صبر كاد أن يودي بالبلاد الى هوة سحيقة ، وان يمكن للرجعية من تحقيق أغراضها بضرب الثورة واعادة البلاد الى الظلام من جديد والتربع على عرش الملكية البغيض ، فقد وجدتني مضطراً وللأسف الشديد إلى اتخاذ الخطوة التي لا بد منها تجنباً للنهاية الغير محمودة وتداركاً لسلامة الوضع من الانهيار وتصدع الصفوف وذلك بإبعاد الأخ البيضاني عن الميدان لسلامة البلاد وسلامته هو نفسه ، واسمحوا لي يا سيادة الأخ أن أوجز لكم بعض النقاط التي أدت إلى اتخاذ مثل هذا القرار :

١ - حاول الرجل منذ الأيام الأولى للثورة أن يعمل على تركيز شخصيه بتكتيل

جماعات وقوى من حوله واعطائها الكثير من فرص الظهور والمناصب مما أدّى الى زعزعة الوحدة الوطنية وتخلخل الصفوف وارتباك حركة السير الثوري . .

٢ ـ عندما ظهرت بعض المشاكل مع القبائل حاول أن يستغل الصلاحيات التي أعطيت له باتخاذ إجراءات وتصرفات أدت إلى توسع هذه المشاكل وتعقيدها مما كلف الدولة أبهظ الخسائر مادياً ومعنوياً لمواجهة ايقافها كمشكلة خولان . .

٣ ـ عمل الرجل على العبث في صفوف القبائل وذلك باستمالة بعض المشايخ من مناطق مختلفة وأغدق عليهم الكثير من النفقات والسلاح والصرفيات من ميزانية الدولة الأمر الذي دفع المشايخ الآخرين الى النقمة والحقد على الثورة وعلى رجالها ومن ثم معاداتها ومعاداة النظام الجمهوري . .

٤ ـ رغبةً في تركيز شخصيته عمد دون تقدير للمسؤولية إلى اعلان رفع مستوى المعاشات لعموم موظفي الدول والقوات المسلحة إلى درجة لم تكن متوقعة من قبل الموظفين أنفسهم ؛ في حين أثار استغراب المواطنين الذين يعرفون أن ميزانية الدولة لا تتحمل مثل هذه المسؤوليات الأمر الذي جعلهم يشعرون أن الثورة وحكومتها تعمل بدون فهم ولا تقدير للمسؤولية ، مما أوجد لديهم نوعاً من اليأس في عدم نجاحها . . ثم بالتالي عندما أدرك الرجل استنزاف ما تبقى في خزينة الدولة عمد إلى تغطية هذا الوضع بفرض ضرائب كبيرة على المستهلكين مما أثار سخط واستياء الرأي العام .

٥ ـ نتيجة لما أحس به الرجل من سخط الرأي العام عليه كنتيجة لتصرفاته الخاطئة وانعدام المؤيدين والمساندين له عدى من كانت لهم أغراض أو مصالح يستغلونها من ورائه ، عمد إلى تدعيم مركزه بوسائل غير شريفة ولا وطنية كإثارة النزعة الطائفية وذلك بتفسيره بين من يسميهم بالشوافع بأن السخط الموجه إليه انما هو لمجرد كونه (شافعياً) وان هذا الشعور موجه ضد كل الشوافع وان حكومة الثورة تعمل كما يقول على إضعاف مركز الشوافع وتقوية مركز الزيود ، وان على الشوافع أن يتكتلوا ضد هذا الخطر الذي يهدد

كيانهم ، وحتى لم يتورع عن استخدام مثل هذه النغمة في مجلس الوزراء نفسه وبين الوزراء أنفسهم . . ومن جهة ثانية حاول أن يستخدم التفرقة العنصرية موعزاً إلى فئة أخرى من المجتمع بأن هذا السخط الموجه نحوه إنما هو نتيجة كونه قحطانياً ولأنه كان يهاجم الهاشميين في اذاعاته ومقالاته . .

٦ ـ لقد عمد الرجل إلى العبث بالجهاز الاداري للدولة وذلك بإبعاد موظفين عن وظائفهم أو تنزيل البعض من درجاتهم ليضع مكانهم أشخاصاً من أنصاره ومن يسخرون أنفسهم لخدمة أغراضه ، فكانت النتيجة وجود فوضى إدارية كبيرة عطلت انتظام سير العمل في الجهاز الحكومي . .

وكنتيجة لمثل هذه التصرفات وكثير غيرها لا أريد أن أطيل عليكم بسردها واجهت حكومة الثورة الكثير من المشاكل والمتاعب مع القبائل والمدنيين والموظفين ، كما تحملت المضاعفات الكبيرة في الموقف العسكري ، كما عانت وتعاني انهياراً وعجزاً في الوضع الاقتصادي وصراعاً طائفياً وعنصرياً في صفوف الشعب وقوات الثورة على اختلافها ، ونظراً لكل ما تقدم ولاعتقادي العميق بأنكم أول من يحرص على سلامة وكيان هذا البلد وانتصار أهداف الثورة ، وبأنكم لا يمكن أن ترضوا بأي حال من الأحوال بالتضحية بمصير هذا البلد وثورته من أجل شخص أو أشخاص مهما كانوا . . ولأنه لا مجال لاحتمال المزيد من مضاعفات هذه المشاكل وتعقيدها ، كان القرار بإبعاد الرجل بثورة مستحسنة آملاً أن تتولوا أنتم من جهتكم أيها الأخ العزيز تتمة البقية . .

وبهذه المناسبة لا أكتمكم أن الموقف العسكري يتطلب منا تعزيزات ، فاننا نواجه في هذه الأيام اصعب مشكلة، تتطلب منا المزيد من القوات والمزيد من الاستعدادات لمواجهة هذا الموقف الحرج ؛ وسترون فخامتكم ، رسالة بيد البيضاني أرجو أن تعتبروا ما فيها عن الموقف العسكري فقط هو الحقيقة ؛ أما بالنسبة له شخصياً فرجائي أن تعتمدوا هذه الرسالة التي يحملها العميد محمد الجرموزي .

والحق أيها الأخ الكريم إنني شخصياً والشعب العربي في اليمن لا يمكن أن

نسى لسيادتكم ولحكومة وشعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيق موقفكم ومساندتكم العظيمة وجهودكم الكبيرة إلى جانب ثورتنا وتضحياتكم الجبارة في سبيل نصرة الحق والعدل والحرية وتحقيقها في بلادنا وفي سبيل العروبة جمعاء .. كما وان التاريخ لن ينسى لكم هذه المواقف المجيدة المشرفة والتي ستظل دائماً رمزاً للوفاء ، والكرم والبطولة .

ختاماً يا سيادة الأخ ورغبة مني في إرساء وتوثيق علاقاتي الأخوية الشخصية لكم أرجو أن تكلفوا بوضع مفتاح شفرة خاصة تكون بيني وبينكم ويتم عن طريقها الاتصال المباشر بيننا ، ورجائي أن تسلموها مختومة إلى الأخ العميد محمد الجرموزي مع أخلص الشكر وأطيب الثناء ..

والله أرجوه أن يمدكم بعمر مديد ونصر مؤزر وصحة طيبة وان يشد بكم ساعد العروبة وينصر بكم كل مناضل من أجل حقه وحريته ودمتم

٢٢/٨/١٣٨٢ م

أخوك

عبدالله السلال

رئيس الجمهورية العربية اليمنية

والقائد العام للقوات المسلحة

جواب الرئيس عبد الناصر

سيادة الأخ الرئيس عبدالله السلال

رئيس الجمهورية العربية اليمنية ـ صنعاء

أحييكم أطيب تحية ، راجياً من الله أن تكونوا في أحسن حال ، وبعد

فقد اجتمعت بالسيد الدكتور عبدالرحمن البيضاني الذي حمل إليّ رسالتكم وبالنقيب حمود بيدر عضو مكتب العمليات العسكرية ، ولقد استعرضت معهم وجهات نظركم ، وإني على ثقة من أنكم تعلمون تمام العلم أن الأوضاع في الجمهورية العربية اليمنية تستأثر بفائق اهتمامي لأنني أقدر أننا لسنا مسئولين فقط أمام الشعب العربي في اليمن أو في الجمهورية العربية المتحدة أو في سائر أجزاء الوطن العربي ، وإنما تمتد مسئوليتنا عبر التاريخ إلى الأجيال القادمة من بعدنا ، والتي ستعرف أن المرحلة التي نمر فيها الآن هي مركز التحول في التاريخ العربي كله ، وستحكم على تصرفاتنا وكل حركة منا بقدر ما تحققه هذه التصرفات من أثر على النضال الخالد للشعب العربي وعلى الأهداف التي آمنا وارتبطنا بها .

لقد حقق الشعب العربي في اليمن ، بثورته على الرجعية ، قفزة رائعة في طريق النضال الطويل ، لذلك آلينا على أنفسنا ـ منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها هذه الثورة ـ أن نحافظ بكل ما نملك من جهد على هذه القفزة وأن نحول دون عودة عجلة التاريخ إلى الوراء . ومن أجل هذا وضعت الجمهورية العربية المتحدة كل امكانياتها لمساندة شعب اليمن ، ووقف أبناؤها جنباً إلى جنب مع أشقائهم في

اليمن يبذلون أرواحهم ودماءهم لتحقيق النصر والحرية للقومية العربية وللقضاء على الرجعية وأعوان الاستعمار وأذنابه .

وإني أود أن أؤكد لكم أن الناحية العسكرية في معركة اليمن لا تشغل بالي بقدر ما تشغله الناحية السياسية منها .

إن المعركة العسكرية واضحة المعالم ، والهدف فيها محدد ، وهي وان طال أمدها إلا أن النصر فيها بإذن الله إلى جانبنا ، وقبل وصول وفدكم بيومين صدرت الأوامر بتحريك قوات جديدة إليكم ، وتحركت هذه القوات بالفعل تسبقها تعليمات المشير عبد الحكيم عامر لإعادة توزيع كافة القوات في اليمن ، بحيث أصبحت كفتنا راجحة في الميدان في مواجهة أي احتمال ، تحقيقاً لتعهدنا السابق بمسئوليتنا عن المعركة العسكرية .

وهكذا ترون أن المعركة العسكرية لا تشكل أية خطورة على الموقف في اليمن وإنما الخطورة الجدية تكمن في الموقف الداخلي وحده . ان اعداء الثورة الآن لا يؤملون في انتصارهم العسكري ، بل لا أغالي إذا قلت إنهم يعلمون انهم يخوضون معركة عسكرية خاسرة ولكنهم يطيلون في أمدها متطلعين إلى حدوث ما يؤملونه من انشقاق داخلي ، الأمر الذي يبدو بكل وضوح من إذاعاتهم ومن اطلاعهم على كل دقائق اختلافاتكم الداخلية ويتخذون منها مادة لبلبلة الأفكار حول استقرار الأوضاع في الجمهورية العربية اليمنية .

وفي تقديري أن حماية الثورة في اليمن واستمرار بقائها يجب أن يكون الهدف الأول دون أي اعتبار آخر . ولن يكون ذلك سهلاً بل لن يتاح إلا إذا أصبح الشعب كله في الداخل يمثل إرادة واحدة ويتجه إلى هدف واحد يسانده جيش يمني قوي يحمي أهداف الثورة ويصون مكاسب الشعب .

وليس ممكناً - في رأيي - أن تحقق وحدة الشعب ما لم تتحقق الوحدة الفكرية والروحية بين قادته ، فان مجرد قيام خلاف أو انقسام بين أشخاص القادة لأمور شخصية - أو حتى عقائدية - سرعان ما ينعكس أمره على وحدة الأمة ويؤدي الى

التفرقة والانقسام وضياع الثورة . وهذه هي الفرصة التي يتحينها منكم العدو فلا تتيحوها له .

انها الآن مسئوليتكم الكبرى أمام الشعب العربي وأمام التاريخ : دعم الثورة وتثبيتها على أساس سليم . لأن انتصار الثورة اليمنية هو بلا شك نصر للشعب العربي في كل مكان ، وهو نصر للقومية العربية وتدعيم لكيانها .

ونحن من أجل هذه الغاية ، وضعنا كل امكانياتنا معكم لإنجاح ثورة اليمن وتحقيق أهداف شعب اليمن ، إلا أننا لا نريد أن يكون لنا دخل في أموركم الداخلية ، ولقد حرصت على ابلاغكم ذلك من أول وهلة ،ويهمني الآن أن أعود فأؤكد لكم ذلك ، وعلى هذا الأساس ما أن وصلتني رسالتكم - التي حملها الي العميد محمد بن محمد الجرموزي والخاصة بالدكتور البيضاني - حتى كلفت السيد أنور السادات بتبليغ مضمونه إلى الدكتور البيضاني .

ان خط سياستنا الأساسي أننا بكل امكانياتنا مع إرادة الشعب لتحقيق أهدافه وفي هذا السبيل لا نقف وراء شخص أو أشخاص بأي حال من الأحوال ، وإنما نحن وراء المبادىء والأهداف التي رفعناها والتي آلينا على أنفسنا أن ندعمها ونحارب من أجلها ، وان أبناءنا الذين يخوضون المعركة العسكرية الآن في اليمن يعلمون أنهم يدافعون عن ثورة اليمن وعن إرادة شعب اليمن وعن أهداف شعب اليمن ويعلمون أن انتصار الثورة اليمنية هو انتصار لنا وللقومية العربية .

أسأل الله أن يوفقكم في تحمل مسئولياتكم وأن يعينكم على مقدراتكم وأن يكتب لنا النصر في كفاحنا المشترك لتحقيق أهداف الشعب العربي وحماية العروبة وقوميتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

اخوكم

جمال عبد الناصر

القاهرة في ٢٣ يناير سنة ١٩٦٣

رسالة المشير عبد الله السلال

إلى رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني

الابن المناضل الدكتور والأديب الاستاذ عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء ورئيس مركز الدراسات والبحوث الأكرم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بصفتك من أبناء سبتمبر (أيلول) الأوفياء وممن له نصيب في الحركة الوطنية وثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة ، أوجه إليك هذه الرسالة مصحوبة بجزء موجز من مذكراتي عن الحركة الوطنية ، وثورة ١٩٤٨ وما تلاهما من أحداث ، مروراً بحركة ١٩٥٥ وحتى قيام ثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة وملحمة السبعين يوماً التي وصفها ابن سبتمبر (أيلول) البارّ الرئيس القائد العقيد علي عبدالله صالح في كلمته التي ألقاها في مركز الدراسات بأنها وكانت الأيام الفاصلة بين الماضي البغيض والحاضر المشرق ، وهي التي ثبتت قواعد الثورة ورسخت دعائم الجمهورية بواسطة ابناء الشعب اليمني ودون أي تدخل خارجي ، ثم أوصى بأن نكتب الحقيقة المجردة دون أن نؤذي أو نجرح .

هذا وأنا أحب أن ألفت نظركم ونظر القراء الكرام الى الظروف القاسية والصعبة التي قامت فيها الثورة ، حتي يتذكر من عاصر هذه الظروف ، بأنه لولا الجهود الخارقة والعمل المتواصل والحزم والجدّ والقوّة المصحوبة بالعقل

والحكمة ، وتعاون وتكاتف الثوار والمواطنين الى جانب الروح الفدائية والسباق على الموت والاستشهاد ، لما استطعنا أن نقاوم العواصف التي هبّت علينا في الأيام الأولى للثورة من الدول التي كانت تحيط ببلادنا من جميع الجهات ، وأيّ الدول هذه في قوتها وثرواتها ؟ وحسبنا بريطانيا ، وهي الامبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس ، وهذه هي التي كان لها النصيب الأوفر في إفشال ثورة ١٩٤٨ وحركة ١٩٥٥ وهما الحركتان اللتان قامتا على نظام الإمامة، فما بالك يا دكتور وقد قامت ثورة سبتمبر على النظام الجمهوري ؟

كما احب أن اذكرك وأذكر القارىء الكريم بأننا بعد قيام الثورة ، قد التزمنا لكل الدول من الأشقاء والأجانب ، بكل المعاهدات والاتفاقيات التي عقدها النظام السابق ، ولم نكتف بالإعلان فقط، بل حرّرنا الرسائل والبرقيات الى كل هذه الدول . ورغم هذا فلم نكد نسمع بخبر البدر الذي أسموه بالإمام الشرعي يصل الى السعودية فارّاً من اليمن ، بعد أن كنا قد استمعنا من الاذاعات العربية والأجنبية بمبايعة عمه الحسن ابن الامام يحيى إماما شرعياً على اليمن ، وذلك في أقل من ثمانٍ وأربعين ساعة على قيام الثورة .. اما الذي بايع هذا الامام ، فانا لا أدري من هو ؟ ! .. لأن البيعة عقدت له في المملكة العربية السعودية ، ثم بعد هذا وفي أقل من أسبوع استمعنا بأن هذا الامام قد تنازل عن بيعته لابن أخيه البدر، ثم في الأسبوع الثاني ، أعلنت بعض القبائل المرتبطة بالحدود الشمالية والشرقية وبعض المناطق الجنوبية الفساد والخروج على النظام الجمهوري بتأييد وعون كبير من الدول المحيطة ، وبمعونة عسكرية وفنيّة من المملكة الأردنية . ومع هذا فقد استطعنا بإمكاناتنا المحدودة أن نُخمد هذه الفتنة في وقتها ونستعيد السيطرة على معظم هذه المناطق ، لكن وصول الدكتور البيضاني حاملاً المخطط السرّي ومكلّفاً من المخابرات المصرية تنفيذه لتخريب الثورة اليمنية وهدمها من الداخل ، بالإضافة الى الخلافات التي نشبت بينه وبين الشهيد الراحل القاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ أحمد محمد نعمان ومن معهم في مصر، والذي كان البيضاني المتسبب فيها، هذه الخلافات قد انعكست على من في الداخل، وبدأت المباراة بين الطرفين في بثّ الخلافات والفرقة، وكان

الطرف الأقوى هو الذي يمثله البيضاني الذي كان مسنوداً ممن كان يصفقهم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، بمراكز القوى ودولة المخابرات ، وهذا الجانب هو الذي كان يملك الإمكانات والوسائل التي تسببت في الكثير من المشاكل والأزمات التي واجهتنا اول الثورة ، ومنها على سبيل المثال ، عقد المؤتمرات الصحفية والمهرجانات الخطابية التي كان يعقدها كل يوم ويحضرها كل ممثلي وكالات الأنباء والصحافة العربية والأجنبية ، ثم يصبّ غضبه ونقمته على كل من كان يسمّيها بالدول الرجعية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ، وكان لا يكتفي بالتهديد والوعيد ، فتجاوز ذلك الى القول بأنه سوف ينقل المعركة الى الرياض ثم لا يتوقف عن هذا الحد حتى يرسل الإنذار لسكان مدينة الرياض وغيرها من المدن السعودية وينصحهم فيها بأن يلتزموا الملاجىء والمخابىء قبل أن يطلق عليهم الصواريخ الموهومة ، الى أن قالها مرة وبوضوح بأنه سوف يضرب قصور الناصرية ، وكل هذا الكلام وغيره معروف للجميع ومسجل عليه ، بالاضافة الى غير ذلك من المعارك الكلامية التي تسببت في كل المشاكل والأزمات التي واجهت الثورة من أول ايامها ، الأمر الذي جعلني أبادر واكتب الى الزعيم جمال عبد الناصر محتجاً على تصرفات البيضاني ، ومن يسانده في تنفيذ هذا المخطط المشبوه ، وأطلب منه المعونة العسكرية الكافية ، ومن ضمن ما قلت له في رسالتي بأن العدوان قد تضاعف على المناطق في الحدود وأصبحت المعركة تدخل في طور التحدّي وتتطوّر من يوم الى يوم بسبب هذه التصريحات النارية التي كان يطلقها البيضاني ، والتي انكشفت فيما بعد بأنها كانت خطة مرسومة من قبل المخابرات ومراكز القوى المصرية ، بدليل أن البيضاني اتجه بعد طرده من اليمن الى القاهرة ، فذهب أولا الى عدن ليطلب من المستعمر البريطاني مساعدته للقضاء على الثورة والثوار تحت شعار الطائفية البغيضة . ولولا أن المواطنين الأحرار من ابناء الشطر الجنوبي الذين استقبلوه بتلك الصورة المخزية ، التي ما زال الناس يتحدثون عنها ويتندرون بها الى اليوم ، لولا ذلك لتضاعفت هذه المشاكل واشتدت في وقت تضافرت فيه جهود الدول المحيطة بنا بقصد إفشال الثورة ، حتى اضطر المستعمرون أن يُخفوه عن

أعين الجماهير ، ثم بعد هذا تم تهريبه الى القاهرة حيث تم اعتقاله بأمر الزعيم جمال عبد الناصر .

أما الدليل الثاني والذي اتضح فيما بعد وبصورة أوضح ، فهو ما جاء على لسانه في كتبه التي أصدرها وهاجم فيها كل ما كان يدعو اليه في خطبه ومؤتمراته الصحفية في أول الثورة ، بحيث كان يتطرف ويزايد على أصحاب هذه الدعوات وأنصارها، والذين اعتنقوها بصدق وعن قناعة ، ومنها الدعوة الى القومية ، والوحدة العربية وبطلها الزعيم جمال عبد الناصر الذي كان يعتبره وقتها مثله الأعلى حتى أنه كان يتهم كل من يناقش دعوته بالرجعية والتخلف ، ثم انقلب وارتد على الدعوة وزعيمها ، وادّعى بأنه مسلم حنيف في آخر كتاب أصدره وسماه (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن) .

وفي هذا الكتاب كشف بقية أوراقه واتضح بأن علاقته بالمخابرات بدأت منذ كان موظفاً صغيراً بالقنصلية اليمنية في ألمانيا الغربية ، ومن يطالع الوثائق الموجودة في حوزة مركز الدراسات ، والتي وعد المركز بنشرها ، فإنه سوف يقتنع ويتأكد من التمثيلية التي مثلها في الأيام الأولى للثورة ، بقصد إرباك الثورة والثوار والدعوة الى مجابهتها والقضاء عليها في مهدها ، ومن عاصر هذه الأيام وعاشها فانه لا بد وان يتذكر هذه القضية التي ضاعفت من المشاكل وتسببت في الأوقات العصيبة التي عانى منها الثوار ، بحيث جعلت الدول المجاورة ، تضاعف من جهودها وتبذل الجائز والمستحيل للقضاء على الثورة في مهدها وتفتح الخزائن وتوزع الذهب والسلاح بسخاء على المرتزقة من الداخل والخارج حتى وصلت جبهات القتال الى أكثر من أربعين جبهة وانقسم الشعب بعدها الى جمهوريين بقيادة السلال وملكيين بقيادة البدر حتى كان يقول بعض هؤلاء المرتزقة : اللهم احفظ السلال الى نصفه والبدر الى نصفه ! . .

لكن ارادة الله والثوار وكل القوى الوطنية ومن بقي من شعبنا على عهده من جنود وضباط وقبائل ومشايخ وقوات الحرس الوطني ، بالإضافة الى الموقف التأريخي لزعامة عبد الناصر والشعب والجيش المصري ، ومساعدة ومعونة الاتحاد السوفيتي ، كل هؤلاء استطاعوا الصمود ، وقاتلوا في كل الجبهات

بعزيمة لا تلين وفدائية وقوة أذهلت كل من تصدّى للثورة وحاول افشالها ، والفضل الأول في هذا يعود الى كل الشهداء الأبطال الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله والوطن من ابناء شعبنا وشعب جمهورية مصر العربية .

هذا وأنت ، يا دكتور ، ممن عاصروا مرحلة ما قبل الثورة وبعدها ، ونحن ومعنا الكثيرون الذين ما زالوا على قيد الحياة نعرف جيداً بأن الثورة قامت في وقت كانت اليمن ما تزال تعيش فيه حياة القرون الغابرة ، ولا تعرف عن حضارة القرن العشرين التي أنجبت علماء ومخترعين ومفكرين كانوا قد بدأوا في غزو الفضاء وكادوا ينتهون من حضارة ومدنية الأرض ، حتى لقد قلتها مرة لرئيس وزراء الاتحاد السوفيتي خرتشوف حينما كنت مع الوفد المرافق لي في زيارة رسمية لروسيا ، قلت : « لولا أننا اكتشفنا أنفسنا وقمنا بثورتنا لكنتم مع العالم المتحضر قد انتقلتم الى عالم الفضاء ونسيتم أن هناك شعباً كان يسمى بالشعب اليمني »، وقد يستغرب القارىء هذا الكلام الآن، ولكن مثلكم ومن عرف عهد بيت حميد الدين لا بد أن يوافقني على هذا القول ، ذلك لأن الثورة حينما قامت في بلادنا كان كل شيء وقتها معدوما ومفقودا ، حتى لقد بدأنا حياتنا الجديدة من الصفر ، وهذا بعكس الثورات التي سبقتنا ومنها ثورة مصر والعراق وغيرها ، التي قامت فيها الثورات وفيها الجيوش المدربة الحديثة وأجهزة الاعلام القوية من إذاعة وتلفزيون وصحافة ، ومؤسسات دستورية وحكومية وبرلمانية ، الى جانب الحضارة التي كانت تعم هذه البلدان ومستوى وعي شعوبها الذي تقبل الثورة من أول بيان اذيع عليها .

وكان أهم من هذا كله المنطقة التي قامت فيها ثورتنا ، وهي منطقة الجزيرة العربية والخليج التي تعتبر منطقة استراتيجية هامة بالنسبة الى الشرق والغرب ، لأن بها الثروة البترولية التي تعتبر من أهم الثروات التي تقوم عليها وتستمر بها الحضارة الحديثة ، وما زال هذا البترول هو الشغل الشاغل لعالم اليوم ، وما تواجد الأساطيل الغربية منها والأمريكية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي ، والتي تجوب هذه البحار ، الا الدليل على أهمية منطقتنا هذه التي قامت فيها الثورة اليمنية المعجزة .

وكل هذا يا ولدي الدكتور قد احتاج من الثوار والقوى الوطنية وبقية فئات الشعب طاقة وقوة فوق قدراتهم وطاقاتهم ، وصموداً وثباتاً وشجاعة لا تصدر إلا من أبطال وهبوا أنفسهم لله والوطن، وتحولوا الى أرواح تتسابق على الموت والفداء ، ولا يصدر هذا البذل والعطاء ، الا وهناك قدوة وقيادة استوعبت الظروف الحالكة والأيام العصيبة الشديدة التي جابهت الهجمة الشرسة ضد هذه المعجزة لمدة أعوام بحيث لم يفرطوا ولم ينحرفوا أو يستغلوا، ويؤسفني بل ويحزّ في نفسي أن بعض أبنائنا الثوار لم يقدروا هذه الظروف ، ولم يستوعبوها حينما تحدث كل واحد عن دوره فقط ، وأهمل دور غيره ولمس القيادة سواء من قريب أو بعيد ، وقد يكون هذا من وحي اختلاف وجهات النظر والاجتهادات التي كان يظن بعض هؤلاء الابناء بأن هذا الطريق اقرب أو بأن هذه الوسيلة أسهل . أما الهدف والغاية فأحمد الله أنني وهؤلاء الأبناء ومن بقي من الأبناء والإخوة كنا متفقين عليهما ، وهذا ليس بجديد علينا لأن غيرنا ومن سبقنا من الثوار في بعض البلدان ، قد يكونون أعنف في أساليبهم وأقسى وأسخف في حوارهم ، ولكنهم بهذا قد فرطوا في أعزّ وأغلى المكاسب التي تحققت للمواطن العادي ، وذلك بتأثير عناصر الثورة المضادة التي نشطت واندست بين صفوف الثوار تشكّك وتطعن وتستعمل الأساليب الشيطانية ، مما أدى الى الفرقة والخلاف ، وبدلاً من أن ينشغلوا بالعدو الرئيسي للشعب انشغلوا ببعضهم البعض حتى انتهت الثورة وانتهت أهدافها ومبادئها وجميع الانجازات التي تحققت للشعب والتي قامت الثورة من أجلها، وما نشاهده في بعض البلدان العربية في الوقت الحاضر ، من عودة للرجال الأثريين يقنعنا بان الذين استمعوا الى الوسوسة ودسّ عناصر الثورة المضادة ، وهم قلّة كانوا يسيرون في هذه الطريق المغلوطة من غير أن يشعروا بالخطر والنهاية المؤسفة التي وصلت اليها بلادهم .

وكان من حسن حظ ثورتنا وشعبنا ان الكثرة من الثوار والقوى الوطنية تمكّنوا من عزل عناصر الثورة المضادة بفضل وعيهم الثوري وابتعدوا عن المناصب والكراسي وفتحوا المجال لغيرهم حتى تحملوا المسئولية وجربوا أنفسهم ،

وهكذا حتى قيض الله لبلادنا وشعبنا ابناً باراً من أعماق ريفنا وأرومة قبائلنا شبّ وترعرع في حمى الثورة ، فكان ابنها الشرعي وفتاها البار ، ذلك هو الرئيس القائد الأمين العام العقيد علي عبدالله صالح الذي جدّد شباب الثورة وأعاد لها القوة والحياة ، وسار بالشعب على أهدافها ومبادئها ، وكان هذا من حسن حظ الثورة ورجالها .

هذا ولو فكرنا قليلاً وعدنا الى أنفسنا وضمائرنا وحكمنا عقولنا لأنصفنا كل من شارك في هذه الثورة ، ولا سيما الذين لم يبخلوا عليها بأنفسهم والتزموا بمبادئها وأهدافها ، والذين كان دافعهم خلاص شعبنا وبلادنا من كابوس الإمامة الذي كان جاثماً على الصدور وكاتماً للأنفاس . ومن هؤلاء من قضى الأعوام الطويلة في سجون الإمامة ورفض كل المغريات والمناصب والوظائف الكبيرة ، وفضل عليها الوقوف مع الشعب والسير معه وفي طريقه حتى تحقّق له كل ما كان يحلم به الآباء والأبناء الثوار من خير ورفعة وعزة وكرامة .

هذا وإني احبّ أن ألفت نظر بعض هؤلاء الأبناء الى أننا لو أنكرنا أو تنكّرنا لمواقف الأبطال من رجالنا الذين ظلّوا على عهدهم ومبادئهم بدافع الوسوسة ، أو الخلاف في وجهات النظر ، فاننا نخشى أن ينفذ من خلال هذا الأدعياء والذين لا ينتمون الى الأرض ولا الى القوى الوطنية والثوار بأي صلة .

ومن طالع كتاب « أزمة الأمة العربية والثورة اليمنية » لعبد الرحمن البيضاني فانه يجد الكثير من الكلام الذي يخص الثورة قد نقله من الكتيّبات والتصريحات التي سبقت كتابه ، لأنني ومعي الضباط الأحرار المنصفون كنّا على علم ويقين بأنه لا يعرف من أسرار الثورة أي شيء ، وإنني أتحداه ان ينشر ولو رسالة واحدة حررها اليه الشهيد الثائر علي عبد المغني ، كما ادّعى في كتابه « ألف ليلة وليلة الجديد» ، وما كتاب البيضاني إلا نقل لكل ما كُتب عن الثورة ، إلا أنه زاد عليه وصاغة بأسلوب يتفق وأسلوب الكتّاب الذين تعاونوا معه في صياغته وأسلوبه وإخراجه ، وهؤلاء معروفون عندنا بطبيعة الحال ، ولو أن من كتبوا وكان لهم دور في الثورة ولا سيما اللوا جزيلان غلّبوا العقل والحكمة ، وتأنّوا فيما كتبوه وأنصفوا غيرهم لما وجد هذا أو غيره مجالا لكل هذه الروايات الخيالية التي

ضمّنها كتابه الخالي من الحقائق والمجرد من الصدق والأمانة .

هذا وإذا كان الوقت الذي قامت فيه الثورة من أصعب الأوقات وأحلكها ، وصنعاء العاصمة وقتها كانت تعتبر قرية من قرانا في الوقت الحاضر ، وسكانها الذين كانوا لا يتجاوزون خمسين ألف نسمة تكتظ بهم الحارات الضيقة المعروفة لجميع ساكنيها بحيث لو دخل غريب على أي حارة من هذه الحارات فانه سرعان ما يعرف وينكشف أمره ، فما بالك بجماعات كبيرة يدبرون لعمل عظيم ؟ . . بالإضافة إلى ما يكتنف النظام الإمامي من قدسية لدى معظم أبناء الشعب مع ما يحيط بالنظام من جواسيس وعيون ومتطوعين ، فإن خلايا الثوار الذين لا يتجاوز أعدادهم خمسة أشخاص للخلية الواحدة ، قد كان معروفا لنا وعاصرناه ، فما بال البعض ممن كتب وأدلى بشهادته في مركز الدراسات قد تجاهل هذا بصورة تكاد تجعلنا نجزم بأنه كان يحيط بكل شيء علما ؟ مع العلم بأنه لولا السرّيّة المحكمة وقلة أفراد الخليّة الذين لا يعرفون عن الخلية الأخرى شيئا ، وارتباط بعض أفراد التنظيم بالقوى الوطنية الأخرى ، الذين كانوا يشكلون فيما بينهم تنظيماً سرياً خاصاً بهم - لولا ذلك لانكشف كل شيء في وقت مبكر ، ولما تأخر الى ما قبل الثورة بأسابيع كما سبق وان شرحت في الموجز .

ويحزنني أني قرأت في بعض الردود التي تضمنتها الشهادات المنشورة في الكتاب الذي أصدره مركز الدراسات ما يلي :

« حينما لم ينفتح قصر السلاح ، والذخيرة كانت محدودة وعلى وشك الانتهاء ، اضطرت الثورة الى استدعاء السلال بصفته قائدا للحرس الملكي وفوج البدر المرابطين بقصر السلاح لكي يصدر أوامره اليهم بفتح مخازن الذخيرة ، وحينما تولى قيادة الثورة ولم يكن من المخطّطين لها أصبحت الثورة بلا قائد ، وهذا أول خطأ وقعت فيه الثورة » .

وهذا الكلام وغيره هو ما قصدت اليه وقلت بأن السرّية التامّة كانت من أول الشروط للدعوة للثورة ، الأمر الذي أبقى أهم الرجال في الكتمان وجعل

الاتصال بهم محصوراً في دائرة ضيقة .

أما الأمر الثاني فإنني عند قيام الثورة كنت قائداً للحرس فقط ، ولم تكن لي علاقة بفوج البدر والمرتبين بقصر السلاح ، حيث انتهت هذه العلاقة عندما نفاني الطاغية أحمد الى السخنة ، وقد سبق أن شرحت قصّتي هذه في الموجز ، وأنا أجزم بأن صاحب هذه المقولة وغيره معذورون لأنه قال في سياق ردّه على المركز : بأن انضمامه الى التنظيم كان حينما فاتحه الشهيد البطل علي عبد المغني خلال مناقشتهما لأوضاع البلاد ، ثم بعدها انضمّ ، وكان أول اجتماع عقده مع الخلية التي انتسب اليها ، وهي مشكلة من المقدم ناجي المسيلي وآخرين على ما يذكر . فان كان دوره محصوراً على هذه الخلية حتى لا يذكر منها إلا ناجي المسيلي وآخرين لم يتذكر أسماءهم ، فلا شك أن الأخبار التي سمعها عن القيادة لم يتأكد منها ولم يدقق في مصادرها ، بدليل أنه من الملتزمين والذين يغلب عليهم بطبيعة الحال قول الحقيقة حيث قال في مجال آخر عند السؤال عن فقرة أخرى تقول (هل هناك انحراف مقصود ؟) . . أجاب : « فهذا لا يخطر على بال وفكر منصف » . وما أكثر ما سمعنا وسمع غيرنا من أمثال هذا الكلام حول دوري بحيث أجزم أيضاً بأن الخلاف حول دوري قد تناوله الكثير لكنه لم يتفق اثنان على هذا الدور ، والى القارىء بعض الأمثلة عن التوقيت الذي وصلت فيه الى القيادة ، وقد أشرت الى دوري وشرحته في الموجز ، وقلت بأن اللوا جزيلان قد حدد وصولي في الساعة الثامنة ، ولجنة الضباط الأحرار قالوا بأنني وصلت في الساعة السابعة ، والمقدم أحمد الرحومي الذي لديه الخبر اليقين قال بأننا وصلنا القيادة قبل الفجر ، لأنه كان مرافقي مع البطل الشهيد صالح الرحبي ، فكيف بمن لم يعرفوا بأني كنت المنتخب لقيادة الثورة ؟ . إلا أن هذا الكلام كان محصوراً بين أفراد سوف أتحدث عنهم بالتفصيل في مذكراتي ، وعلى رأس هؤلاء من الشهداء المناضل علي عبد المغني والمناضل صالح الرحبي ، ومن الأحياء المجاهد الكبير عبد السلام صبرة وعبد الغني مطهر وغيرهم من الشهداء والأحياء الذين سوف أتحدث عنهم في مذكراتي .

اما سبب الخلاف حول دوري فهو الجو الكئيب والظروف القائمة الصعبة والعزلة الرهيبة والشك والحذر والريبة التي أوجدها الحكم الإمامي الى جانب الجرائم الوحشية التي اقترفها نظام الإمامة في حق شهدائنا من الأحرار والثوار في ثورة ١٩٤٨ وحركة ١٩٥٥ وما تلاهما من مذابح وحشية وارهاب وتخويف جعلت الكثير من الأحرار يتخذون الحيطة والحذر ويتثبتون من كل خطوة يخطونها ، هذا اذا لم يكن اليأس قد أصاب بعضهم أو قضى على الأمل في نفوسهم ، وجعلهم يسلّمون بالأمر الواقع رغم إرادتهم ، بالرغم من الجذوة الوطنية التي كانت تتفاعل في أعماقهم وتوقظهم في بعض الأوقات حتى استيقظوا في سبتمبر الثورة فاندفعوا يؤدّون الواجب بكل عزيمة وصدق وإخلاص وهم مبهورون وغير مصدقين بأنهم يعيشون الحلم ، الذي عانوا ولاقوا من أجله الكثير .

وأنا أعذر هؤلاء الذين لم ينحرفوا ، لأن الذي لم يعش في سجون الأئمة ولا سيما سجن نافع بحجة ولم يعرف زبانيته الغلاظ الشداد ولو لفترة قصيرة ، لا يمكن أن يقدر ما نزل بهؤلاء من ويلات . . .

وعلى كل حال ، بينما يصيب الشدائد بعض الرجال فتزيدهم قوة وصلابة وعناداً واصراراً ، فإن البعض الآخر من هؤلاء الرجال بعامل الضعف البشري ترتسم هذه الشدائد في مخيلاتهم وتستيقظ بين فترة وأخرى فتزيدهم عزلة وفرارا الى الواقع الأليم .

هذا وقبل أن أختتم رسالتي اليك يا دكتور ، يا من بقيت على عهدك ووعدك مع الأحرار ، أحب أن أنبّهك وأنبّه القارىء ، الى أنني وقد تشرفت بقيادة ثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة ، كنت أول رئيس للجمهورية بعد حكم الأئمة الذي استمر مئات السنين مقروناً بالمذهب والعقيدة الدينية ومربطاً بآل البيت الذي استغلّه بعض هؤلاء الأئمة واباحوا لأنفسهم كل ما بعث الله به نبينا عليه الصلاة والسلام من أمر تحريمه ونهيه واستباحته واقترافه ، ومن عرف الامام يحيى حميد الدين وشحّه وبخله وما اقترفه في حق شعبنا من الجور والظلم والشدة والقسوة والوحشية ، وكذلك من عرف ابنه الامام أحمد الذي كان مولعا بسفك الدماء

والمذابح الرهيبة في حق الأحرار والثوار ، ومن قرأ كتاب ابن الأمير وعصره ، وهو ذلك العالم الفاضل الجليل وكيف وصف الأئمة في عهده وما اقترفوه في حق هذا الشعب . فإنه سوف يوافقني ويتفق معي على أن البعض من هؤلاء الأئمة كانوا سوطاً وعذاباً ونقمة على المحكومين وعلى الأئمة الذين حاولوا أن يصلحوا أحوال العباد والبلاد ولكنهم ذهبوا ضحية هؤلاء القساه العتاة ثم يعرف الجو الكئيب الذي قامت فيه الثورة .

هذا ولا يغيب عن بالكم وبال القارىء اللبيب ، أنه بعد أن تطوّرت المعركة الحربية بين الجمهوريين والخارجين عليهم ، ثم وصول الجيش المصري وقياداته الذين هبّوا لنجدتنا والوقوف الى جانبنا وخضنا معهم أشرف المعارك البطولية ، كان يوجد بين هؤلاء الأبطال ، كما يوجد في كل شعب ، أفراد موتورون وحاقدون ولا سيما من كان ينتمي من هؤلاء الى الأسر الكبيرة التي تضرّرت من الثورة أو كانت مرتبطة ومنتفعة مع النظام الملكي السابق ، وان امثال هؤلاء الذين كانوا ساخطين على ثورتهم في بلادهم سوف يتضاعف سخطهم اذا وجدوا أنفسهم يخوضون معركة في غير بلادهم . وقصة الثورة اليمنية وقصتي معهم قد ضاعف من الإحباط والمشاكل وإحباط الجيش المصري نفسه الذي سجل ملحمة في اليمن سوف تسجلها الأجيال اليمنية في سجل الخالدين ، وهذه القصة التي كنت أحب أن لا أذكرها وفاء وتقديراً لأرواح الشهداء من أبناء شعب جمهورية مصر العربية ، غير أن إنصاف الثورتين اليمنية والمصرية جعلني ألمس هذا الموضوع بصورة خفيفة ، لأن القصة قد تلاحقت فيما بعد واذا قلت بأن المؤامرة وما حدث بعدها من هزيمة ١٩٦٧ قد بدأت خيوطها في اليمن ، فإني لا أبالغ لأن هذه العناصر الموتورة التي أطالت أمد الحرب كانت تفكر في إسقاط عبد الناصر والثورة المصرية بما كانت تقترفه من تقصير واخطاء متعمدة هنا في الجمهورية العربية اليمنية . . ودليلي على هذا خطاب الزعيم جمال عبد الناصر عندما تراجع عن استقالته بعد النكسة حينما قال (لقد سقطت دولة المخابرات وسقطت معها مراكز القوى) .

الفصل الثاني

اجابة القاضي عبد الرحمن الإرياني

رئيس المجلس الجمهوري من ٦٧ - ١٩٧٤

البطاقة الشخصية :

اسمي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني ، تاريخ مولدي في جمادي الأولى سنة ١٣٢٨ هـ/حزيران سنة ١٩١٠ م ومكان مولدي هو حصن ريمان المطل على هجرة « اريان » في بني سيف العالي ناحية القفر محافظة إب .

بداية دراستي كانت على يد شيخنا العلامة عبد الواسع بن محمد الإرياني رحمه الله ، وقد قرأت عليه القرآن ومبادىء العلوم الدينية واللغوية والبلاغية والمنطق، ثم درست على والدي رحمه الله في مختلف العلوم . ولما أقيمت المدرسة العلمية في عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦ م التحقت بها مع شقيقي محمد بن يحيى ، وأخذنا على شيوخها ، ومنهم القاضي عبدالله بن محمد السرحي والعلّامة احمد بن علي الكحلاني والعلامة احمد بن عبدالله الكبسي وسيدنا علي محمد فضة والعلامة عبد الخالق الأمير والقاضي أحمد العمري والأساتذة لطف الفسيل وحسين وعبد الواسع الواسعيين وغيرهم . ولم تكن مناهج المدرسة تختلف عن مناهج الدراسة في الجوامع والهجر ، ثم درسنا على والدنا في اريان ثم في صنعاء ، وكان قد عقد حلقة تدريس في جامع الفليحي ، كان يحضرها الى جانب تلامذته كثير ممن كانوا يعتبرون من العلماء . وكان رحمه الله يدرس كتب السنة وشروحها لمجتهدي اليمن كالوزير والمقبلي والجلال والأمير والشوكاني رحمهم الله جميعاً .

ووالـدي هو يحيى بن محمـد بن عبدالله الإرياني ، عالم مجتهد يعمل
بالدليل ويندب طلابه الى الاجتهاد ، تولّى القضاء في قضاء إب من سنة ١٣٣٧
وهو تاريخ دخول الامام يحيى صنعاء واستيلائه على البلاد ، وبدء انسحاب
الأتراك من اليمن في أعقاب الحرب العالمية الأولى في ١٩١٨ م . وانفصل عن
القضاء في آب عام ١٣٤٦ ، وفي عام ١٣٤٩ استدعاه الامام الى صنعاء وعيّنه
عضواً في الاستئناف ثم عيّنه رئيساً للمحكمة الاستئنافية العليا ، حيث تقلّد هذا
المنصب زهاء اثنتي عشرة سنة حتى وفاته رحمه الله في اواخر عام ١٣٦٢ .

ووالدتي هي السيدة الفاضلة سلوى بنت محمد بن يحيى الإرياني . كانت
امرأة خيّرة ذات ديانة وصلاح وعقل راجح وحب للخير والصدقة رحمها الله .
وقد انجبت لوالـدي رحمه الله ستة أولاد هم علي وعبدالله وعقيل ومحمد
وعبدالرحمن ولطف الذي مات شاباً عن ثماني عشرة سنة .

تولى اثنان من إخوتي ، هما علي ومحمد ، القضاء في عدة جهات ،
وتوفي علي رحمه الله في سنة ١٣٥٨ عن سبع وثلاثين سنـة ، وتولى محمد
أبقاه الله منصب القضاء في عدد من القضوات حتى نُقل بعد الثورة من محكمة
قضاء الحجرية الى رياسة المحكمة الاستئنافية بصنعاء . وهو يعمل الآن
مستشاراً لوزارة العدل ، وكان الأخ عبدالله رحمه الله القيّم على الأهل والأملاك
التي كانت غلاّتها توفر للأسرة عيشاً كريماً لا إسراف فيه ولا تقتير . أما الأخ
عقيل بن يحيى الأديب والشاعر الناقد فقد وافته المنية وهو في الحادية والعشرين
من عمره ، فلم يتولّ منصباً رسمياً بل كان يشتغل بالدرس والتدريس . اما الأخ
حمود ، وهو أصغرنا سناً ، فيعمل مساعداً لحاكم المخادر ، واما انا فقد عيِّنت
حاكماً في قضاء النادرة سنة ١٣٥٥ وانا في السابعة والعشرين ، ثم عيِّنت في
قضاء العدين ، وفي عام ١٣٦٣ أعتقلت مع من اعتقلوا في ذلك التاريخ ، وبعد
إطلاق سراحي من معتقل حجة عام ١٣٦٤ عُيِّنت عضواً في الهيئة الشرعية التي
عيّنها ولي العهد أحمد في تعز كفرع للاستئناف ، ولكن هذا التعيين لم يكن
بأمر الامام . ولذلك فإننا حين ناقشنا قراراً للاستئناف على أحد الأحكام وقررنا
خلافه جاءت برقية من الإمام الى ولي العهد تسأل : من عيّن الإرياني استئنافاً

على الاستئناف ؟ ومع أنه كان من أعضاء الهيئة البدومي والذاري والموشكي
رحمهم الله فإن الإمام لم يفتح عينيه إلا على اسم الإرياني . . . وبعد خروجي
من سجن حجةفي اواخر عام ١٣٧٤ عملت في الهيئة الشرعية نائباً لرئيسها
العلامة زبارة ، ولما تشكلت أول حكومة في عهد الإمام أحمد برئاسة وليّ عهده
عُينت وزيراً للدولة . وقد ظل مع ذلك عملي في الهيئة الشرعية ، وكان منصب
وزير الدولة شرفياً اقترحه أحدهم حتى لا يكون جل الوزراء فيها من فئة معينة .
وقد حضرت جلستين من جلساتها بعد أن أصبح البدر إماماً ، وقد لـوّح الامام
الجديد بسيفه في وجهي لسبب لا يوجب أقل العتب أو التأنيب . واذكر القصة
وان كانت خارجة عن الهام في موضوعنا .

لقـد استعرضت في الجلسـة الأولى البرقيـات التي أرسلت الى الملوك
والرؤساء مخبرة بوفاة أحمد وقيام محمد إماما ملقباً بالمنصور بالله ، وكانت
البرقية التي الى الملك سعود مبالغة في التملّق والخضوع وتعطي معنى البيعة له
كحاكم مشرف ، كما كانت البرقية الى الرئيس جمال عبد الناصر عادية جداً .
فاقترحت أن تُعدّل البرقية الى سعود لتضمن السيادة والذاتية اليمنية ، وأن تمتاز
البرقية التي الى عبد الناصر فتتضمّن الرغبة في التعاون . وأيدني في هذا
الدكتور عدنان ترسيسي ، وكان يحضر كمستشار . ولم يرق ذلك لبعض الوزراء
فعارضوا . وفي الجلسة الثانية جاء البدر ليفتتح الجلسة بقوله : « هؤلاء
الناصريون الذين يريدون تسيير الأمور في اليمن بتوجيهات عبد الناصر وما عندي
لهم الا السيف ! » وكان الذين عارضوا الاقتراح في الجلسة الأولى قد فسّروا له
ذلك بحسب هواهم ، وذكّروه بما كانوا قد لفتوا نظره اليه قبل وفاة الإمام الى
صداقتنا مع السفير المصري الأستاذ علي الدسوقي ، وكنت قد بدأت أردّ
وأقول : اذا كان اقتراح لا يهدف إلا الى المصلحة يوجب التهديد بالسيف ،
فلماذا أمرتم إذاً بحضورنا في هذه الجلسات ؟ وأشار الدكتور عدنان ترسيسي
بيده فسكتُّ وتولّى هو الجواب فقال : والله ماغرضي وغرض القاضي الإرياني إلا
مصلحة اليمن ومصلحة العرش ، ووزير الخارجية ـ يعني حسن ابراهيم ـ يعرف
ما لعبد الناصر من مكانة في الدول العربية ، ومن مصلحة العرش ان تكون

العلاقات معه حسنة .

وبعد خروجنا من الجلسة جاء الدكتور عدنان يعتذر إليّ لأنه قطع حديثي وقال : « أنا أردت أن أتولّى الجواب الذي أعرف أنه لن يرضي بعضهم ، لأنهم إذا غضبوا عليّ سيقولون لي مع السلامة . اما أنت فقد تذهب الى السجن والى ما هو أخطر منه فينفذ التهديد » فقلت له : « لا داعي للاعتذار ، فأنت تستحق الشكر على ذلك » .

ومن حسن الصدف أنه جاءني بعد خروجي من الجلسة الى دار الضيافة العقيد عبدالله جزيلان والرائد محمد الأهنومي يطلبان اليّ باسم الضباط التوجّه الى تعز للإشراف على الأعمال هناك والتعاون مع الضباط الذين كان منهم في تعز سعد الأشول ومحمد الخاوي والشهيد احمد الكبسي وعلي الضبعي ومحمد مفرح . وكان ينتظر التحرّك من قبل « العكفة » الحرس الملكي ، وقالا إن الحركة ستكون يوم الأربعاء وسبب الاستعجال أن البعض قد أبلغ نائب الإمام القاضي محمد الشامي وأن وزير الخارجية هدّد أبناء المشايخ وهم يخشون أن يتّخذوا ضدهم إجراء قبل عمل أيّ شيء . ولما كان السماح بالسفر مستبعداً ، فقد عمدت الى بعض الإخوان بتحرير رسالة باسم العائلة تقول بأن أحد الأولاد مريض ، وعرضتها على البدر الذي وافق بعد تردّد على السفر لمدة يومين ، وجاء الأربعاء ، الموعد المحدّد للثورة ، ولم نسمع شيئاً من الإذاعة ، فشعرت بالخطر لأني قدّرت أن البدر قد وأدها باعتقال الضباط ، ولكنه جاء على الطائرة الأستاذ احمد المقطري الذي كان من العاملين معنا ليطمئننا . وفي صباح الخميس سمعنا البيان الأول وجاءت ثورة سبتمبر (أيلول) الظافرة فأطاحت بالبدر .

وفي عهدها توليت عدة مناصب من وزير عدل الى عضو في قيادة الثورة الى رئيس للمجلس التنفيذي الى نائب لرئيسه وعضو في المجلس الجمهوري الى نائب لرئيس الجمهورية . وفي ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) انتخبت رئيساً للمجلس الجمهوري حيث بقيت الى ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ م . وفي هذا

اليوم قدمت استقالتي الى مجلس الشورى فقبلت ، وغادرت صنعاء الى تعز . وبعد يومين غادرت تعز الى سوريا كمبادرة اختيارية لأترك لمن خلفني في الحكم الفرصة كاملة . وقد جاء رئيس مجلس القيادة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء الى تعز للوداع ، وقد كان وداعاً رسمياً كبادرة تتميز بها اليمن في التعامل بين السلف والخلف في الحكم ، كما اني استقبلت في سوريا استقبالاً رسمياً ، وكان على رأس المستقبلين الرئيس الأسد . ولما شكره الأخ الأستاذ نعمان الذي كان معي في الطائرة على هذه البادرة الكريمة قال : « نحن نقدر القاضي لشخصه لا لمنصبه » .

ومع ان استقالتي كانت اختيارية وبرغبة صادقة وقناعة كاملة ، كما كان السفر الى دمشق اختيارياً وعلى اساس العودة بعد شهر ، إلا أني مُنعت بعد ذلك من العودة . وحينما جاء المرحوم الحمدي الى سوريا جاءني الى محل اقامتي زائراً ، ثم جاءني مودّعاً ففاتحته برغبتي بالعودة ، ولكنه بعد ذلك اعتذر بمعارضة المشايخ التي ليس لها ما يبررها ، واغتيل الحمدي رحمه الله ، وجاء الغشمي الذي كان صريحاً في اعتذاره حينما طالبته بالعودة اذ اعتذر بمعارضة خارجية ، وذكر اسم مسئول كبير من هؤلاء المعارضين . وقد ساءني ذلك جداً أكثر من معارضة من اعتذر بهم الحمدي ، وقد بعثت رسالة احتجاج عنيفة لهذا المسئول ألومه على العداء غير المبرر والتدخل في شئون بلادي غير المقبول ، وقد عاد جوابه بعد مقتل الغشمي متنصلاً من التهمة ومتبرعاً بما لم أطلبه وهو أنه سيقنع الأخ العرشي الذي خلف الغشمي مؤقتاً بالسماح بالعودة .

ثم جاءت البادرة الكريمة والشجاعة من الرئيس القائد علي عبدالله صالح دون طلب من أحد بالسماح لي وللأخ المشير السلال ولمن يرغبون في العودة ممن يعيشون في الخارج من الإخوان الذين عملوا للقضية الوطنية وعلى رأسهم الأستاذ نعمان والفريق العمري واللواء عبدالله جزيلان وغيرهم .

وكانت هذه البادرة المشكورة هي الأولى من نوعها في العالم العربي ، باستثناء لبنان الذي يعيش فيه الرؤساء السابقون مع من خلفهم يتمتعون بكامل الحقوق السياسية والاعتبارية . ولذلك فقد كانت بادرة الرئيس اليمني محل

تقدير في الداخل والخارج وأذكر أن الإخوان السوريين قد ذهلوا حينما جاء الرئيس الحمدي رحمه الله لزيارتي في محل إقامتي حينما زار سوريا ثم جاء للوداع ، وقد قال لي الوزير السوري المرافق : «نتمنى لو أن الدول العربية تقتدي باليمنيين في هذا التعامل الكريم» .

لم يكن لي نشاط سياسي بعد الاستقالة، فيما عدا النصائح التي بثثتها الى الحمدي ثم الغشمي ثم الرئيس الحالي وفاء بحق الله تعالى وحق رسوله ﷺ وحق الوطن وأولي الأمر فيه ، وعملاً بالحديث الصحيح «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأولي أمر المسلمين ولعامّتهم» أو كما قال ﷺ . ولقد كان جوابي لكل من يحاول العودة بي الى حقل السياسة التمثّل بقول الشاعر العراقي الذي يبدو أنه عانى منها ما عانيناه :

من مُبلغ القوم شطّت دارهم ونأتْ ... أني رجعت الى كتبي وأوراقي
عفتُ السياسة حتى ما أُلمّ بها ... وقد رددت عليها كل ميثاق
لأنها جشّمتني كل غالية ... وأنها كلفتني غير أخلاقي

ومن منطلق العودة الى الكتب والأوراق ، فقد قمت بتحقيق بعض كتب التراث وطبعها وسوف أواصل ذلك ما امد الله بالعمر وأمتع بالجهد .

الجواب على السؤال الثاني بتفرعاته الثلاثة :

الأوضاع التي كانت قائمة في عهد الإمام يحيى وابنه يستوي في معرفتها السائل والمسئول . إنها أوضاع تخلّف وجهل وفقر ومرض وظلم واذلال ، ولكنا في مطلع أعمارنا كنا كغيرنا من الناس نعتبرها الحياة الطبيعية ونعتقد (أن «أيّ» كذا خلقت) كما يقول المثل، وانه ليس في الإمكان أبدع مما كان. ولم نكن نعرف عن شيء مما يجري في العالم أو نتصور أن للشعب حقاً على الدولة ، وكل ما كان يستنكر هو الظلم والإذلال اللذان كان يعاني منهما المواطنون الأمرين ، من خراص الى كشاف الى ملتزمين الى جنود الى خطاط الى رهائن الى سخرة الى تنافيذ الى الى الى ما لا يحصى . وقد كانت كل هذه المظالم تجري باسم الدين وباسم ركن من أركانه الخمسة ، وهو الزكاة التي كانت تؤخذ

مضاعفة من الغني والفقير ثم تخزن في مخازن الإمام ومدافنه دون أن يصرف شيء منها في مصارفها التي نصّ عليها القرآن الكريم . ولقد كانت الإمامة تستولي على معظم محصول الفلاحين باسم الزكاة ، مما جعل العلاّمة المجتهد السيد محمد بن اسماعيل الأمير رحمه الله يقول في قصيدته الرائية الناصحة الناقدة مخاطباً الأئمة :

خراجية صيرتمو الأرض كلها ... وضمّنتم العمال شرّ المعاشر
لذاك الرعايا في البلاد تفرّقت ... وفارقت الأوطان خوف العساكر
وقد رضيت بالعشر من مالها لها ... وتسعة أعشار تصير لعاشر

إنها شنشنة عرفها الإمام يحيى ممن سبقه من أخزمي الأئمة وفيهم من نسب اليه العلامة المقبلي رحمه الله قوله لاحد عماله حاثّاً له على استصفاء أموال الرعايا : «ان الله لا يسألنا الا عما أبقيناه في أيدي المجبرة والمشبهة من أموالهم - ويعني بهم الشافعية - لقد كانت مآخذنا على عهد الإمام يحيى مآخذ دينية ومطالب سلبية ، أي أنها كانت تطلب عدم الظلم والجور بأنواعها والاستعلاء الذي كان يمثله قول أحدهم «هل أنتم إلا عبيد لأبي ؟» وقد كانوا يستهلّون رسائلهم الى رؤساء العشائر اليمنية بقولهم : «الى خدّامنا آل فلان» ولما كنا قد نشأنا في أسرة علمية متحرّرة مذهبياً تعمل بالكتاب والسنّة وتدرس كتب مجتهدي اليمن ، فقد كنا نسمع ممن هم أكبر منا سنّاً وأوفر علماً نقداً حاداً للامام يحيى وللمظالم التي كان يعاني منها الشعب ، وكان من علمائها من نقد الإمام يحيى قبل دخوله عام ١٣٣٧ صنعاء واستقراره فيها، ومنهم عمّ الوالد القاضي علي بن عبدالله الإرياني رحمه الله الذي بعث للإمام يحيى قصيدة يهنّئه فيها بدخول صنعاء للمرة الأولى التي لم يطل بقاؤه فيها ، اذ جاء أحمد فيضي فخرج منها متخفياً من باب ستران وذلك في ١٣٢٣ وقد جاء في هذه القصيدة ما يلي :

وقد آن أن أهدي اليك نصيحة ... وأفضل ما يُهدى مقال ذوي النصح
تفقّد أمور المسلمين جميعها ... وبادر لأهل الجور بالعزل والطرح

فلا خير يُرجى من ولاية ظالم … ولو كان في أفق السماكين والنطح
ولو كان فيه مسحة من ملاحة … وحذق فما والله في الظلم من ربح

الى أن يقول :

وكم من ذئاب لا سقى الله عهدهم … يَرَوْنَ وعيدَ الله ضربا من المزح
وما الخير الا في اتّباع محمد … نبيّ الهدى مع صحبه أنجم الفلح
وما خالف المنصوص فهو ضلالة … وان قرروه في الهوامش والشرح

اما والدي رحمه الله فقد كانت نصائحه الناقدة متعددة المناحي ومختلفة المواضيع ، فمنها ما هو ديني ومنها ما هو سياسي ، وكان أولها قصيدة بعث بها الى الإمام يحيى في عام ١٣٢٨ ، وهو في التاسعة والعشرين من عمره ، وذلك حينما بعث الإمام جيشاً كبيراً بقيادة محمد يوسف وعبدالله بن ابراهيم ويحيى ابن محمد بن الهادي فمروا في طريقهم بمدينة يريم التي توالي الإمام وتعادي الأتراك ، فعاث هذا الجيش في المدينة فساداً ، ونهب كل ما في منازلها ، فبعث للإمام القصيدة التالية ناصحاً وناقداً ومطالباً بإعادة المنهوب أو تعويض المنهوبين :

على رسلكم أهل المحابر والقلم … بذا خبروا فليرقم الخط من رقم
قفوا ريثما أملي عليكم رسالة … لها الصدق خال وابن خال لها وعم
منزّهة عن ريبة في حديثها … وما ربّها فيما يقول بمتهم

إلى أن يقول :

فيا راكباً إما بلغت اليه لا … يكن غير إبلاغ الإمام لك الأهم
بما كان حقاً في يريم وما جرى … من القوم مما أوقع الطفل في الهرم
فلم يتركوا للمسلمين جميعهم … من المال ما يُجدي ببيع ولا سلم
وقد أخذوهم من محبّ ومبغض … وما فرّقوا بين الصحيح وذي السقم
وكم من ضعيف قد أذيق بظلمهم … عذاباً من التهديد والهتك للحرم

وقد أجاب الامام يحيى بقصيدة على الوزن والقافية قال فيها :

وقد جاءنا واليوم بادٍ ضياؤه … خطاب الذي قد جرّ بالكاغد القلم
خطاب امرىء لله ذلك من فتى … تصرّف بالدر النضيد الذي نظم

الى أن يقول :

افيدك اني لست أرضى فعالهم … ولا نكر في نكر ولا ظلم من ظلم
وفي الأدهم المبروم في سوق رهنهم … وفاء وتبكيت وفي صولة الرسم

لقد تبرأ الامام من ظلم الجنود ولكنه لم يعمل على إعادة الأموال المنهوبة الى أهلها أو تعويضهم عنها كما هي في نصيحة الوالد بل قال : إنه قد أمر بوضع الأدهم المبروم أي القيد على أقدام رهائنهم وهي عقوبة يوقعها على غير مجرم وقد بعث الوالد قصيدة أخرى يأسف فيها لعدم الاصغاء للنصيحة قال فيها :

تصوّرت إذ جاء الكتاب المسطّر … وسالت من العينين في الخدّ أنهر
وليس لأطماع لديّ أكنّها … فما أنا ممّن للزخارف ينظر
ولما أبت نفسي الدنيّات كلها … غدت هذه الدنيا بعيني تحقر
ولكنني آسي لإخلاف موعد … وعدت به القوم الذين تضرّروا
وقلت لهم هذا الإمام مؤمل … سيجزل تعويضاً لكم ويوفّر
ولم يك للوعد الكريم بمخلف … وحاشاه فالإخلاف لا يُتصوّر
ولكنّ في طيّ الجواب تخلّفت … مواعيدُ عرقوبٍ فعمّ التحسّر

وفي عام ١٣٤١ كتب الى زميله ابن عمه العلامة القاضي محمد يحيى الإرياني ، وكان حاكماً في رداع ، قصيدة يندّد فيها بمظالم حكام الإمام يقول فيها :

نعم ستراني مخبراً بعجيبة … وإن كنت تدريها يقينا محققا
بأحوال حكام الإمام وأمرهم … لقد شربوا الأطماع كأساً معتّقا

الى أن يقول بعد تعداد مظالم الحكام :

فوا أسفا ما العذر للترك إننا … وعدنا بإجراء الشريعة مطلقا

وقلنا لهم أنتم هدمتم بناءها	وقد كان قصر العدل يعلو الخورنقا
وأما اذا صارت الينا فإننا	سنجعل بين العدل والظلم خندقا
فلما ملكنا خفّها وسنامها	أضعنا وأبدينا اعتذاراً ملفقا

وقد جاء جواب ابن عمه يقول :

ولا شك في الأمر الذي قد شكوته	فعند جميع الناس صار محققا
فإنا ارتقبنا الصبح حتى اذا بدا	توغّل في الليل البهيم وأغسقا

وفي سنة ١٣٣٨ بعث الإمام كشّافاً من المشايخ يخرصون المحصول الزراعي ويقدرون الزكاة بحجة أن المخامنة لم يوفوا الزكاة حقها . وقد جاء هؤلاء الكشاف بعد حصاد الثمرة فلم يروا غير التراب ، ومع ذلك فقد قدروا المبالغ التي أرضت الإمام فبعث الى الإمام قصيدة جاء فيها :

تأمل في الذي يبدي الزمان	وماذا قد أتاح به الأوان
أمور لو تأملها لبيب	بعين العقل حار لها الجنان
وماذا يبتغي العقلا وها قد	رأينا الخوف اذ يرجى الأمان
أحكم العقل يرضى خرص زرع	وقد أودى وطاح به الزمان
وخارصها من العرفاء شيخ	وفي العرفاء قد جاء البيان

ومما يجب أن يذكر أنه في سنة ١٣٦٠ وما بعدها كانت المجاعة قد عمت تهامة وما جاورها من الجبال وتفرق مواطنوها في المناطق ، طلباً لما يسدّ الرمق ويبقي على الحياة وكان نصيب صنعاء الأوفر أملاً بالاسعاف من الإمام ، ولكنه لم يأمر بما ينقذهم من الموت جوعاً وكانت حارات صنعاء وشوارعها تشهد الكثير من الوفيات فرفع الوالد رحمه الله نصيحة للإمام يحيى واقترح أن يأمر الأفران التي تموّن الجيش « بالكدم العادي » بأن تضاعف إنتاجها من هذه الكدم لتوزّع على الجائعين لسدّ الرمق والإبقاء على الحياة ، فجاء جوابه بقلمه على غرة النصيحة يشكو محنة الجفاف الذي سبّب المجاعة ثم قال وأحسنتم بالنصيحة ولكنه « كما تعلمون لا يكفي الخلق إلا الخالق » يقول ذلك وخزائنه مليئة بمئات الملايين من ريالات ماريا تريزا ومدافنه ومخازينه في عموم اليمن

مليئة بالحبوب من حاصلات الزكاة ناسياً أو متناسياً قول الله تعالى : « إنما الصّدقات للفقراء والمساكين . . الخ الآية » .

وجاء الأخ علي بن يحيى الإرياني رحمه الله فبعث للإمام نصيحته الحائية التي صدّرها بالمدح والإطراء ليخلص الى النصيحة وفيها يقول :

قف للخليفة موقف النصاح	لا موقف الشاني له واللاحي
وارفق ولا تشطط لدى تذكيره	واخفض لسطوته أعزّ جناح
واصدق اذا ما رمت نصح جنابه	فالبهت في الإسلام غير مباح
الصدق أدنى للسلامة إن ترد	نصح المليك السيد الجحجاح
واجعل قيامك بالنصيحة خالصاً	لله تمس مكلّلاً بنجاح[1]

طلب الحرية للمسلمين

قل يا أمير المؤمنين وخير من	نصر الهدى بأسنّة ورماح
لا تجعل الاصلاح ذنباً لامرىء	يسعى به في غدوة ورواح
شرّ الملوك مملّك يخشى أذى	سطواته الساعون بالإصلاح
حاشاك أنك واحد في علمه	مصغ الى الوعّاظ والنصاح

ماذا يقول المصلحون

مولاي إن المصلحين قضوا بأ	نّ بلادنا في هوة الأتراح
وبأنكم إن تهملوا إصلاحها	نزل العدوُّ بها بدون كفاح
أيردّه جندٌ بخستم حقّه	أم قوة الحرّاث والفلاح
والكل عزل عن سلاح الحب يا	بدر الهدى والحبّ خير سلاح

الفقر والهجرة الى الخارج والتلميح الى السبب

والشعب يشكو الفقر في أبنائه	والفقر أعظم صارم ذبّاح
فارحم رعيّتك الذين تفرّقوا	من فقرهم في أنجد وبطاح

(1) تعرض بعض كتابنا الموهوبين الى ذكر هذه القصيدة وأشار ، منتقداً ، الى قوله « واخفض لسطوته أعز جناح » ونسي قوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام ﴿ وقولا له قولاً ليّناً لعلّه يذكر او يخشى ﴾ .

سلْ عنهم « أديس أبابا » إنّما   تشكو هناك تزاحم الارواح
ما هاجر اليمني عن أوطانه   طمعاً بجمع المال والأرباح
فعليه قد مضت السنون وأنه   في داره في عزة وفلاح
ما فارق الأوطان إلا مرغماً   يبكي ذويه بمدمع سفّاح
ما ذاك إلا ناتج عن علّة   الصمت فيها جاء كالأبضاح
لولا الملام لكنت عنها مفصحا   لكن صمتي جاء كالإفصاح

العدل اساس الملك والظلم ظلمات

فاذا اردت دوام ملكك فاجتهد   في العدل بالدانين والنزّاح
العدل للأوطان خير وقاية   وأجلّ عدة خائف لكفاح
والظلم كالظلمات في الأوطان يا   بدر الهدى والعدل كالمصباح

البدلات ومخالفتها الشرع الاسلامي

مولاي والبدلات في الأعشار لم   يك حكمها في شرعنا بمباح
لم يوجب الخلّاق الا العشر من   ثمراتنا بنصيبها الوضاح
فاحذر من القانون فهو ضلالة   والزم شريعة جدك الجحجاح

المعارف وحاجة الشعب اليها

مولاي إن الشعب مفتقرٌ الى   تنويره بمعارف الفتّاح
وأراه مفتقراً الى التعليم   للتهذيب للاخلاق والأرواح

الشرع وتلاعب الحكام به

مولاي والشرع المطهّر قد غدا   كرة بكف اللاعب الطماح
أحكامه لا تستقر كأنها   ريش تساقط في مهبّ رياح
ضاعت حقوق المسلمين وأهملت   إذ أصبحوا بتخاصم وتلاحي
يا هل ترى لخصامهم من غاية   قصوى لديها راحة المرتاح
فانصره يا بدر الملوك بقيت في   حفظ الإلّه الواحد الفتّاح
واليكها من مخلص لا يبتغي   مالاً ولا يهوى سوى الاصلاح

وله من قصيدة طويلة :

ما أيقظ العزم الا بارق الأمل   بالفوز بالنصح للصمصامة البطل
قل يا مليك بني الزهراء من فخرت   به الأواخر في الدنيا على الأول
عليك بالعدل إن العدل أفضل ما   يحمي البلاد وينجيها من الفشل
عليه قامت دعام الملك وارتفعت   وفيه دامت عروش الملك والدول
وشاور القوم عند النائبات ففي   رأي الجماعة منجاة من الزلل
ولا تكن مستبدًا في حكومته   فالمستبد سريع الهلك والهبل
وعمّم النشر للعرفان مجتهدا   فبالمعارف يعلو كل مستقل
واعمر بلادك واعلم أن ثروتها   أمنيّةٌ بسوى العمران لم تنل
واحفظ لشعبك عهداً مثلما حفظوا   للآل عهد وداد غير منفصل
هم شيّدوا لك ملكاً أسسوه على   أشلاء كل كمي منهم بطل
فاجعل جزاءهم الحسنى فإنهمُ   أبطالك الشوس عند الحادث الجلل

وهي طويلة وله رحمه الله غيرها فلنكتف بما سجلناه .

اما الأخ عقيل ، رحمه الله ، فإنه على الرغم من عمره القصير فقد رفع للإمام عدة نصائح ومنها النصيحة التي يمكن أن نصفها بأنها نصيحة سياسية ، وذلك حينما عقدت المعاهدة بين الامام يحيى وايطاليا التي كانت تحتل اريتيريا وشطراً من الصومال . وكانت إحدى الصحف قد نشرت صورة لموسوليني الرئيس الإيطالي وهو واضع إحدى قدميه على الساحل الأريتيري والأخرى على الساحل اليمني ، وكان الاستعمار لا يزال في عزّ وسلطان وقد بعث للإمام قصيدة ناقدة وناصحة يقول فيها :

ويلاه قد عمّت الناس الضلالاتُ   وزحزحت عنهم تلك الهدايات
واصبح المسلمون اليوم في وهن   وفيهم خفقت للظلم رايات

الى أن يقول :

قالوا العهاد وما هذا العهاد فها   قد مادت الأرض منه والسماوات

كنا نراه محالاً والزمان به ... يأتي ونظهر للناس المحالات
ايا العدى نرتجي نفعاً لأمتنا ... لقد ضللنا وأعمتنا الجهالات
ومن يلاعب ثعباناً براحته ... سرت اليه على الفور المنيات
لئن أتونا بآلات منمّقة ... فإنها لاغتيال الشعب آلات
فلا وربك ما جاءوا بآلتهم ... وقصدهم ترتقي فينا الصناعات
لكن لأمرٍ خفيّ سوف تُدركه ... غداً اذا انقشعت عنك الغشايات

وقد عرّض في هذه القصيدة ببعض حكام الجزيرة العربية الذين يوالون الانجليز حيث قال :

ولو هدينا بعين العقل كان لنا ... بغيرنا عبرٌ شتى جليّاتٌ
لا بارك الله في ذا العام كم ظهرت ... فيه أمور وأشياء نكيرات

ولما جاءت إيطاليا بما سمي بالورشة وهي آلات قديمة وقد أخلي لها العرضي الأعلى الذي بناه الأتراك ، وبطائرات شراعية قديمة تساقطت بطيارها بعد ذلك وأكثرت صحيفة الايمان الاشادة بذلك قال هذه المقطوعة الشعرية الساخرة وكأنه يجيب على التساؤل الذي كان مطروحاً :

وقال جهلت ما تبغي النصارى ... أغشّاً أم تراهم ناصحينا
فقلت فعالهم من غير شك ... لقد دلّت على ما يقصدونا
حبونا ورشة كبرى وجاءوا ... بطياراتهم لـ « يطيّرونا » .

وجاء من الأسر أيضاً الأخ القاضي حسن بن أحمد الإرياني وكان قد تولّى القضاء في جهران والمحويت وملحان وإب فرفع للإمام قصيدة نصح كان فيها حاداً جداً ولم أعد أذكر منها إلا مطلعها القائل :

كم مليك أعداؤه صحبوه ... وعن الحق والهدى حجبوه

ومع أن الإمام كان لا يجد مناصاً من التظاهر بقبول النصح مهما آلمه ، فقد رأى أن الناصح في هذا البيت قد جعل الإمام محجوباً عن الحق والهدى وهو يرى نفسه هو الحق وهو الهدى ، ولذلك أعلن استياءه حينما حرّر على غرة

القصيدة بخطّه عبارة (كذّاب دقنك يا فقيه) ومع أن صفة الفقيه هي صفة يعتز بها إلا أنها في مصطلح آن الجواب تُعطي عكس مفهومها .

هذه هي البيئة التي نشأنا فيها ، وهي كما ترى بيئة متحررة مذهبياً ، فقد كانت تنظر الى الإمام كسلطة زمنية لا كسلطة دينية مقدسة كما هو معتقد من يقولون « ظلمني صلوات الله عليه » « نهب مالي سلام الله عليه » . الى جانب ذلك فقد كان لكتب مجتهدي اليمن كالوزير والمقبلي والجلال والأمير والشوكاني أثرها في التحرّر ومناهضة الوضع الذي لا يتفق مع ما تدعو اليه القيم الدينية من العدل وصرف أموال الله في مصارفها . وكان ما يعانيه الشعب من الظلم والإذلال هي الدافع الى ارادة التغيير أو على الأصح تمني التغيير . وكان ذلك منطلقاً من منطلقات دينية وكانت الحيثيات تدخل تحت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكنها بعد أن جاءتنا كتب جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والكواكبي وغيرهم وتسرّبت بعض المجلات التي كان يكتب فيها المسمري والعنسي والحورش كالصداقة وغيرها ، وما كان يكتبه امين سعيد في بعض الفترات، كل هذه المستجدات كان لها أثر كبير في توسيع مداركنا ، وبفعلها توسّعت مطالبنا . فبعد أن كانت سلبية تمثل بالمطالبة بعدم الظلم المتنوع المناحي ، أصبحت إيجابية تمثل بالمطالبة بالحرية والدستور والشورى وبالمدارس والمستشفيات ومحاربة الفقر والمرض . وقد أشار الى ذلك الميثاق الوطني المقدس . وهذا هو موجز الجواب على السؤال الثاني ببنوده الثلاثة .

اجابة السؤال الثالث : (أ)

الجواب على هذا السؤال بما حواه من بنود يحتاج إلى عشرات الصفحات وليس الإسهاب مطلوباً . وسوف أحاول الردّ عليه بغاية الإيجاز ، وأترك مع ذلك لرئيس مركز الدراسات صلاحية التصرف في الحذف والاختصار وفي اعادة أسلوب الصياغة التي تعتمد السرد الى أسلوب التحليل والتعليل .

وأقول : اذا كنتم تريدون بسؤالكم عن تحول الرفض للنظام الإمامي

ومحاولة إسقاطه وتغييره نظام الإمام يحيى فسوف يأتي شرح ذلك لاحقاً ، وإن أردتم بتغيير النظام إبدال النظام الملكي الإمامي بنظام جمهوري ، فإني أؤكد لكم أنه لم يخطر على بال أحد من العاملين للقضية الوطنية هذا التغيير في ذلك التاريخ ، لأن الواقع العربي والواقع اليمني بصورة خاصة كان يرفض هذا التغيير . وفيما عدا سوريا ولبنان فإن الأقطار العربية كلها كان يحكمها الملوك والاستعمار الذي اعتمد على الملوك أيضاً . ولم تأت ثورة يوليو (تموز) المصرية إلا بعد خمسة أعوام . ومع ذلك فقد أبقت في البداية على الملكية ونصبت طفل فاروق ملكاً تحت وصاية مجلس الأوصياء كما هو معروف . فمن زعم أنه ـ في ذلك الوقت ـ طرح اقتراح تغيير النظام الملكي الإمامي الى نظام جمهوري فإنما هو مزايد ومدّع لا حجة له. إن التطلع الوطني في ذلك التاريخ لم يتجاوز التوقان إلى إبدال حكم الإمام يحيى المستبدّ غير العادل بحكم شوروي دستوري له حكومته المسئولة ذات الصلاحية وللشعب مجلس شورى يعبر عن رغباته ومصالحه بحيث يمكن أن تتوفر الفرصة للتقدّم والتطور وتحقيق الأمل في ان يحرص الإمام الدستوري الجديد على الالتزام بالميثاق الوطني وبالدستور على النحو السليم، وكان البعض قد اقترح تشكيل مجلس إمامة أو مجلس سيادة، ولكن الاقتراح لم يكتب له النجاح كما سنوضحه لاحقاً.

الجواب على بند (ب) من السؤال الثاني سبق أن أوضحته في ردّي على أسئلة البطاقة الشخصية فيُرجع إليه .

الجواب على بند (جـ) : كان العمل الوطني في البداية مقصوراً على نقد الأوضاع بما عليها من مآخذ وما أكثرها في المقايل والاجتماعات ، وهو ما كان يسمى في صنعاء (بالوقز) . وكانت الاتصالات بمن عندهم شيء من الوعي محدودة وبين عدد لا يتجاوز العقد وفيهم المحلوى والمطاع والسنيدار والعزب وأولاد السياغي والشماحي والخالدي . وكانت صلتي في البداية بالشهيد المطاع الذي كان يحضر درس تفسير الزمخشري لدى الوالد رحمه الله في جامع الفليحي . ثم جاء دور خروج الوقز من القول الى العمل بتوزيع المنشورات ، الأمر الذي حمل الإمام يحيى على اعتقال المطاع والمحلوى والشماحي

والعزب والسنيدار والسياغي ونفي الخالدي الى وشحه ثم نفي الشهيد الزبيري الخطيب أبو طالب الى الأهنوم لأنهما كانا يخطبان في المساجد ناصحين وناقدين . وكنت أنا والأخ الأستاذ احمد المعلمي ، نحرّر المنشورات نظماً ونثراً ونوزّعها في المساجد وفي أبواب المسئولين ، وكنا نحرّرها بخط محرف . ولما جُلد الخالدي ونفي الى وشحه بحجة أن حرف الواو في المنشور أشبه خطّه ، احجمنا عن تحرير المنشورات بالخطّ وكنا نعمد الى أعداد من صحيفة الإيمان ونلتقط منها كلمات المنشور ثم نلصقها ببعضها في ورقة ونكتب عليها فتبدو كما لو كانت قد طبعت بآلة كاتبة . وأذكر أن الشهيد المطاع عرض علي نسخة من احد المنشورات وقال : « جلدوا الخالدي لأنهم شبّهوا الواو بخطّه فجاءت لهم واوات من عدن » . . . وكان يعتقد أن المنشور قد طبع في عدن . ولكنه جاءنا في يوم من الأيام يقول رجاء أوقفوا المنشورات لئلا تتسبّب لاعادتنا الى السجن . ولعل السيد محمد بن محمد زبارة رحمه الله ، وهو الشخص الوحيد الذي كان على اطلاع بما نصدره من المنشورات ، هو الذي أخبره لما بينهما من الثقة المتبادلة . وكان العلامة زبارة يمثّل المعارضة المواجهة والجهرية ، وأذكر أني في إحدى المرات نظمت قصيدة ناقدة ووزّعتها بالاشتراك مع الأخ احمد المعلمي جاء فيها :

ساد الفساد فلن ترى　　　غير الخليع موقّرا
في دولة أوهى الزما　　　ن مليكها المتكبّرا
وبنوه كلُّ منهمُ　　　ثوب الشقاء تأزّرا

وجاء فيها بعد تعداد مظالم العمال والحكام والخراصين وكتاب المقام وجنود الإمام ما يلي :

هُبّوا بني اليمن السعيد　　　فأنتم أسدُ الشرى
واستيقظوا من نومكم　　　فإلى متى هذا الكرى
هبّوا لمن أمسى يسو　　　مكمو العذابَ الأكبرا
وغداً يراكم يا بني　　　وطني بعين الأزدرا
حتى كأنكم العبيد　　　وان والده اشترى

ومنها :

فروا بدينكم اذا ... خفتم الى أم القرى
فهناك سوف ترون أن ... الدين بات موقرا
هذي نصيحة مشفق ... بكم حداه ما جرى
ولقد رأيت بقاءكم ... في الهون أمرا أخطرا
إن دام فينا ما رأيت ... وظل فينا ما أرى
فنصيحكم يخشى على الإ ... سلام أن يتنصرا

ولما وصل هذا المنشور الى الإمام يحيى أقامه وأقعده ، وقد أثاره ما جاء فيه من ذكر « أم القرى » الذي يعطي المقارنة بين حكمه وحكم الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد اتهم في ذلك السيد المؤرخ محمد بن محمد زبارة رحمه الله ، لأنه كما أسلفت كان يصرح في نقده للإمام وحكمه ، ولذلك فقد بعث الإمام ابنه الحسين الذي كان على علاقة حسنة مع السيد زبارة ليستخلص ما عنده ، وقد بعث معه بالبيتين التاليين :

إن لم تكونوا من برى ... ذاك النظام وحبّرا
فلعلكم لا تجهلون ... الأمر في « أم القرى »

وقد أقسم العلامة زبارة رحمه الله للحسين أنه لم يقل كلمة واحدة ولا كتب حرفاً واحداً من المنشور وما علمه بناظم المنشور وموزعيه ، فقد تخلّص دون أن يسمي أحداً . وقد أكبرنا فيه الوفاء في حمل الأمانة . وبعد حبس من حبس أوقفنا المنشورات فترة ، ثم بدا لنا أن نستأنف العمل حتى لا يؤكد انقطاعها أن مصدرها هم الذين في المعتقل ، فأصدرنا المنشور التالي وبالطريقة نفسها :

هذا العدوّ غدا على الأبواب ... يرنو بعين الفاتح الغلّاب
والمستبدّ له إلى أموالكم ... توقان مهجور إلى الأحباب
قد صار في دور الذهول وشعبنا ... أضحى يقاسي منه دور عذاب
وبنوه فيكم كلّهم قد مثّلوا ... رمز الفساد وخيبة الأحساب
قد أنفقوا أموالكم فيما اشتهوا ... من وصل غانية وحسو شراب

وأولئك الكتّاب والوزرا غدا ... في مالكم لهم صيال ذئاب
وأراكمو في نومة لا تنتهي ... أبداً بغير تصادم وخراب
فالقوا الى الشعب المعذب نظرة ... فلعلّها تهديكمو لصواب
والقوا زمام الشعب في كفّ الذي ... سيقيه شرّ عدوه الوثّاب

ولما بدأ الكلام يدور حول ضرورة الاستعانة بالسيد عبدالله بن أحمد الوزير واستبدال الإمام يحيى به ، وكان متردداً ، استطاع السيد الشهيد حسين بن محمد الكبسي رحمه الله اقناعه بدغدغة طموحاته بالتلويح بنصبه إماما خلفاً للامام يحيى نظراً لعدم صلاحية ولي العهد للخلافة لعدم استكماله لشروطها المعتبرة في المذهب الزيدي ، أصدرنا المنشور التالي تحت رقم (١٣) :

أرقت وما شوقا لسلمى وزينب ... سهادي ولا دعوى الغرام تليق بي
ولا أنا ممن يعشق الغيد قلبه ... فلا الهجر يضنيني ولا الوصل مطلبي
ولكنني ألقيت في الشعب نظرة ... وفكّرت والتفكير شأن المهذّب
رأيت المليك المستبدّ وقد دنت ... إليه المنايا بالحمام المشطّب
وفي الشعب منْ أبنائه كلُّ أرعنٍ ... قليل اطلاع العلم غير مهذّب
فمن ذا الذي يرضى به الشعب منهم ... ليحكمه والكلُّ غير مدرّب
أذاك وليّ العهد وهو الفتى الذي ... عرفتم له رأي سريع التقلّب
أم الحسن الموصوف بالزهد وهو مَنْ ... غدا رأيه بالظلم أفضل مكسب
أم السيف عبدالله وهو الذي غدت ... تجارته فيكم بشرق ومغرب
وإخوته الباقون غير الحسين لم ... نجد فيهم كفواً لأحقر منْصب
ولست بمُبْدٍ للذي تعلمونه ... حياء وذاكم شيمة المتأدب
فإن كان هذا البيت أضحى لديكم ... وكل بنيه صار غير محبّب
فقوموا إلى من زاده الله بسطة ... بعلم وجسم ذي الكمال المجرب
وذالكم رأي النصيح فإن يكن ... صوابا وإلا جئتموني بأصوب

وفي سنة ١٣٥٩ أصدر الإمام أمراً بأن تكون الزكاة (صبرة) أي أن يؤخذ من بدلات السنوات الماضية أوفرها وتجعل أصلاً لواجبات السنوات المقبلة ،

ويجبر المواطنون على دفعها سواء غلت أرضهم أم لم تغل . وقد عانى الفلاحون من ذلك الأمرّين بمظالم لا طاقة لهم بها ، وقد جهد الناس في المراجعة بدون جدوى فعظمت المصيبة عليهم . وكان أحدهم يزكي قمحاً عل أرض أغلّت شعيراً . وقد دفعني ذلك إلى نظم القصيدة التالية وقد بعثتها الى كثير من العلماء ولم يجب أحد منهم عليها بل بعث أحدهم ينصحني بأن لا أتدخل فيما لا يعنيني وهذه هي القصيدة:

سؤال الى يم الهدى ثاقب النظرة ... وشمس علوم المصطفى صفوة العتره
ومن أثمر الفتوى الصحيحة علمه ... فأصبح في أفق الهدى بيننا بدره
الى من يقول الحق للحق معلنا ... له فهو لا يهتاب من ظالم نكره
له قلم من ذي الجلال مداده ... يؤيده الروح الأمين لذي السطره
فيكتب لا يخشى ملامة لائم ... اذا كان في ذات الاله يرى زبره

ومنها :

أمولاي أني قد بليت بمعضل ... بهيم وقد أجهدت في حله الفكره
ولست بملقيه على غير عالم ... قدير على التخيير ذي فكرة حره

وجه الأشكال :

أقول وفي قلبي ندوب تنوّعت ... وقد صعدت من فرط ما نابني زفره
ألم يك مولانا الحكيم بشرعه ... قضى وهو فيها قد قضى مالك أمره
على كل ذي مال بخمسة أوسق ... فما فوقها في الكم من ماله عشره
وليس على المعدوم منه بموجب ... زكاة وما حظ العديم سوى الحسره
ولا مبدل عشر الشعير بحنطة ... ولا آخذ عن عشر حنطته دجره

الاحتجاج :

فما بالنا عنه جنحنا تعمدا ... وملنا الى تقديرها منهج « الصبره »
وقلنا هي المعيار في كشف واجب ... علينا جهلنا في دوائرنا قدره
سواء أغلّت أرضنا منه فاستوى ... على سوقه أم لم تكن قبله مصره

وفي هذه الفترة اشتركت في مجلة « الفتح » التي كان يصدرها محب الدين الخطيب الفلسطيني في القاهرة ، وقد تأثرت كثيراً بما كانت تسطره من مقالات تحريرية تهاجم الفردية وتدعو الى الديمقراطية التي كنا بعيدين عنها بعد السماء عن الأرض ، كما كنت أنشر باسماء مستعارة في صحيفة « فتاة الجزيرة » التي كان يصدرها في عدن محمد علي لقمان انتقد فيها الوضع بصورة إجمالية تارة وبالنص على حوادث معينة تارة أخرى .

وفي سنة ١٣٦٢ عاد أولاد الإمام الحسن والحسين وعلي وابراهيم واسماعيل ويحيى والقاسم من الحج ، وبعد وصولهم صنعاء بأسبوع واحد وُجد أحد الشبان المراهقين مقتولاً خلف مسجد البكيرية وقد شُوّه وجهه بالأسيد حتى لا يعرف ، ولكنه تم التعرف عليه كأحد اللصيقين بأولاد الإمام الشبان فنشرت والأخ المعلمي منشوراً نثرياً جاء فيه :

« انهم قتلوه في مجلس شراب وقدموه كقربان لحجهم (المبرور) » .

وقد كان للمنشور أثره في النفوس لما للجريمة من بشاعة .

وقبله كنت أنشأت قصيدة سينية تفوق على خمسين بيتاً عددت فيها مظالم الحكم الإمامي وما يجري من العمال والحكام وجنود الإمام وكتّاب المقام ، وكان هؤلاء محلّ نقمة شعبية كبيرة بل كان كثيرون من السذّج ينسبون اليهم جميع مظالم العهد الإمامي ، ويسمونهم «المحوشين» . ويقول مطلع هذه القصيدة:

ساد في ذا الزمان كل خسيس ... فاسد واستكان كل رئيس
وغدت زمرة الضلال بعزّ ... وأولو الحق في شقاء وبوس

وجاء بعدها القصيدة الميمية التي نافت على مئة بيت تحت عنوان « صرخة لواء إب » وهي التي عثر عليها بين أوراق جمعية الإصلاح وقد ساقتني في ما بعد الى سجن حجة للمرة الأولى في عام ١٣٦٣ ومطلعها كما يلي :

إنما الظلم في المعاد ظلام ... وهو للملك معول هدّام

كم عروش قد قوّض الظلم والعسف وكم دمرت به الأيام

ومنها :

آه مالي أرى الرعية قد أضحت بهذا اللواء خسفا تُسام
قد تولّى شؤونها الحاكم المطلق فهو الأمير وهو الإمام
فاتاها « بصبرة » يقشعر العدل منها ويصرخ الإسلام

ومنها :

ثم يأتي منهم لتحصيلها قو   م لهم في عروضنا احكام
إذ أتى من جنودهم كل فظّ   لم تزنْهُ مروءة واحتشام
والعصيمات مالنا من أذاهم   قط في هذه البلاد اعتصام
قد غدا من بيوتنا لهم المأ   وي ومن أهلنا لهم خدّام

ومنها :

والإمام الامام قد صمّ أذنيه وأعمى عينيه عنا الحسام
فاصدقوه بالنصح منكم وقولوا   قم تفقّدْ ما يشتكيه الأنام
انصف الناسَ من بنيك وإلاّ   انصفتهم من بعدك الأيام

وقد سار هذا البيت مسير المثل .

ومنها :

هذه صرخة أتت من لوا إب إليكم وكلها آلام
أملت نصركم وأنكم لا يعتريكم عن نصرها إحجام
فإذا لم تجد من العدل ما تبغي وأضحى لما تعاني دوام
فعلى الدين والشريعة والعد   ل وهذا اللواء منا السلام

وفي أوائل عام ١٣٦٣ ومن وحي المآسي التي كنا نراها كل يوم أمام أعيننا ، وبباعث الرغبة في التغيير الى الأفضل والنزوع الى تحقيق العدل والى التطور ، والذي كنا نسمع به ولا نراه أنشأنا في إب أول جمعية سياسية اسميناها (جمعية الاصلاح) واعتبرناها رافداً من روافد الحركة الوطنية في عدن بقيادة

الشهيد الزبيري والزعيم نعمان . وكان رأينا أن العمل من الداخل أجدى وانفع مهما كان محفوفا بالمخاطر ، وقد اطلع السيد الشهيد يحيى بن أحمد السياغي والسيد محمد أحمد المطاع على برنامج جمعيتنا وحضر البعض جلساتها ووافقا على البرنامج وشجّعا على المضيّ الحذر في العمل. كما أن الجمعية اتصلت بمن في عدن وبعثوا لها ببطاقات عضوية وسندات مطبوعة للتبرُّعات .

وبرغم أن هذه الجمعية لم تعمر إلا أشهراً معدودة ، فانها في حدود معلوماتي أول منظمة في الداخل تتخذ شكلا تنظيميا ويكون لها منهج للعمل ونظام داخلي واشتراك شهري . وقد اشار الأخ القاضي عبدالله الشماحي في كتابه (الانسان والحضارة) الى منظمة شكلها الشهيد المطاع وسماها (هيئة النضال) ولم يكن بين جمعيتنا وهذه المنظمة ارتباط ، عدا ما كان من ارتباط شخصي بالشهيد المطاع . اخترنا الأخ المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع رئيساً للجمعية لأنه كان أكثر حماساً واستعداداً لتحمّل تبعات ذلك ، وبعد وضع نظام الجمعية وبرنامج عملها التزم كل عضو بما وكل اليه ، ومن ذلك محاولة ضم أعضاء الى الجمعية ممن يثق بوطنيتهم ويتأكد من صلابتهم . وقد تفرق الجميع وذهب كل واحد الى عمله . ولم تمض أشهر حتى أقدم بعض الأعضاء بدافع الطيبة ونقص التجربة على ضمّ شخصين ، وهما مما لا يمكن الاطمئنان اليهم لمحدودية أفكارهم ولولائهم المترمّت العقائدي للإمام، فكانا جاسوسين على الجمعية للأمير الحسن فأبلغاه كل التحركات والخطط وحتى مخابىء أوراق الجمعية وأسماء أعضائها . وعلى ضوء ما حصل من المعلومات أمر الأمير الحسن بالقبض على من كان موجوداً من الأعضاء في إب ، فاعتقلوا رئيس الجمعية والأخ الشاعر محمد أحمد صبرة والأخ عبد الكريم العنسي والأخ محمد منصور الصنعاني والأخ عبده محمد باسلامة .

وكنت أنا في إريان ، ولما بلغنا اعتقال من اعتقل وأن جميع أوراق الجمعية قد وقعت في يد الأمير الحسن واسماؤنا فيها ، وفيها أيضاً قصيدتي الميمية السالفة الذكر ، وهي بخطي الذي لا ينكر ، توقّعنا أن نلقى نفس المصير وأن نساق الى السجن فتحوّلنا من إريان الى منطقة حوار التي يوجد فيها حمّام طبيعي

بعـذر الاستحمام . والينـا جـاء الأخ المعلمي الـذي كـان يعمـل في محكمة المخادر . وما مرّ يومان حتى جاءنا إشعار من الإخوان بأن النقيب علي الفقيه الأعور قد وصل أريان ومعه ثلاثون جنديا للقبض علينا وايصالنا إلى إب ، فعاد الأخ المعلمي الى المخادر لينتظر المصير ، وفكرت أنـا في الفرار الى عدن ، ولكني تذكرت ما ستتعرض له الأسرة الكبيرة من متاعب ففضلت التضحية إيثاراً لسلامتهم ، ورجحت الفرار الى الإمـام كوسيلة من وسـائل محـاولة النجـاة أو تخفيف العقوبة على الأقل . وتحركت مع أحد الذين كانوا معنا من الجنود مشياً على الأقدام ، بينما بعثنا جندياً آخر لإيصال البغلة واللحاق بنا عن طريق وادي الحار، وهي غير الطريق المسلوكة عادة. وفي إحدى قرى وادي الحار بتنا وقد أكرمنا أهلوها غاية الإكرام . وفي الصباح الباكر ، وكان قد لحق بنا الرفيق مع البغلة ، أردنا التحرّك صوب ذمار ، ولكن ربـة البيت أبت علينا السفر قبل أن نتناول طعام (الصبـوح) ، وبعد دقـائق جاءت ووجهت الي الخـطاب قائلة : « إني أعرف أنك القـاضي عبد الـرحمن الإرياني ولكن لا تخف والله لأغمض عليك في عيني » وكانوا فيما يبدو قد بلغهم وصـول الجنود الى أريـان للقبض عليّ ، أردت بذكر هذه السيدة الكريمة للتنويه بجميلها « وان المعارف في أهل النهى ذمم » . سافرنا الى ذمار وبتنا فيها متخفين . وفي اليوم التالي غـادرناها الى معبر وهناك بتنا ، وفي أثناء الليل أحسسنا بجلبة حول البيت الذي نزلنا فيه وفتح أحد الرفاق النافذة ليرى جنوداً كثيرين يحيطون بالبيت . وبعد هنيهة دخل خمسة منهم واستفتحوا غرفة النوم التي ننام فيها ، ففتحنا ودخلوا وجلسوا دون ان يقوموا بمهمتهم ، بل أخذ ثلاثة منهم يتهيّأون للنوم ، ولما حاولت الخروج الى المسجد لصلاة الفجر قال أحدهم ممنوع الخروج فقلت له ممنوع الصلاة فقـال لا وفي امكانـك ان تصلي هنا . نحن مـأمورون فـلا تؤاخذونـا ، فقلت مأمورون بماذا ؟ قال في المحافظة عليك حتى تأتي الأوامر بشأنك من صنعاء ، فقلت لهم : ولماذا لم تعلنوا ذلك عند دخولكم فقال : استحينا أن نواجهك بذلك سامحنا ، الله يخارجك .

وقبل الشروق جاءنا العامل في جهـران محمد أحمـد الوزيـر رحمه الله ،

وكان معنا كريماً فأخذنا الى بيته وأطلعني على البرقيات التي جاءته بشأني من ولي العهـد ومن الأمير الحسن ، وكـانت برقيـة ولي العهد تقـول : ابحثوا عن الإرياني وأوقفوه لديكم حتى يأتيكم من صنعاء بشأنه ما يلزم ، أما برقية الحسن فقد كانت محل استغراب العامل وسخريتي ، فقد قال فيها : عليكم أن تفاجئوه بعد أن يحيط الجنود بالبيت من الخارج ودخول البعض للبقاء في غرفته ونفّذوا ذلك بدون تردد ، فانه لا يخلو أن يكون لـه جواسيس وعيـون ورقباء فحـاذروا فراره . واستأذنت من العامل أن أرفع للامام يحيى برقية بمحاولة ابنه استعادتي وانا أقصد مقامه ، وأن عملهما هذا قد أذكرنا موقفا للمتوكل أحمد من والده المنصور علي ، وكان هذا قد عقّ والده وتجاوز الصلاحيات التي أعطاها له .
وذهبت مع العامل رحمه الله الى دائرة « السلك » وقد أخبر العامل مأمور السلك ان الامام يحيى أبرق لولي عهده بـرقية يقـول فيها الإريـاني قد عـرف الطريق وسنجري ما يلزم عند وصوله ، وأن ولي العهد أجاب يرجو السماح لهم باعادتي إلى تعز ليعرف المعتقلون هناك أنه لا تمايز ولا مهاودة مع أي منهم . وكانوا قد اعتقلوا هناك آل نعمان وعباس بن أحمد الباشا وابن أخيه أحمد بن محمد باشا ابن عامل تعز وآل الجنيد والمجاهد وبعض المشايخ ، فوافق الإمام على إعادتي . ومن اجل ذلك أرسلوا من صنعاء إلى تعز الإخوة عبد السلام صبره واسماعيل الأكوع ومحمد ويحيى وحمود أبناء السياغي وجازم الحروي .

وابرق ولي العهد إلى أمير الجيش بصنعاء بأمره بإرسال خمسة من الجنود « حمران العيون » على سيارة القاضي حسين الحلالي الى معبر لإيصال الإرياني الينا . وجاء « حمران العيون » برأسهم باتشاويش، وغادرنا معبر الى يريم ، وهناك كان مبيتنا لدى العامل الأخ علي أبو طالب رحمه الله ، وقد كـان كريما معنا. وفي الصباح غادرنا يريم على حمار لأن السيارة قد انتهت مهمتها لعدم وجود طريق وما تجاوزنا « المريمة » حتى أطل علينا النقيب الأعور والثلاثون جندياً المرسلون من الحسن إلى اريان وقد أراد استلامنا من الجنود الخمسة ، ولكن هؤلاء رفضوا بحجة أنهم مأمورون من ولي العهد بإيصالي اليه وان عامل جهران اخذ منهم التزامـا بذلـك . وقد كـادت الفتنة أن تنشب بينهم فتدخلت لحل

المشكلة واقترحت العودة الى بريم والإبراق لولي العهد واعتماد ما يأمر به .
وعدنا الى بريم وبقينا يوماً آخر انتظاراً لجواب ولي العهد الذي امر بأن يستلمنا
النقيب الأعور وإخلاء ذمة « حمران العيون » . وكان الأعور قد رفض اقتراح
العامل بنزولنا في الحكومة وأنزلنا في بيت « مفوت » الذي يحترف بيع القات
اسمه اسماعيل الخولاني . وقد كان هذا الرجل في غاية الكرم معنا ، فقد جاء
الينا في المساء يحمل حوالي خمسمائة ريال في « مسب » ووضعه بين يديّ
وقال لي خذ حاجتك أو خذها كلها ، فشكرته وقلت له لست في حاجة الى شيء
وقد أخذت حاجتي من الحاج حسن الزبيري أحد التجار الذين نتعامل معهم ،
فأصر الرجل على أن آخذ ولو قرضاً لا يقضى ، فقال له النقيب الأعور : ارفع
فلوسك حتى لا ينتهبه الجنود، فرفعها وهو يرى أنا كسرنا خاطره . وقد ذكرت
هذه القصة لأثبت أن في الزوايا خبايا وأن بين صفوف أبناء الشعب العاديين من
عنده المروءة ماليس عند علية القوم .

غادرنا بريم وبتنا في المخادر ، حيث ضمّوا الينا الأخ المعلمي الذي كان
يعمل في محكمتها ، وواصلنا السفر الى إب حيث وضعنا في سجن خاص على
باب المدينة يسمى « الزلومة » وأوكلت حراستنا الى العصيمات كنوع من النكاية
بنا لينالنا أذاهم الذي أشرت اليه في القصيدة بقولي :

والعصيمات مالنا من أذاهم قطّ في هذه البلاد اعتصام

وقد كانوا ينوّعون أذانا فعلاً ويختلقون الأكاذيب والأراجيف ويشنّون علينا
الحرب النفسية التي تمارسها المخابرات المتمرسة ، وكانوا يهدّدوننا بالتشميس
مما ترك في نفوسنا أثراً سيئاً فافتدينا ذلك منهم بمبلغ من المال ، وقد أذكرنا
ذلك قول الشهيد الزبيري رحمه الله :

والعسكري بليد بالأذى فطن كأنّ إبليس للطغيان ربّاه

وهو رحمه الله لم يقصد إلا مثل هؤلاء الجنود . وفي أوائل ذي الحجة
١٣٦٣ / نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ وصلت مجموعة ممن اعتقلوا في صنعاء مشياً
على الأقدام وعلى أعناقهم السرات ـ الأغلال ـ وهم الإخوان عبد السلام صبرة

ومحمد السياغي وأخواه يحيى وحمود واسماعيل بن علي الأكوع والشيخ جازم
الحروي . وقد أمر الحسن بتشميسهم في باب السجن بالأغلال ليراهم
المواطنون كنوع من الردع وإظهار الهيبة . وقبل عيد الأضحى كان سفرنا الى
تعز مع كل من سميناهم وبإضافة الشيخ حسن الدعيس والشيخ حسن البعداني
والشيخ محمد حزام خالد والشهيد النقيب عبد اللطيف بن قائد بن راجح
وآخرين من المجموعة الواصلة من صنعاء .

وبعد وصولنا تعز جاءوا بالأخ الشيخ صالح بن مرشد المقالح من قعطبة ،
وكان قد تمكّن من التخلّص من سجن القلعة بصنعاء حيث سُجن بعد عمله مع
الشريف الدباغ أحد أشراف الحجاز الذي كان يريد إنشاء دولة في الجنوب
اليمني ، واتخذ من يافع مقراً له ، وقد حورب من قبل الإنجليز ومن قبل الإمام
يحيى وقد قبض على الشيخ صالح المقالح رحمه الله في البيضاء وسيق الى
سجن القلعة وعمل بعد ذلك على إثارة طموحات الأمير إسماعيل بن الإمام
وإغرائه بالفرار الى عدن للانضمام الى أخيه سيف الحق ابراهيم الذي كان قد
سبقه الى هناك والعمل مع الجمعية اليمنية ، وقد قبض عليهما ومعهما الأستاذ
محمد البريهي في قعطبة ، وسيق الأمير الحميدي ومعه الأستاذ البريهي الى
سجن القلعة وسيق الشيخ صالح الى تعز ثم الى سجن نافع في حجة . وقد بقي
فيه الى ما بعد ثورة ٤٨ بسنين . وفي من جاء من إب السيد محسن باعلوي
وكان ممن اعتقل في إب وسيق الى تعز فحجه الشيخ منصور البعداني ومن ال
دماج قاسم بن عبدالله دماج وقائد بن عبدالله دماج وناجي بن علي دماج وعبدالله
ابن يحيى الدميني وعبدالله بن حسن خرصان .

وكان اعتقالهم بسبب فرار الأخ النقيب مطيع بن عبدالله دماج رحمه الله الى
عدن ونشاطه المعارض ونشره مقالات ضد الوضع الإمامي في صحيفة « فتاة
الجزيرة» . وقد جهد ولي العهد أحمد بمحاولة استعادته فلم ينجح فاعتقل مَنْ ذكرنا
من أسرته للضغط عليه .

وصلنا تعز فأمر ولي العهد بتوزيعنا ، فأنزلني والأخ المعلمي والشيخ
الدعيس أحد الأماكن الملحقة بمقام العرضي مع بعض المعتقلين من تعز ،

وفيهم الشيخ أحمد عبد الرقيب حسان وعبد الرحمن المجاهد وعباس بن أحمد باشا وعبد الوهاب بن محمد الجنيد ومحمد بن علي المطاع الشاعر، وأنزل الإخوة الباقين في حبس الشبكة. وفي يوم وصولنا استدعيت والأخ المعلمي والشيخ حسن الدعيس الى ولي العهد وعرض علي بعض ما ضبط من أوراق الجمعية وسألني من هو (اليحصبي) وهو اسمي الحركي. وكنا قد وضعنا أسماء لجميع الأعضاء كالأزدي، والكندي، ووو. وقد نفيت علمي وأنكرت صلتي بالجمعية وادّعيت أن خلافي مع سيف الإسلام الحسن هو الذي جعله يزجّ بي في المسئولية عن الجمعية. ومن حسن الحظ أنه لم يرسل لأخيه القصيدة التي حُرّرت بخطي مما سيجعل من الصعب إنكارها. وقد فهمت أن الحسن لا يريد إطلاع اخيه على ما فيها من الحقائق ضده. أما الشيخ حسن الدعيس رحمه الله، وهو الفيلسوف الحاذق، فقد كان جوابه غير موفق. فقد قال مخاطباً ولي العهد: إن الحادثة صغيرة جداً ولكنكم أخذتم المكبر على اعينكم فرأيتموها كبيرة جداً. أما بالنسبة الينا فإنهم قالوا ولا الضالّين فقلنا آمين. ففهم ولي العهد من الجواب الاعتراف لأن التأمين على الحدث إقرار له.

وبعد عيد الأضحى والانتهاء من الاحتفالات بعرس الأمير البدر نجل ولي العهد فوجئنا بسيارات الشحن تقف أمام مقام العرضي وجاء من يبلغنا بأن علينا أن نعدّ أنفسنا للسفر الى حجة المعتقل الذي مات فيه اكثر من (٧٠٠) من الزرانيق الذين ساقهم ولي العهد الى سجن نافع بعد استيلائه على المنطقة واحتلال بيت الفقيه بعد حرب دامت اكثر من سنة كان قائدها ولي العهد. وجاء الصباح فحشرنا في السيارات مزدحمين بحيث لم يستطع احد القعود طوال تلك الرحلة الطويلة الشاقة وقد تركنا تعز في ٢٣ ذي الحجة عام ١٣٦٣ / ١٩٤٤ م ووصلنا حيس في اليوم التالي، لأن الطريق كانت وعرة جداً، وقد بتنا في حيس لنحظى بضيافة كريمة من حاكمها الأستاذ عبدالله العزب أحد رواد الاصلاح رحمه الله، وغادرنا حيس الى زبيد، وقد أراد النقيب الأعور أن ينزلنا في الحكومة ليكون جنودها المسئولين عن الحراسة، ولكن عامل زبيد عبدالله ابن حسين الديلمي رحمه الله رفض ذلك واختلف مع الأعور فقال له هؤلاء

هم زعماء اليمن فقال الأعور: (لو هم زعماء انهم في بيوتهم) وواصل بنا السير الى بيت الفقيه، وهناك كان عاملها أبو طالب كريماً، وحفلت الرحلة بالمتاعب والآلام، ولا سيما والسفر كان في سيارة مكشوفة ونحن معرّضون لجحيم شمس تهامة الحارّة فواجهنا في ذلك مشقة ما بعدها مشقة، ووصلنا حجة، وهناك فرّقونا، فكنت أنا والإخوة المعلمي والبعداني الذي توفي في سجن حجة والدعيس وعبد الرحمن الحداد وعبدالرحمن المجاهد وعبد الوهاب الجنيد والشيخ محمد حسان المتصوف الذي تجاوز عمره الثمانين والذي لم يكن له اي اتصال بالعمل الوطني وانما نقم عليه ولي العهد بسبب شعبيته في المنطقة كشيخ صوفي وقد توفي رحمه الله في سجن حجة، وانزلوا معنا أيضاً من آل نعمان الشيخ محمد رحمه الله والشيخ عبد الرحمن والشيخ علي محمد وابنه عبد الرقيب والشيخ أمين نعمان، وكان معهم أيضاً عباس بن احمد باشا ومحمد بن علي المطاع، وأنزلوا الآخرين وهم الأكثر في سجن نافع.

وبرغم تشديد الحراسة في سجون حجة الا أنه لم يمض علينا أكثر من شهرين حتى تلقّينا الصحف والرسائل من عدن من الأخوين نعمان والزبيري، وكانت الصحف تتحدّث عن القضية وعن سجننا ونفينا الى حجة وعن فرار الشهيد الموشكي واحمد الشامي الى عدن والتحاقهما بمن فيها من الأحرار، وعن تشكيل الجمعية والتنديد بالأوضاع. وقد رفعت هذه الأنباء معنوية من انخفضت معنوياتهم من المعتقلين، واذا سأل سائل عن الوسيلة التي تمكنّا بها من الحصول على هذه الصحف فالجواب هو بالتأثير على بعض الحرس «والقرش بعد الله خير الأعوان».

كان عددٌ من أولادنا يدرسون في صنعاء وقد واصلوا مراجعة الامام يحيى وتذكيره بأني كنت قد لجأت اليه وقصدت مقامه، ولا شك أنه قد كان لذلك أثره. فقد وصلت برقية من الإمام الى نائب حجة يأمره باطلاق سراحي وإرسالي الى صنعاء، وذلك في سلخ ربيع الأول عام ١٣٦٤ الموافق ١٩٤٥/٣/١٢ م أي بعد

خمسة أشهر وأيام من اعتقالي، ولكن النائب رغم أنه كان كريماً معي جداً لم ينفذ الأمر إلا بعد أن استأذن من ولي العهد وأخذ موافقته.

وتحضرني هنا واقعة تعطي نموذجاً للعلاقات التي كانت سائدة بين الامام وولي عهده، إذ أن الأخير أمر بأن تُجهز لي بغلة إلى عمران أي دون أن تصل الى صنعاء، ولما سألت عن السبب قيل إن ولي العهد لا يسمح بدخول شيء مما في حوزته في حجة الى صنعاء، لأن الامام يستولي عليه. وقصة أخرى تعطي نفس النموذج: فقد دخل أولادنا إلى الإمام يحملون مئة ريال وطلبوا تحويلها لي الى نائب حجة، وقد سُرّ الإمام بذلك وأمر بتحرير برقية التحويل ووقع عليها وكتب بقلمه بأعلى البرقية ما يلي: (تسحب مجانا) وقال للأولاد قد أمرنا بسحب البرقية مجانا فهذا أول ما يصلنا من واجبات حجة (فلا يزيدوا عليكم في بيت السلك) أي لا يأخذوا منكم أجرة سحب البرقية.

وفي اليوم الذي وصلت فيه صنعاء (٤ ربيع الثاني) ذهبت لمقابلة الإمام غير متفائل بمقابلة سريعة، ولكني فوجئت «بالريمي» الآذن المعني بالتبليغ بكل من يصل - يأخذ بيدي ويوصلني الى باب الغرفة التي يجلس فيها الامام والكتاب ويدخل للاستئذان ثم يعود ليقول لي «تفضل» وقد استقبلني الامام استقبالاً حسناً وقال لي: «من أين»؟ فقلت من حجة فقال قد هي حجة! فقلت وزيارة وكلتاهما كفيلتان بتكفير الذنوب الموهومة، فضحك وتطرّق الى الحديث عن الجامعة العربية والضغوط التي يتعرض لها للانضمام اليها. ومع أنا كنّا نأمل الكثير بانضمام اليمن الى الجامعة وأقلّه فتح كوّة لتسرّب النور الى الظلام الذي تعيشه اليمن وقال إن فكرة الجامعة انجليزية وأن الإنجليز هم الذين أوحوا الى النحاس باشا بالدعوة اليها لخدمة مصالحهم، وتناول بعض زعماء الدول العربية المتعاونين مع الاستعمار وقد لزمت الصمت، وأذكر أيضاً أنه أخبرني بوفاة صديقي علي بن يحيى الذاري ووالده رحمهما الله فرثيتهما بقصيدة تعرّضت فيها لشرح سوء حال المسلمين العرب وتسلّط الاستعمار على بلادهم وتحوّل زعمائهم الى عملاء للاستعمار ينفذّون سياستهم ويسيرون طبق توجيهاتهم وأشرت الى الجامعة العربية فقلت مخاطباً الفقيدين:

وغادرتما هذي الحياة لتبلغا ... مقاما جوار الله في الخلد عاليا
فإن نلتما فيه جوار محمد ... وأنزلتما مستودعا منه دانيا
فقوما على أعتابه وأخبراه عن ... زمان غدا للمسلمين مناويا
زمان رماهم بالخطوب ولم يزل ... يفوّق أحداثا تصيب المراميا
وأمته أضحوا لأعداء دينهم ... على الرغم أذنابا وصاروا أياديا
ولولا له لم تنظر الأرض شعلة ... تلظى بأحداث وترمي دواهيا
وتنظر بلاد المسلمين وقد غدت ... بأيدي العدا قد أملأوها مخازيا
وتنظر بني الإسلام كيف تفرقوا ... شعوبا وصاروا في الصراط مناحيا
فلا الدين بالدين الذي قد عهدته ... ولا الشرعة السمحاء فيهم كما هيا
هم نفّذوا للكافرين ارادة ... وهم بلّغوهم في الشعوب الأمانيا
لئن صبغوها صبغة عربية ... فهيهات أن يخفوا علينا المغازيا

ولم يرق للإمام البيت: فلا الدين بالدين.. الخ، لانا لم نشن اليمن فقال اما اليمن بحمدالله فالدين كما عهده الرسول ﷺ والشريعة كما شرعها. غادرنا صنعاء الى اريان وبعد البقاء في اريان مدة قصيرة توجّهنا الى إب حيث زرت الحسن زيارة مجاملة وغادرتها في اليوم التالي الى تعز وهناك استقبلني ولي العهد استقبالا حسنا، وقد كان يعمل على استصفاء دعاة الاصلاح بعد فرار من فر الى عدن وكما فعل بالشهيد الموشكي والشامي بعد عودتهما من عدن. وقد عينت عضواً في هيئة تدقيق الأحكام التي كان يرأسها ويوقع على قراراتها، وفي فترة بقائي في تعز وحتى آخر سنة ١٣٦٦/١٩٤٧ توسّعت دائرة مطالعاتي وكان فيما تسرب الينا من الكتب «هذه هي الأغلال» للكاتب السعودي عبدالله علي القصيمي. وكان السيد حسين الويسي يتردّد على عدن بأوامر ولي العهد، وكان يعود بالكثير من الصحف بما فيها «صوت اليمن» وكان ينزل في غرفة مجاورة لغرفتي في الدار الشرقي من مقام العرضي، فكنت أطلع على كل ما يأتي به من صحف ومجلات وكتب حديثة، وكان هو نزّاعاً الى التغيير، ولا شك أنه كانت له صلات بصنعاء وان كنا نحن نتعامل معه بحذر نظراً لقربه من ولي العهد. وقد تعيّن في حكومة ثورة ١٩٤٨ وزيراً للمواصلات وقد كان ينفحنا بما يحمل من

الكتب والمجلات فتوسع بذلك اطلاعنا على الحياة الحديثة . وقد يكون مما يستغرب اليوم أن أقول إنني حينما كنت في تعز استمعت الى الإذاعة لأول مرة فاشتاقت نفسي لشراء راديو ، ولكن كيف لي بذلك وقد كان شراؤه ممنوعاً على المواطنين ، بحجة أنه يذيع أغاني يحرم سماعها . ورفعت الى الإمام يحيى رسالة رجاء أطلب فيها السماح لي بشراء راديو لسماع الأخبار وما يذاع من برامج دينية وجاء جواب الامام بخطه يقول: « عافاكم الله والسلام عليكم ، لا بأس أن تشتروا راديوها ومثلكم من لا يلهو بالملهيات » ليؤكد بذلك ان منع اقتناء اجهزة الراديو للمواطنين إنما باعثه الخوف عليهم من الافتتان بما يذاع من الأغاني ، ولمّا أمن عليّ الفتنة أذن بالشراء .

ثورة ١٩٤٨ / ٧ ربيع الثاني ١٣٦٧ هـ :

الكلام على ثورة ٤٨ يطول وسوف أحاول الإيجاز غير المخلّ فأقول :

هناك أمر هام لم يتطرق اليه الكثيرون ممن كتبوا عن ثورة ٤٨ ، وهو العلاقة التي كانت بين القائمين بها وحركة الاخوان المسلمين في مصر ، وهي علاقة كان لها أثر لا يستهان به في تطوير حركة الأحرار والتحضير لقيام الثورة .

وعلى الرغم من أن أياً من الأحرار لم يكن منضماً الى الإخوان المسلمين ، إلا أن بعضهم كان قد اتصل بالشهيد الشيخ حسن البنا كالاستاذين الزبيري ونعمان وعبدالله بن علي الوزير والمسمري ومحيي الدين العنسي وشرحوا له أوضاع اليمن وما يعانيه من جهل وفقر ومرض وعزلة ، فوجدوا منه تجاوبا ووعداً بالتعاون . وقد انتدب لدراسة أوضاع اليمن المجاهد الجزائري « الفضيل الورتلاني » الذي وصل الى اليمن تحت ستار الوكالة لبعض الشركات ، وقد كان لهذا المجاهد الكبير دور كبير في التحضير للثورة .

وقد أسلفنا أنه كان لبعض شباب الثورة رأي في إنشاء مجلس سيادة أو إمامة ، ولكن الورتلاني رحمه الله رأى ان دائرة الثورة ضيّقة الحلقات لا تتجاوز بعض الشباب المستنيرين ، في حين أن الجماهير اليمنية على ما تعانيه من مظالم ومتاعب وما تقاسيه من جهل وفقر ومرض لا تفكر بالثورة ولا تنتظرها ،

والثورة تفتقد القواعد الشعبية ولا يعلم الا الله ردود الفعل التي ستواجهها بعد قيامها ، مما يجعل من الحكمة ألاّ تندفع في استفزاز القبول الشعبي السائد المتمثل في الإمامة ، وأقنع المتحمسين من الشباب بأن تجاوز الظروف والواقع دون رأي عام ووعي شعبي وقواعد شعبية سيجعل من نصيب الثورة الفشل ، وأن الطريق الصحيح للثورة هو التخلّص من الإمام المستبدّ المغلق المتحجّر العقلية بنصب إمام تتوفّر فيه قابلية التطور والخروج باليمن من العزلة المضروبة عليها . ويتقبل أيضاً أن يكون للبلاد دستور يحدّد الاتجاهات ويوزع الصلاحيات ومجلس شورى يكفل المشاركة الشعبية وحكومة لها صلاحياتها وعليها واجباتها ، ولا بد مع ذلك أن يكون له شعبيته ووجاهته وبالذات لدى القبائل الشمالية .

وعلى ضوء هذه القناعات بدأ العمل على إقناع السيد عبدالله بن أحمد الوزير بأن يقبل تنصيبه إماماً لأنه الشخصية الوحيدة التي لها مكانتها في نفوس القبائل . وقد استعان الأحرار بالشهيد السيد حسين بن محمد الكبسي رحمه الله ثم جاء المجاهد الورتلاني فعمّق القناعة في نفس الإمام الجديد . ولم يكن هذا هو المردود الوحيد لصلة الأحرار بحركة الإخوان المسلمين ، فقد جاء عدد منهم الى صنعاء وعملوا على مدى أيام الثورة القليلة في مجال الإعلام إذاعيا وخطابياً ، وكان لهم أمل كبير في أن يجدوا في اليمن المجال الواسع لتطوّر حركتهم دون أن تتعرض للقمع أو لدسائس الاستعمار . وأذكر أني في سنة ١٣٨١ التقيت بأحد قادتهم وهو الدكتور سعيد رمضان مريد الشهيد البنّا وزوج ابنته في مكة المكرمة ، حينما اشتركنا معاً في مؤتمر رابطة العلم الاسلامي وقد قال لي : ان البنّا كان يقول لمريديه : إن نجاح الحركة الاسلامية سيكون في هذا الصقع المبارك « اليمن » لانه لا سلطان فيه للاستعمار ، ولأن أهله مشهود لهم بالحكمة والإيمان بقول الرسول ﷺ : « الإيمان يمان والحكمة يمانية » فتعاونهم مع الثورة كان منطلقاً من أمل كبير في أن يجدوا في اليمن المناخ المناسب لنموّ حركتهم واتساع دائرتها بل والحصول على السلطان الذي يزع به الله تعالى ما لا يزع بالقرآن ، ومما لا شك فيه أن كل تعاون سياسي بين دولة

ودولة أو بين منظمة وأخرى يصدق عليها المثل القائل : « مأرب لا حفاوة » .

بعد اقناع الوزير بتولي الإمامة بدأ وضع الخطة للتخلّص من الإمام يحيى وولي العهد بضربة واحدة وكلف بالقيام باغتيال الإمام يحيى الشيخ علي ناصر القردعي والشيخ محمد قائد الحسيني والشيخ محسن هارون وابنه وغيرهم . كما كُلّف باغتيال ولي العهد في تعز العقيد حمود الجائفي والمقدم محمد حسن غالب والنقيب حسن بن صالح الشائف والنقيب محمد بن حسن أبو راس وآخرون وحددوا للعملية غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧ ، ولكن القردعي تردّد في جواز قتل الامام يحيى وطلب فتوى من العلماء تبرّر القتل يلقى بها ربه ، فأعطاه الوزير الوثيقة ولكن العملية أجلت إلى سابع ربيع الآخر ١٣٦٧ . وقد حدثت بعض الملابسات التي سبّبت ارتباكاً وتخوفاً في صفوف الأحرار إذ كان الإخوة في عدن ينتظرون قيام الثورة وإشعارهم بها بواسطة الشهيد الخادم غالب رحمه الله عن طريق برقية إلى وكيله في عدن وبصيغة متفق عليها . ولكن برقيته وصلت عدن تخبر بوفاة الإمام يحيى قبل الموعد المحدد عن طريق وكيل تجاري بريطاني في الحديدة بإيعاز المندسين في صفوف الأحرار وبتكليف من ولي العهد لغرض إجهاض الثورة ، وقد جاء في البرقية أن الامام يحيى مات ميتة مشبوهة .

وقد أرسل والي عدن مندوباً لتعزية سيف الحق إبراهيم بوالده ، ومع أن البرقية المتفق عليها لم تصل من الشهيد الخادم غالب ، إلا أن ثقة الأحرار بأن معلومات حكومة عدن يمكن أن تكون غير صحيحة مع احتمالهم لأن يكون عائق قد حال دون وصول البرقية جعلهم يسارعون إلى نشر الميثاق المقدس مع القوائم الملحقة به لمجلس الوزراء ومجلس الشورى ومديري الإدارات . . الخ .

وقد توقع الجميع أن تقوم الحكومة باعتقال من جاءت أسماؤهم في الميثاق وبدأ الإعداد لذلك، فأمر الإمام ولي عهده بالانتقال الى صنعاء لاتخاذ الاجراءات اللازمة ضد من سمّاهم بـ «الخونة» وتظاهر ولي العهد بأنه يتأهب لمغادرة تعز، ولكنه كان يتوجّس خيفة من أن يعطي تواجده مع أبيه في العاصمة الأحرار فرصة التمكن من القضاء عليهما دون أن يجد فرصة للخلاص كما وجدها أخيراً في تعز،

او انه كما قال بعض اللصيقين به كان قد استطال عمر والده وطال انتظاره لتولي إمارة المؤمنين فتباطأ في الاستجابة لإلحاح أبيه عليه بسرعة الوصول حتى يتخلص من أبيه ثم يتخلص به من أعدائه . وقد حاول السيد عبدالله الوزير أن يبرئ نفسه فأصدر بياناً يتهجم فيه على من في عدن واتهمهم أنهم أرادوا بنشر الميثاق إغراء الإمام يحيى برجال دولته المخلصين وتظاهر الإمام بالتصديق .

وبقي الجميع يعيشون في قلق ويتوقعون وصول ولي العهد من تعز ، وحرت أنا فيما أعمله ، ولكني تذكرت المثل الشعبي القائل « قتله بين سبعة عرس » وجزمت بعد التفكير أنهم لا يمكن أن يؤاخذوا بعضاً ممن جاءت اسماؤهم في الميثاق دون بعض .

كنت عند قيام الثورة في إب ، وكان الأمير الحسن متغيباً ، وكان ينوب عنه القاضي أحمد بن أحمد السياغي . ومر علينا الثلاثاء ـ الموعد المحدد أخيراً للحركة ـ دون أن نسمع شيئاً مما نتوقع ، ثم فوجئت بعد صلاة العشاء برسول من السياغي يستدعيني اليه ، ولما كان عهدي به قريبا ، فقد توجّست خيفة من هذه الدعوة ، وكان أخشى ما أخشاه أن تكون الحركة قد قامت في صنعاء وفشلت وصدرت الأوامر بالقبض علي وعلى غيري ممن جاءت اسماؤهم في الميثاق ، ولكني لم أجد بداً من الاستجابة حتى لا يصدق علي المثل « بلهاء تدلني على سرّها » لو أبديت تلكؤاً ، فذهبت الى الحكومة حيث يقيم السياغي واستغربت انه لم يقابلني في مكتبه بل استدعاني الى سكنه ووجدته منهارا لا يملك عينيه من البكاء ، فحدست كل شيء تقريباً ، ولم يكلمني بل ألقى اليّ برقية تقول : من الإمام الداعي عبدالله بن أحمد الوزير . لقد كان ما قضاه الله وأمضاه من وفاة المغفور له مولانا أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين رحمه الله ورضي عنه في صباح يومنا هذا ، وقد أجمع أهل الحل والعقد وكلّفوني بالقيام بأمور المسلمين وبايعوني على كتاب الله وسنة رسوله وعلى الطاعة في المنشط والمكره ، ولم نجد بداً من القبول ، فنأمركم بأخذ البيعة ممن قبلكم وحزم أمور اللواء والتعاون مع القاضي الوجيه عبد الرحمن بن يحيى الإرياني والأخ أحمد

محمد مفضل والأخ يحيى عبد القادر على تسيير أمور اللواء والمحافظة على الأمن وأمروا خطباء المساجد بالخطبة لنا وأفيدونا بما يتجدّد ، وقلت لبلاغ السياغي وعلام البكاء والرجل قد نيّف على الثمانين والواجب التجلد والثبات لتثبت أنك من رجال الأحداث فتعلّل بأنه إنما يبكي إشفاقاً على النساء والأطفال فقلت : فكّر الآن في الشعب اليمني .

وفيما نحن في الحديث اذ وصل السيد يحيى عبد القادر . ولما كان الامام الوزير قد أمر بالتعاون معه فقد أطلعه النائب على البرقية واستطلع رأيه فقال : نحن لا ندري الآن ما هو موقف وليّ العهد ، ولا شك أنه سيعارض ، ومن الحكمة التريث حتى نتصل بتعزّ . . وبعد خروجي من لدن النائب عرجت عليه في غرفته وعرفت منه أنه قد بعث للامام الجديد تهنئة ومبايعة ، وحثّني على إرسال برقية تهنئة وعرفت أنه قد قال ما قاله للسياغي ليتريث الامام الجديد به فيأمره بأن يحل محله ، وقد استهجنت ذلك ونصحت السياغي بإرسال برقية مماثلة .

وبرغم أن السياغي ظل هو المسئول الرسمي الاول ، إلا أنه بعد أن بلغه تحرّك ولي العهد أصبح سلبياً وغير راغب في العمل ، سيما وأنه كان يتعرض للتهديد من الشيخ علي عنان والشيخ علي بن محسن باشا ، وقد رجاني أن أرسله في مهمة بعيداً عن إب ، وشعرت أنه يريد الفرار ، فماطلته حتى وافق الإمام على إرساله الى صنعاء ، فأرسل الى يريم ثم تركها والتحق بالامام احمد .

بعد سفر السياغي تولى شئون اللواء يحيى عبد القادر بينما فضلت العمل من الخلف لا خوفاً من فشل الثورة التي كانت طلائعه قد بدأت،ولكن مثالية ونكراناً للذات . على أن أنصار الإمام أحمد وعكفته الذين جاءوا من تعز كانوا يعرفون من الذي يحرّك الأمور بولاء صادق للثورة ، ولذلك فقد نجا السيد يحيى عبد القادر وتحول من مسئول للامام الوزير الى مسئول للامام احمد ، بينما قبض الجنود عليّ أنا والأخ المعلمي ، وكانت ظهورنا هدفاً لطبانات بنادقهم ، ولم ننج من القتل إلا بمعجزة وبفضل تدخل السيد محمد بن محمد المنصور

والسيد علي بن عبد الله بن قاسم حميد الدين رحمهما الله . وكان رصاص العكفة قد اخترق نوافذ الغرفة التي لجأنا اليها ، وكان العبد والشاوش يقسمان الأيمان المغلظة ليأكلان من أكبادنا، ولكن السيدين المذكورين قالا لهم إن القتل بغير أمر الإمام لا يمكن، وستعاقبون عليه فدعوهما في الحبس حتى يأمر الامام بما يراه.

كان الأستاذ احمد محمد نعمان قد جاء من عدن إلى تعز، وفي ١٨ ربيع الثاني وصل إلى إب في طريقه إلى صنعاء مع عدد من الأحرار الذين سمّاهم الفدائيين ، وكانت المعلومات لدي أن طريق يريم صنعاء غير امنة فنصحته بالعودة الى تعز والسفر منها الى صنعاء جواً ، ولكنه أصرّ على السفر حتى لا تسبّب العودة إضعاف المعنويات فاقترحت عليه السفر الى يريم والبقاء هنالك حتى يتم استطلاع احوال الطريق وأبرقت له الي يريم أرجوه ان لا يتجاوز أبواب المدينة ، ولكنه أصرّ على مواصلة السفر معتمداً بمن معه من الفدائيين . وقد تم القبض عليهم من قبل الشيخ زيد عمران وقبائله على بعد أميال من يريم وسيقوا الى ذمار كما هو معروف .

وإزاء هذه الأحداث اقترحت تجنيد بضعة آلاف من أبناء اللواء بقيادة وزيري الدولة الشيخ علي بن محسن باشا والشيخ أحمد بن حسن باشا والنقيب الشهيد عبد اللطيف بن قائد بن راجح ، وسافرت الى تعز مع السيد محمد المنصور لإيصال السلاح اللازم وعدنا بشيء منه . وتوجه الجيش الى المخادر في طريقه الى ذمار ، وقبل أن يتحرّكوا منها جاءت ليلة ٣ جمادى الأولى ١٣٦٧ الموافق فبراير (شباط) ١٩٤٨ ، وفيها سقطت صنعاء، وثورتها وإمامها الدستوري وحكومتها الدستورية . وقد استمعت الى هذه الأخبار المشئومة مع الأخ احمد المعلمي من إذاعة صنعاء بالراديو الوحيد الذي كان موجوداً حينها في إب من مخلّفات الأمير الحسن ، وسقط في أيدينا ، وقد فكرنا في الفرار ، ولكنا فضلنا مواجهة الواقع على التشرّد والضياع والوقوع في أيدي الحاقدين الهمج ، بالإضافة الى بقية أمل في أن سقوط صنعاء لن يحول دون مقاومة الثورة في كل من إب وتعز ولو الى حين ، على انا لو أردنا الفرار لما نجحنا لأنها لم تمض

دقائق حتى كانت أصوات البنادق تصمّ الآذان وقد كانت توجّه الى الحكومة والى الغرفة التي كنا فيها ، مما اضطرّنا الى مغادرتها والبقاء في الحجرة لتوقي الرصاص وجاء من يريد قتلنا والأكل من اكبادنا كما اسلفنا .

وكان مدير البرق في إب قد نقل أخبار صنعاء الى يحيى بن عبد القادر ، وقد أخبرنا المدير بأنه بعث برسائل لولي العهد في اليوم الذي بعث فيه برقية مبايعته للامام الوزير وقد قام الموجودون من العكفة والجيش الموجود في اب بالقبض على الأحرار بأمره .

اما بالنسبة لي وللأخ المعلمي فلم يحتج الجنود الى أوامر بالقبض علينا ، اذ اندفعوا من تلقاء أنفسهم يقسمون ليشربوا من دمائنا ويأكلوا أكبادنا . ولكنه بعد تدخّل السيدين المشكورين وأخذهما التعهد من الجنود بعدم اتخاذ أي اجراء في حقنا بدون أوامر ساقونا الى السجن ووضعوا على قدميْ كلّ واحدٍ منا قيدَيْن كبيرين ، ورمونا في مكان يضعون فيه الرماد وبقايا التنباك . ومن الغرائب أنا نمنا نوماً عميقاً حتى الصباح وفيه جاءوا بالكثير من الأحرار الذين تمّ القبض عليهم وفيهم الأخ القاضي محمد بن علي الأكوع الذي حاول الفرار فوقع من السطح وانكسرت رجله ، ومع ذلك لم يُعْفِهُ الجند من القيْد وكان الحرّاس علينا من العكفة الذين أرسلهم عامل تعز السيد محمد احمد باشا ، وكان هو المسئول في تعز وهم زهاء مئة وخمسين جنديا ، وكانوا في طريقهم الى صنعاء ، ولكنه طلب إبقاءهم في إب خشية أن ينالوا الأستاذ أحمد نعمان ومن معه المقبوض عليهم في ذمار بأذى ، وكان قد أرسل الأستاذ إبراهيم الحضراني والأستاذ محمد الربيع في محاولة لبذل المساعي لانقاذ الاستاذ نعمان ومن معه فقبض عليهما في عراس وادخلا الى يريم ونالا نصيبهما من « الدرداح » وهدم بيت الربيع ، وقد سيقا مع الأستاذ نعمان ومن معه وفيهم الشيخ امين نعمان والشيخ جازم الحروي الذي يقول فيه الشهيد الزبيري :

الا فليعش في مهجة الشعب جازم — فدَتْهُ بحبّات القلوب العوالم
فتى راعني بالجود حتى حسبته — ملاكا كريماً أنجبته الغمائم

وكان يساعد الأحرار في عدن بكرم منقطع النظير .

وقد وجدنا في السجن من أخبرنا عن عدد آخر في سجن الخلافة من تجار إب واعيانها لا ناقة لهم في الثورة ولا جمل سوى رغبة الجنود في نهبهم وابتزازهم .

وفشل الثورة على هذا النحو السريع والمريع لا بد وأن يطرح سؤالا في حاجة الى جواب حول الاسباب التي أدت الى فشلها وعلى هذا النحو السريع . والأسباب كثيرة ، ولا مجال هنا لاستقصائها ، ولعلي سأذكر بعضها عند جوابي على السؤال عن سبب الفشل ، وقد كان بعضها يعود الى التخطيط وبعضها يرجع الى أسلوب التنفيذ الذي لم يقدر له التكامل كما سنشرحه في محله .

بعد أن تمكن الإمام أحمد من القبض على من في صنعاء وذمار وإرسالهم الى معتقل حجة ، غادر حجة الى تعز وتجاوزها الى القاعدة ، ومن هناك أمر بوصولنا وجاءنا قائد الحرس - العكفة - محمد الكول لإبلاغنا الأمر وأن علينا أن نسير على أقدامنا بما عليها من القيود الى القاعدة فقلت له إن هذا متعذر ، ولا يمكن أن نصل إلا بعد أيام ، وبعد أخذ وردّ وافق الجنود (المقطون في الأذى) على استبدال القيود بالأغلال على الأعناق بحيث يكون كل خمسة أو ستة في غل واحد ، ولم يعفوا احداً من ذلك الا القاضي محمد الأكوع ، فقد أركبوه حماراً بسبب كسر رجله مما جعله يقول لنا وهو يرانا في الأغلال يجر بعضنا بعضاً « رب ضارّة نافعة » .

كنا ثلاثة وثلاثين شخصاً عندما غادرنا إب ، إذ ترك بقية المعتقلين الذين لا دخل لهم بالثورة في اب ، وكان الناس على جانبي الطريق يدعون لنا بحسن المخرج ، بينما كانت النساء تنوح وتبكي ، بينما الخارجون من صنعاء وعلى رأسهم الامام الوزير والكثير من العلماء ورجالات اليمن فدحرجوا بين لعنات الناس مشفوعة بقذفهم بالتراب والقاذورات ، وبهذا يمكنك أن تقارن بين المشاعر هنا وهناك وتستنبطها مؤشرا على الروح الحضارية والحس الإنساني،

وتفاوت درجات الوعي . ولا شك أن للالتزامات العقائدية والتضليل والدجل في
هذا التباين في النظرة الى رجال الاصلاح أثرها .

وصلنا الشياني بعد الغروب بساعات وساقونا الى الجامع لعدم وجود منزل
ننزل فيه ، لأن المحل كان مليئا بالجنود الواصلين من حجور من الجيش الذي
أرسله الإمام أحمد لتصفية العدين واعتقال الشيخ علي بن محسن باشا والشيخ
أحمد بن حسن ومن معهما ، وقد ارتمينا على حصير الجامع وكأننا على فراش
وثير .

وفي الصباح جاء الناس للصلاة ولمسنا منهم التأثر لحالنا والتعاطف معنا
حتى أن أحدهم ويدعى الحاج عبده قد انفجر باكياً . وكانت مشكلتنا تكمن في
أن من أراد قضاء الحاجة أو الوضوء، لا بد أن يجرّ معه زملاءه في الغل ، وكان
ذلك صعباً وغير مألوف . وجاء أهل حجور وهم من المضلَّلين المتعصبين ،
ولما رأوا علينا الأغلال عرفوا أنّا من « الدستوريين » فحاولوا الاعتداء علينا
فمنعهم الجنود المكلفون بحراستنا ، فأوسعونا سباً وشتماً ، لأنا على حد تعبيرهم
وزعمهم قتلنا «امّام» فقلت لهم نحن في إب على مسيرة ستة أيام فكيف قتلنا
« أمّام» فقالوا انتم السحرة الذين سحروا الوزير فقتل «امّام» فقلنا لهم لسنا
سحرة ، ألا ترون أنّا قمنا الى الصلاة قبلكم ونحن في هذه الحالة ؟ فقالوا انتم
يهود و « دستوريون » فقلت لهم اما دستوريون فنعم واما يهود فنحن نشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله . فسأل شيخهم من هذا الذي يتكلم ؟ فقال له
الكول : هذا القاضي عبد الرحمن الإرياني وأبوه كان رئيس الاستئناف فقال :
لا اله الا الله « يخرج من العود عودين فعود كرسي لختمة وعود مندف
يهودي » .

وبعد أن أخذ الجنود قسطهم من الراحة ومن الطعام ولم يقدموا لنا الافطار
ولا العشاء في البارحة واصلوا سوقنا مشياً على الأقدام الى القاعدة حيث كان
الإمام أحمد، وفي مشارفها التقانا الآلاف من الناس وفيهم عدد كبير من العكفة
الذين اخذوا يطلقون الرصاص ويرددون الأهازيج التي تسبّ الوزير وأعوانه

والدستور وقومه .

كان الإمام أحمد ينزل في دائرة البرق « إدارة التلغراف » وقد صفّونا
بأغلالنا أمام تلك الدار وأطل علينا الامام من النافذة متشفياً ، وتركنا على
وضعنا ذاك زهاء ساعتين قاسينا فيهما الكثير من حرارة الشمس ومن العطش
وطلبنا الماء فمنع عنا ، وجاءنا أحد أطفال إب الذين رافقوا الركب بإناء فيه ماء
وفي غفلة من الحرس مدّ به اليّ وما شرعت أشرب حتى هبّ أحد الجنود ليجذبه
مني ويمنعني من الشرب فرميت به الى الأرض ، وكان الإمام ينظر من النافذة ،
فأمر بأن نعطى شيئاً من الماء وأن ننقل لتونا الى شاحنة كانت معدّة الى سجون
تعز .

صعدنا الى الشاحنة ولم أستطع الصعود ، فحملني الجنود ، وقذفوا بي الى
الشاحنة . وصلنا تعز ولم نر من المواطنين هناك الا الانكار والاشفاق حتى
وصلنا قريباً من مقام العرضي ، فاستقبلنا هناك بعض العاملين فيه من موظفين
وجنود بالسباب والبصق ، وأذكر أن الأستاذ الشاعر عقيل عثمان رحمه الله كان
لشدة عطشه يفتح فاه ليبصق فيه الباصقون ليبل لسانه ، ولما وصلنا باب دار
الضيافة أطل علينا عدد من الإخوان المسلمين المصريين ، وكان على وجوههم
الانكار وعيونهم تملؤها الدموع تعاطفا معنا ، وقد أشرت الى ذلك بقولي في
القصيدة التي شرحت فيها بعض ما عانيناه في السجن والتي نشرها الأخ
المعلمي واسماها (ملحمة من سجون حجة) :

ولست أنسى وقد اطلت ... من طاق دار الضيافة
عيون قوم وقد أهلت ... دموع عطف ورحمة
رأت وجوهاً لنا اضمحلت ... ما بين عسف وقسوة
والإخوة المسلمون حلت ... فيهم خلال الأخوة
من مصر جاءوا وكم تجلت ... بالخير أرض الكنانة

تسلّمنا في تعز قائد الحرس النقيب علي بن علي الجائفي الذي أمر بوضع
القيود في أرجلنا وبقاء الأغلال في اعناقنا ، ولما راجعناه بأنه لا يمكن الجمع

بين القيود والأغلال أجاب بأنه لا بد من استئذان الامام في فك الأغلال وقد كان .

جاءتنا الأخبار بإعدام الإمام الوزير والسيد زيد الموشكي وبعض آل الوزير ، فانزعجنا لذلك وقلنا إن من يقتل هؤلاء لن يتورع عن قتلنا ، ولم يطل بنا الانتظار ، فما ان جاءت ليلة الجمعة حتى أيقظني الحرس أنا والأخ المعلمي وأمرونا بأن نكتب مالنا من وصية ، فقد أمر الإمام بإعدامنا بعد صلاة الجمعة . فبادرنا الى كتابتها مستسلمين راضين بقدرنا ، وعدنا الى نومنا بينما رفاقنا لم يذوقوا طعم النوم ليلتها فزعاً من الأمر . وقبل صلاة الجمعة أشعرنا الحرس أن بامكاننا الاغتسال « تأهبا للاعدام » فاغتسلنا وصلينا وانتظرنا النداء بأسمائنا كما هي العادة ، ولكنه مضى الوقت المحدد دون أن ينادوا علينا ثم أبلغنا الحرس أن الإمام أمر بتأجيل الاعدام الى الجمعة التالية وفيها كرروا معنا نفس الإرهاب . وقد أشرت الى ذلك في القصيدة بقولي :

وليلة الجمعة الشقيه	أيقظني حارس الطغام
وقال قم فاكتب الوصيه	انت وهذا الأخ الهمام
فقد دنت منكم المنيه	فاستقبلوا في الغد الحمام
واقتسما كأسه سويه	فهكذا قرر الإمام
أن تقتل الأنفس الزكية	بدون حكم ولا احتكام

وجاء أخي عبدالله رحمه الله ومعه محمد بن يحيى بن علي لمراجعة الإمام وسمح لهم بزيارتنا ، وأخرجنا الجائفي الى مكان منعزل وظل رقيباً على ما يدور من كلام ، وقد أخبرانا بما كان من النهب في اريان وخراب بعض البيوت ، وأخبرانا أيضا عمن أعدموا في حجة ، وقد أذهلتنا كثرة الذين أعدموا وفيهم المطاع والكبسي ومحي الدين العنسي والحورش والبراق وغيرهم . وقد أشرت الى كل ذلك في القصيدة الملحمة وجاء بعدها أخي محمد بن يحيى حفظه الله وراجع الإمام بقصيدة استعطاف عصماء ، وكان تأثيرها عليه أن أمر بفكّ القيود عني وعن الأخ المعلمي وتفاءل الآخرون وقالوا اذا كان من هُدّدوا بالاعدام قد فكّوا عنهم القيود فإن حظنا سيكون الاطلاق . ولكن هذه القيود بعد فترة من الزمن قد أمر الامام بإعادتها الى أقدامنا ، وعلى أثر مجيء شاعر شعبي من

الحيمة يقال له شردة وإلقائه قصيدة تحريضية على قتلة الإمام فأمر بسوقنا الى سجن نافع بحجة فوضعوا الأغلال في أعناقنا ضماً الى القيود ، وسلّمونا الى عامل حجور حمود الخاشب وجنوده من حجور . وقد وصلوا بنا الى جانب سجن الشبكة وضمّوا الينا بعض من فيها من المساجين . وفيهم حمود الجائفي واحمد المروني ومحمد حسن غالب ومرشد المرولة ولطف السعيدي والثلاثة الأخيرون من العكفة الذين نشطوا في الثورة . وكنت أنا في غلّ مع الأخ المعلمي واحمد الجلال وياسين محمد عبد الإله ابن أخي القاضي عبدالله عبد الاله . وكان في الغلّ الآخر الأخوان محمد بن علي الأكوع وأخوه اسماعيل والمشايخ علي بن محسن وعبد الواحد بن حميد وعبد الحميد بن مقبل .

كان في ضم من ضُمّ الينا من سجن الشبكة زيادة في الزحام ، فظللنا واقفين طيلة الرحلة وكان الجنود يهزجون أهازيجهم ويقولون : « قبح الله وجهك يا وزير كبك الله بنيران الجحيم » ولم يكن على من جاءوا من الشبكة أغلال لعدم توفّرها هناك ، وقد ضاعفوا لهم بدلا من الغلّ القيود كنوع من التسوية في الظلم والمثل الشعبي يقول «من ظلمك وحدك ما بربح» . وبحكم توالي نبأ الإعدامات فقد كان الجميع في حالة نفسية سيئة ، مما دفع أحد الأخوان الى التفكير بالانتحار ، وكان قد حصل على موسى من أحد معارفه من الجنود في الحديدة ، وقد بلغني ممن سمعه يؤكد عزمه على الانتحار ، فقمت اليه مع رفاق الغلّ الواحد ولمته على انتوائه الانتحار ، فقال ما دمنا نسير الى الموت فلنتخلص إذن من هذا الإذلال والمهانة والعذاب التي نقاسيها من الجنود ومن السفر ، فقلت له إن الانتحار يعبر عن أقصى درجات الجبن ، فلماذا تنتحر فتخسر الدنيا والآخرة ؟ دعهم يقتلونا فنكون شهداء يمنحنا الله أجر الشهيد بدلا من أن تنتحر فتنال عقوبة المنتحر وما زلت به حتى أقنعته بصرف النظر عن الانتحار .

واصلنا السفر الى حجة على جهد كبير كنت أتمنى معه أن تهوي بنا الشاحنة من تلك الجبال الشاهقة لنستريح مما نحن فيه ، وفي حجة استقبلنا أهلها بالسباب والشتائم ، وكان سجن نافع الرهيب أرحم بنا من معاناة السفر

بالأغلال والقيود والتعرض لسخرية الجنود وسبابهم .. استقبلنا الحاشدي مدير السجن مع أحد الحراس « ناصر علي جرامة » وهو مشهور بالغلظة والقسوة والغباء ، وفكوا عنّا الأغلال وأضافوا الى قيودنا العادية « السك » وما أدراك ما « السك » فهو قطعة من الحديد الممتدّ بين القدمين مربوط بحلقتين بينما القيد بين الحلقتين سلسلة من الحلقات لا يتعذر معهما التحرك والتقاء الساقين . وليس كذلك السك ، ولذلك فقد حملونا الى زنازننا على « الأخدام » المعتقلين كان نصيبي مع الأخ المعلمي زنزانة مظلمة بجوار المرحاض المكشوف تفوح منها الروائح القبيحة . وقد تأثر الأخ الشاعر ابراهيم الحضراني حينما رأى ناصر علي يدق « السك » على قدمي وكانوا قبل وصولنا قد أخذوا يتفاءلون بقرب الخلاص فجاء وصولنا ليدل على أن الشوط بطيء ، فقال الأستاذ ابراهيم من قصيدة طويلة :

الآن آن لمقلتي أن تدمعا ولقلبي المحزون أن يتصدعا

ويشير الى السجان وهو يجرّ قدمي لوضعهما في القيد بقوله :

ويجر رجلاً لو يقاس نعالها بجبين سيده لكانت أرفعا

وفي الزنزانة استقبلنا وزير مالية الثورة الشهيد الخادم غالب رحمه الله ، وهو من كبار التجار الذين اسهموا باموالهم في مساعدة الأحرار في عدن ، وكان على صلة بالشهيد المطاع . وقد كان لاستقباله الحسن أثر طيّب في نفوسنا خفّف الكثير من متاعبنا ووزّع علينا بعض ما كان لديه من الفراش . وكنا ننام على التراب وأطعمنا وسقانا وأمدّنا بدفعة مما يتمتع به من صبر وجلد ، ولم نتمتع كثيراً بصحبته اذ جاء الأمر بنقله الى القاهرة وهي سجن أفضل كثيراً من سجن نافع ، فاستبشرنا بذلك اذ اعتبرناه رفقاً به وتخفيفاً عنه ولكن لم يمض يومان حتى صُعقنا بخبر إعدامه مع الأمير علي بن عبدالله الوزير رحمهما الله .

وقد قام بإعدامهما « علي عياش » أحد المجرمين المحكوم عليهم بالمؤبد ، وقد أعطوه عشرة ريالات عن كل واحد ، ولما لمناه وقلنا له كيف

اعدمتهما وهما من الذين قاموا بما قاموا به من أجلك ومن أجل أمثالك من البائسين ، فقال سامحوني يا أسيادي ، فقد أعطوني عشرين ريالا ، وأنا محتاج كما تعلمون وأنا مستعد لإعدام من يطلبون مني إعدامه اذا كان ذلك بمقابل .

واستمرت بنا الأيام في نافع بما فيه من مقاساة ومعاناة ، وكنا في المرحلة الأولى ننتظر موعد الذكرى الأولى لفشل الثورة وانتصار الإمام أحد أملا في أن تكون مناسبة للتخفيف عن المعتقلين وتحسين أحوالهم ، ولكنا فوجئنا بهم يجعلونها مناسبة للعودة الى الإعدامات أو جلد بعض الأحرار المعتقلين .

وفي رمضان ١٣٦٨ ، وبعد مرور سنة كاملة وأيام من انتقالنا الى نافع ، مرضت مرضاً شديداً اشفى بي على الموت ، مما دفع بمدير السجن والزملاء المعتقلين الى عرض حالتي على الإمام الذي أمر بنقلي الى سجن القاهرة مع آخرين ، منهم الأخ المعلمي والأخ الأكوع والقاضي عبدالله عبد الإله والأستاذ علي العنسي . وهو كما تقدم أفضل كثيرا من سجن نافع الرهيب ، وقد تداول حملي اليه جنديان من الحرس لعدم قدرتي على المشي . وقد منحناهما مكافأة . ومرت بنا الأيام بل الأعوام في سجن حجة تقلّبنا فيها بين الانفراجات والأزمات ، وجاء الانفراج الثاني عندما شكوت الى الإمام مع بعض الإخوان معاناتنا من الروماتيزم نتيجة لطول المكث وعدم الحركة، فأمر بالسماح لنا بالقيام بجولة يومية « دورة » مع الحرس على أن نعود إلى محبسنا قبل الظهر . . . إلا أن هذا الانفراج لم يطل إذ فوجئنا ذات صباح بالحرس يمنعوننا من الخروج بناء على أمر إمامي وصل الى نائبه في حجة يقول فيه جميع المعتقلين في القاهرة والمنصورة الذين أذنا لهم بالدورة يكون منع الجميع فالأيام أيام برد اعرفوا هذا (١٣٧١/٥/٢٩) هذا التشديد تمّ بعد مضي أربعة أعوام وأيام على اعتقالنا . حزنا في سبب هذا المنع المفاجيء والذي لا بد له من سبب قوي ، ورجحنا أن يكون بوشاية أحد المنافقين في حجة كان يُنسب اليه أنه يرفع للامام ما كبر وصغر من أحداث حجة . وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما عرفنا أن الوشاية من أحد المعتقلين أو على الأصح من رفيقين اثنين ارسل احدهما وشاية منظومة والأخرى وشاية منثورة ، وفيها تحريض للامام علينا واتهام بأنّا ندعو الى التفرقة ونكفر

بالإمامة ونريدها جمهورية الى غير ذلك . . . ونظراً لخطورة التهمة فقد كتبت رسالة للإمام أكذب فيها الافتراء وأشرح خطورة فتح المجال للصراع العنصري الذي نرفضه فيفرض علينا وينسب الينا كذباً وزوراً . أرسلت الرسالة بواسطة السيد أحمد زبارة رئيس الهيئة العلمية وكان من المعروف عنه البعد عن العصبية العنصرية .

ومع أن الإمام كان لا يردّ على رسائلنا مع كثرتها على مدى الأعوام السبعة إلا أنه جاء ردّه برقيا بما نصه «وصلت رسائلكم المطولة ولا نعلم شيئاً مما أفدتم ولا ندري من شوّش عليكم ونحن لا نرضى بشيء مما ذكرتم» أبلغنا ذلك ومكّننا من الدفاع عن أنفسنا الشاب النبيل أحمد بن النائب رحمه الله بواسطة الأخ الأستاذ نعمان .

والذي أفزعنا من هذه الوشاية هو أن الإمام أحمد كان قد خطب بمناسبة عيد النصر وقال في خطبته « إن هناك من ينتظرون حمار عزير وهيهات وما نرى الا أن رؤوساً قد اينعت وحان قطافها » وأنشد :

مـاذا يـريـدونهـا لا درّ درّهمُ إن الخـلافة لا يُـطوى لهـا علم

وفي البداية احترنا فيمن يعني ، فلما جاء نافياً الوشاية عرفنا أنه يعنينا ، وكنّا في دفاعنا ننفي ما رفعه الواشيان ، ونؤكد في الرسالة نفسها خطورة فتح هذا الباب الى العنصرية المقيتة الذي لن يكون فتحه في صالح أحد ، ولذا جاء الجواب من الإمام ينفي ذلك لاستشعاره خطورة إثارة مثل هذا الموضوع .

برغم القيود المفروضة علينا في السجن ، فإن ذلك لم يمنع اتصالنا بروافد الحركة الوطنية بعدن ، وقد كانت تمرّ بفترة ركود بعد نكسة ٤٨ ،وكان اتصالنا بصورة أساسية - عن طريق الأستاذ احمد نعمان - بالمرحوم الشيخ عبدالله بن علي الحكيمي صاحب جريدة « السلام » التي خلفت « صوت اليمن » في التعبير عن الحركة الوطنية . ثم كان لنا اتصال بالمرحوم عبدالله عبد الوهاب رحمه الله صاحب صحيفة « الفضول » وكنا نهرّب الى عدن بعض ما نكتبه . وعلى سبيل المثال فقد هرّبنا كتيباً حول القضاء في اليمن أصدره فيما بعد الأخ الأستاذ أحمد المعلمي بعد فراره الى عدن عام ١٩٥٥ م . بعنوان «الشريعة المتوكلية

في اليمن»

كان مناخ السجن بما فيه من انصراف إجباري عن هموم الحياة وشجونها فرصة طيبة لنموّ حركة الثقافة بالاطلاع المستمر على كل جديد وبالأعمال الثقافية التي لم ير بعضها النور حتى اليوم .

وفي السجن فكرت والأخ القاضي عبدالله عبد الإله رحمه الله في إخراج ديوان الآنسي ، وقد لفت نظرنا الى هذا الديوان أنه يمثل النموذج الجيد في الشعر « الحميني » الى ما فيه من مقاطع تجيد تصوير حالة السجناء التي منها القصيدة التي تقول :

يا حيّ يا قيوم يا عالم بما تخفي الصدور يا موجد المعدوم يا ذا الأنعام من يجور

وقد غيّرنا ترتيب الديوان لنجعل هذه القصيدة في مطلعه .

بعد مرور ثلاثة أعوام على فشل الثورة ، أدركنا أن الامام قد ثبت وضعه واستقرّ حكمه فقرّرنا أن العمل يجب أن يسير على خطّين متوازيين : أولهما التوعية والتثقيف للشعب ولأكبر عدد ممكن من مشايخ القبائل الذين كان لهم حينها ثقل حاسم في سير الأمور عند الأزمات . وقد نفذ هذا الخط في محبطنا الضيق وذلك بتثقيف « الرهائن » وبعض الجنود الذين كانوا موجودين في السجن ، وقد كان من بينهم الشهيد حميد بن حسين الأحمر والشيخ أحمد حسين جعمان ابن أخي الشيخ راجي أحد رؤساء الرسم . أما الخط الثاني فهو محاولة شقّ العصا بين أمراء البيت المالك ليأكل بعضهم بعضاً وذلك عن طريق إثارة وتحريك طموحاتهم الى ولاية العهد بدفع الأمير البدر بالسعي الى ولاية العهد التي سيعارضه فيها الأمراء وعلى رأسهم السيف الحسن . وقد عهد الى السيد أحمد الشامي والأستاذ ابراهيم الحضراني بالقيام بذلك لما لهما من صلة سابقة بالأمير البدر ، وقد قاما بالمهمة خير قيام ، وضمنا له بيعة من في السجن اذا عمل على تخليصهم مما هم فيه وتعهّد لهم بالاصلاح والخروج باليمن من عزلتها .

أتت الخطة بثمارها واستدعي الشامي والحضراني الى البدر فعملا

جهدهما في تعميق طموحه الى ولاية العهد ودفعاه الى بذل جهده من أجل التخفيف على السجناء .

وبفضل هذه الجهود اقتنع الإمام بشيء من التردّد بالعمل على مبايعة البدر بولاية العهد ، وكان الباعث الأساسي لتردّده كون المذهب الزيدي لا يُقرّ ولاية العهد . اختاروني لوضع صيغة ولاية العهد وتمّ إطلاقي بعد مرحلة انتقالية قضيتها في مستشفى « حجة » وقد أمر الإمام نائبه بإرسالي الى الأمير البدر الى الحديدة .

وسافرنا الى الحديدة ، وفي منطقة الضحى ، استقبلني الاستاذ ابراهيم الحضراني بسيارة ، وبينما كنا نائمين على « قعايد الحبال » (الأسرّة) في أحد المقاهي أيقظني وقال استيقظ فلن تنام إلا في دار الضيافة ، فقمت . وفي الطريق طرح عليّ خبر أن النية تتجه الى تكليفي بوضع صيغة البيعة ، وقلت له ولكني خارج لتوّي من السجن ولم أر أولادي وقريتي ، وقد يكون في هذا العمل ما يعيدني إليه ، ولا ادري ما هو رأي الإمام وهل سيمنع عنا أذى إخوته وعلى رأسهم الحسن ، فذكرني الأستاذ ابراهيم بما سبق الاتفاق عليه قائلا : ولا أريد أن أقول لك ما قاله ابن أبي ربيعة : « لا تلمني وأنت زيّنتها لي » . . . الخ . فقلت له لن اكون ذلك الذي ترمز اليه ، ولكن الواجب أن لا نرتجل حتى نرى مواقع أقدامنا . فقال : الرجل مستعجل ، وسيضمن لنا موافقة أبيه .

وفي اليوم التالي جاءني السيد أحمد الشامي ودار بيننا حديث مماثل لما تحدثت به مع الأستاذ ابراهيم ، وجاء دور البدر والتقينا به ثلاثتنا ، وأكد لنا موافقة الإمام وأنه لا يمكن أن يقوم هو بمثل هذا العمل بدون موافقته ولكنه يتظاهر بالحياد حتى لا تؤخذ عليه مخالفته للمذهب الزيدي ، وتعهد لنا أن يكون الى جانبنا يحول بيننا وبين أذى عمّه الحسن ومن معه من الأمراء . وأقسم لنا على ذلك . وأسررتُ الى السيد أحمد الشامي قائلاً هذا لنا فما للشعب فدفع البدر الي أن يبادرني وقبل أن أطلب منه بالعهد على المصحف بأن يكون مع دعاة الإصلاح بكل ما يريدونه بإصلاح البلاد وتطويرها ، وأن يتجاوز في موافقته ما وافق عليه إمام الدستور الإمام عبدالله الوزير ، وأن يستعين بحكومة عبد الناصر

وخبراتها ويخرج باليمن من عزلتها وبعد هذه التعهدات عدت الى دار الضيافة ووضعت صيغة البيعة .

عُدت للبدر بصيغة البيعة فكلفت بأخذها من علماء زبيد وتعز وإب ، ولم أجد صعوبة في أخذها من علماء زبيد ، ولكنهم في تعز تردّدوا لعدم معرفتهم برأي الإمام ، وذهبت الى العلامة الوشلي ، وكان أبرزهم بحكم منصبه كنائب للإمام ورئيس للديوان الملكي ، وقلت له هل تعتقد أني وأنا الخارج من السجن لتوّي يمكن أن أقوم بعمل كهذا دون موافقة الإمام ؟ فقال : صحيح . وأخذ البيعة ووقّع عليها ـ وكان بلا شك قد اتصل بالإمام وأعطاه الضوء الأخضر وتسابق الآخرون بعد الوشلي الى التوقيع .

وقبل سفري الى إب لأخذ موافقة علمائها ، جاءت رسالة من الحسن إلى الإمام يقول فيها « إن الذين قتلوا الإمام الشهيد ، الامام يحيى وتآمروا عليه قد أطلقتموهم ليعملوا على تمزيق الأسرة وإثارة الفتنة . نطالبكم نحن وجميع أفراد الأسرة من رجال ونساء بإيقافهم عند حدّهم وإعادة الإرياني والشامي الى السجن » وكنتيجة لهذه الرسالة تلقيت من الإمام ليلة سفري أمراً يقول : أوقفوا كل عمل في موضوع ولاية العهد وألزموا الولد احمد الشامي بذلك ، فالأمر خطير وأرسلوا الينا الصيغة التي تمّ التوقيع عليها .

وبهذا الأمر طويت صفحة ولاية العهد ، وان كانت قد أعطت ثمارها بأكثر مما تصوّرنا ، وذلك في حركة ١٩٥٥ . وعند مروري من إب التقيت بنائب الإمام فيها القاضي أحمد السياغي فقال لي : « كنت أتمنى ألّا تدخل في هذه المشكلة لا سيما وأنت في طريقك من السجن الى حياة الحرية » ولما أكدت له أني مكلف قال ولكن الإمام يقول لإخوته إن الإرياني والشامي هما اللذان قاما بالأمر واقترحاه وزيّناه للولد البدر .

وجاءت ثورة أو حركة أو انقلاب ١٩٥٥ . وقبل أن أشرح بإيجاز أحداثها

أودّ أن أؤكد أن الشهيد الثلايا رحمه الله اتصل بي مُبدياً التبرّم والاستياء العامّ الذي يسود الجيش من جراء تردّي الأوضاع وعدم قيام الإمام بتنفيذ وعوده المتكررة بالإصلاح ، مصرحاً بأن الصبر قد نفد وأن السكوت غير جائز . وطرح علي موضوع الاستعانة بسيف الإسلام عبدالله الذي استدعاه أخوه لتولي وزارة الخارجية فقلت له إن عملاً كهذا سيصدق عليه المثل الشعبي « اقلع بصلي واغرس ثومي » وسنخرج بالشعب بعملية كهذه العملية « من حوجمة الى كلبلابة » كما يقول المثل الشعبي أيضاً . فأكد لي مقسماً بأنه لا يمكن أبداً الاقتناع أو الاقناع بالسيف عبدالله كإمام جديد ، وانما المراد العمل المرحلي بالاستعانة به للخلاص من الإمام أحمد، الشخصية الرهيبة، ثم من السهل الخلاص منه . فقلت له إن عبدالله لا يقلّ مكراً واستبداداً عن أخيه ، إضافة إلى ما له من ارتباطات خارجية ، وأن نواياه ليست إلا أحد إفرازات ولاية العهد ، وليست وليدة غيرة حقيقية وإخلاص للوطن .

ولحظت على الشهيد الثلايا الاستياء اذ قال : اذن فمع من نتعاون اذا كنتم أنتم تضعون أمامنا المخاوف مع أن الحالة قد أصبحت لا تطاق وأصبحت جديرة بالتضحية ؟ فقلت أعطني مهلة أفكر فيها .

وبعدها زارني مجموعة ممن شاركوا في الحركة وأصبحوا في أعداد الشهداء ، من بينهم الشهيد علي المطري الذي كان على علاقة حسنة مع السيف عبدالله ، وعبد الرحمن باكر، ومحسن الصعر، وقد فهمت أنهم مرسلون من السيف عبدالله لإقناعي ، ولعلّهم طلبوا اليه أن يدعوني اليه لمحاولة إقناعي ، وقد دعاني ولكنه لازم جانب الحذر ، واكتفى بالشكوى من تردّي الأوضاع وضرورة الخروج باليمن من عزلتها وإيجاد حكومة عصرية حديثة ، وأن هذا منوط بالتعاون . وقد قابلت حذره بمثله مكتفياً باقتراح توجيه النصح للإمام بإنابته للقيام بالأعمال ، فأشار إلى عناد الإمام وعدم إصغائه للناصحين ، وافترقنا على غير اتفاق أو مصارحة ، وكان عبدالله قد استمال اليه الأمراء العباس واسماعيل والحسن بن علي والحسن بن الحسن .

كان الشهيد الثلايا يتردّد على صنعاء بين الحين والحين للاتصال بالضباط

هناك ، وكان يتصل بي لاطلاعي على ما جدّ من الأمر ، وكنت أبدي له مخاوفي إذ كنت أرى أن الأمر يحتاج لاحتياطات كثيرة ، وأكدت له أن الحركة إن فشلت فستكون عشاء أحمد ، وان نجحت فستكون أوليات أعمال عبدالله هي التخلص منا . ولا بد قبل التنفيذ من اتخاذ الاجراءات التي تجعل نسبة النجاح سبعين في المائة على الأقل . وقد علّق على كلامي بقوله : اما إذا نجحت الحركة فاننا « سنتغدى بعبدالله قبل أن يتعشى بنا » وهذا يؤكد ما كان يقوله من أنه ينوي الاستعانة بعبدالله مرحلياً، اسجله للتاريخ وأداءً لأمانته.

وجاءت حادثة « الحوبان » لتضع الجميع أمام الأمر الواقع ، وأجبر تمرّد الجنود الشهيد الثلايا ورفاقه على تنفيذ خطتهم مستفيدين من تمرّد الجنود ونقمتهم على الإمام .

وفي صباح اليوم التالي جاء الى منزلي بصالة أحد الجنود ليشرح لي أن الجيش قد ضرب حصاراً على القصر في العرضي ، واحتل المراكز الحكومية ومخازن الذخيرة والسلاح واللاسلكي والمطار ، وأن الثلايا بعث أمراً الى قائد مرتب صالة « الرائد احمد معصار » ليقول له : « إلى إخواننا مفرزة صالة حرسهم الله . لقد كان من إخوانكم الجيش ضرب الحصار على القصر الملكي في العرضي واحتلال المباني الحكومية والمراكز المهمة حتى يكون تنفيذ مطالب الجيش فنأمركم باسم الجيش بالاحتفاظ بما لديكم والانتباه على مراكزكم والمحافظة على القصر ومنع الدخول والخروج أو إخراج أي شيء منه ٨ شعبان ١٣٧٤ هـ » . وقال الجندي إن قائد المفرزة أرسله ليعرض عليّ الأمر ويأخذ رأيي فيما يصنع فقلت له انتم أعرف بالقوانين العسكرية وعليكم تنفيذ أمر قائدكم وهو المسئول .

وبعد ساعة جاءت سيارة عسكرية عليها جنود تستدعيني الى العرضي ، فوصلته وإذا قد سبقني إليه نائب الامام الوشلي وجميع موظفي الديوان الملكي والهيئة الشرعية والضباط وبعض الأمراء ، وانضم اليهم السيف عبدالله فيما بعد . وقد شرح القائد الثلايا للحاضرين أنه فوجىء بوصول الجيش اليه يطلبون منه قيادتهم في حركة ترغم الامام احمد على التنازل لأخيه عبدالله،

لأنه ـ أي الإمام ـ قد عجز عن القيام بأمانة المسئولية التي في عنقه وقال: «أنه لو لم يستجب لكان أول قتلاهم وأنهم سيقتلون كل من خالف أو قاوم» . وقد رؤي أن يُرسل وفدٌ من المجتمعين الى الإمام يطلب منه التنازل لأخيه ، وذهب العلاّمة الذاري ومحمد الحمدي واللواء محمد الحوثي وأحمد زبارة والحسن بن علي وقد طلب منه هؤلاء أن يتنازل لأخيه لإخماد الفتنة وحقن الدماء ، فأخذ ورقة وكتب عليها : «حيث طلب الجيش يتعز بتأثير العوامل الأجنبية والأصابع الاستعمارية أن نتنازل للأخ سيف الإسلام عبدالله عن الأعمال ، فقد تنازلنا له عنها، وشرطنا عليه العمل بشريعة الله والعرض علينا فيها دقّ وجلّ» ولما سمع من كان موجوداً من الجيش لَفْظ التنازل أطلقوا الرصاص ابتهاجاً ، وتلا ذلك أن مدّ السيف عبدالله يده للبيعة فبايعه الحاضرون ولم يجدوا مخلصاً لهم مما هم فيه إلا بذلك ، وكان الضباط قد لاحظوا تردّد البعض فقال الحاج مرشد ، وكان أكثرهم صرامة وعنفاً «عبدالله إمام وإلا قحطنا رؤوسكم والله ما يخرج منكم واحد» وبعدها بعث *البعوث الى الحديدة وصنعاء وسائر الألوية لأخذ البيعة ، وكان نصيب الأستاذ أحمد محمد نعمان ومعه آخرون الذهاب الى الحديدة لأخذ البيعة من البدر ، فكان ما هو معروف من ذهابه مع البدر إلى حجة .

وفي اليوم التالي تسلم عبدالله برقية مستعجلة من البدر يقول فيها : «من محمد ابن أمير المؤمنين الى سيف الاسلام عبدالله . لقد ساءنا وعموم الناس ما بلغ من البغي على أمير المؤمنين والعدوان الذي أسفرت عنه المؤامرة التي دبرتموها ضد صاحب الجلالة أمير المؤمنين ، فنحذركم العدوان على جلالته وننذركم بسوء عاقبة هذا البغي الصارخ ، وليعلم البغاة والمتآمرون أنهم سيلقون جزاءهم في القريب العاجل ١١ شعبان ١٣٧٤» .

وبينما واجه المقدم الثلايا البرقية بعدم اكتراث ، كان عبدالله في غاية الانزعاج ، ولما قلت له إن هذا هو المنتظر قال : بل نحن أسأنا بإرسال الاستاذ نعمان ، فقلت له سواء أرسلتم الأستاذ أم غيره ، فإنه لن يغير من مجرى الأمور شيئاً . وزاد في اضطراب الإمام الجديد وصول جواب الملك سعود على برقيته التي أعلمه فيها بتوليه العرش بناء على تنازل الإمام استجابة لطلب الجيش ، فجاء جواب الملك سعود يقول : «إنه قد تلقى الحقائق من البدر ويحذره من

أن يمس الإمام احمد بأذى» ويقول له أيضاً : «أنت تعلم ما بيننا وبين الأخ الإمام احمد من عهود ، ولا يمكن أن نتخلى عما قطعناه ، لأن الشهامة العربية والأوامر الدينية تأبى ذلك» .

وفي ثالث أيام الانقلاب حاولت التأخر في منزلي في صالة ، فجاءت لي سيارة عليها جنديان بأمر من الشهيد الثلايا هذا نصه : «القاضي المحترم عبد الرحمن الإرياني حفظه الله ، صدرت السيارة ، عجّلوا الوصول ، فلا ينبغي تأخركم ومفارقة العرضي فمولانا ـ يقصد عبدالله ـ يشكو تأخركم وانقباضكم وغيركم عن الأعمال وليس في ذلك إلا الخطر على الجميع وهذا إشعار والسلام ٢٠/مارس (آذار) «١٣٧١» ـ التاريخ الذي كان معتمداً في الدوائر الحكومية التركية .

وفي هذا اليوم حاول اثنان من أنصار الإمام هما الغماري وابن أخيه، قتل المقدم الثلايا فاغتيلا وقتلا ، وكانا قد قتلا جنديين من الجيش الموالي للقائد . وأوعز الإمام الجديد الى الثلايا بتوقيف الشيخ حميد الأحمر الذي كان يتوجس منه خيفة ، لأنه يميل الى البدر ، وقد عملت على تسوية الموقف وأشعرت عبدالله بخطورة وقوع صدام بين الجيش النظامي والبراني .

زاد الموقف تدهوراً حينما بدأ البدر وأنصاره باحتجاز الوفود الذين بعثهم عبدالله لأخذ البيعة ووقوع بعض التمردات ، كتمرد عامل صبر ومن لديه من الجنود ، كما وصلت برقية أخرى من الملك سعود فيها تهديد ووعيد . وبدأ «صوت العرب» يهاجم الحركة وقد دفع الشهيد الزبيري رحمه الله الى ذلك بحجة أن الحركة وراءها امريكا التي كان لعبدالله صلة بها. وقد بلغني أن السيف عبدالله قد أعدّ قائمة لمن ينوي اعتقالهم وأن اسمي جاء فيها بحجة ما سبق من العمل لولاية العهد . وقد انزعجت لذلك ، وطرحت الأمر على الشهيد الثلايا فقال إن الفكرة قد عرضت فعلا ، ولكنه أقنع الإمام الجديد بالعدول عنها ، وأنه لن يسمح باتخاذ أي إجراء ضدّي . وبرغم وعود المقدم إلا أني خشيت أن يُغلب على أمره ، وبدأت أفكر في الفرار الذي كان قد سبقني اليه الأخ الاستاذ

المعلمي . واتفقت مع السائق حميشان على أن يفرّ بي على سيارته ، ولكنه كشف بالسفر الى صنعاء ، وكانت الأحداث تتوالى ، وكان عامل تعز السيد يحيى بن محمد باشا قد أوقف في العرضي بحجة أن والده نائب الإمام في الحديدة سافر مع البدر الى حجة ، ففكرت بأن أستغلّ إمكانياته ولكن كيف بنا وهو في السجن ؟ فدخلت الى الإمام عبدالله وقلت له إنه طلب إليّ أن أستأذن له منكم ليزور عائلته ويطمئنهم على أنه لا خطر عليه ، فقال ولكن . . . وقبل أن يكمل كلامه قلت أنا التزم لكم بإعادته الى العرضي ، فأذن بشرط ذهابي معه وعودتي به ، وذهبنا الى منزل العامل ، وفي جلسة قصيرة شرحت له ضرورة فرارنا للنجاة بأنفسنا ، وأن في الامكان أن نذهب الى إحدى القرى في التعزية التي لهم فيها أملاك وأجراء ونختفي هنالك ، فوافق على ذلك ، وطلب أن أنتظر له حتى يرى أهله ويطمئنهم . وقبل أن يعود إليّ كان خمسة من الجنود على سيارة عسكرية قد جاءوا لإعادتنا الى العرضي . ولعل السيف عبدالله قد ندم على السماح لنا بالذهاب فأسرع في تدارك الأمر .

بدأ تدهور الموقف، وشعر الإمام الجديد أن التنازل الذي حرّره أحمد إنما ينص على التنازل عن الأعمال لا عن الإمامة ، ومع اشتراط العرض عليه فيما دقّ وجل . وكانت الأخبار قد جاءت تقول إن البدر قد بدأ يتحرك ويرسل الجنود من القبائل ومن حجة لفكّ الحصار عن الإمام ، فطلب الينا أن ندخل معه الى الإمام لنطلب اليه التنازل الصريح ، وأن يأمر ابنه البدر بالتوقّف عن الحركة . فذهبنا معه الى الإمام فوجدناه قاعداً وحوله غابة من الأسلحة . وطرح عليه الموضوع وطلب تحرير رسالة الى البدر تمنعه من التحرك ، والى الجيش بتأكيد التنازل وإلزامهم بالطاعة . وبعد أخذ وردّ طال ، وبعد أن أقسم الإمام الجديد أنه لا غرض له غير إطفاء الفتنة وحقن الدماء ، فاذا لم يتم ذلك فإني سوف أنسحب وأترك الجيش يصنع ما بدا له . فقال الإمام أحمد : لقد فعلت كل ما يمكن فعله وليس بعده الآن إلا الموت الأحمر . ثم التفت اليّ يقول: هل على ذهنكم صدر بيت المتنبي القائل : « أنا الغريق فما خوفي من البلل » فقلت نعم إنه يقول : « الموت أهون لي مما أكابده » فقال الإمام الجديد : ليس الآن وقت

الأدب والشعر . وعقب الذاري رحمه الله : نعم لقد حال الجريض دون القريض .

وبعد أن أقسم الإمام الجديد على أن لا طمع له في العرش وإنما يريد الحفاظ على حياة الإمام وحقن الدماء وإطفاء الفتنة أخذ الامام القلم وحرّر الى الجيش ما يلي :

« إلى المحبين الكرام سلّمهم الله. لقد كان ما سبق في علم الله سبحانه، والآن لعل الله قد وفق الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح، وإنا حملنا الأخ سيف الاسلام عبدالله الحجّة ، وكان التنازل على أن يقوم بالأمور ويجريها على شريعة الله سبحانه ولم يبق ما يوجب الأخذ والرد . وقد كان هذا بحضور جماعة من العلماء، فليقم كل واحد محلّه والأخ سيف الاسلام يخرج الى محله للقيام بأعمال الناس وعليكم جميعاً اعتماد أوامره ومن خالف هذا ، فعليه حجة الله والله المعين والسلام عليكم ٩ شعبان ١٣٧٤ » . وكتب الى ابنه البدر ما يلي :

« الولد البدر حرسه الله وأعانه والسلام عليكم ، ما بلغ عزمك عمران إلا من أخبار الناس ، فالتلغراف مقطوع والشفرة وصلت وفيها أغلاط خطية ، فلم أتمكن من حلّها . وقد حصل الظن أنها التي لم نكن نعمل بها، أو هي القديمة ولا والله أعلم أين هي الآن ؟ والمراد أن هذا بواسطة الأخ سيف الإسلام الفخري حرسه الله ، فقد كان التنازل لقيامه بالأعمال على كتاب الله والشريعة المطهرة ، فعند وصول هذا أنا أحجرك بحجر الله سبحانه والزمك بالتوقّف الآن بعمران أو حيث يصلك هذا وسلّم للمشايخ والعقال مصروفاً كل واحد بقدره ، والزمهم بالعودة محلاتهم وفي عزمي الوصول الى عمران ، فالزم بانفاذ المطار والأخ الفخري حرسه الله قد ألزمته بإرسال نظام الى صنعاء وجمع الموانر الموجودة ليكونوا عليها الى صنعاء . فالخشية هناك كم ضعفاء ومساكين ونساء وأطفال فلا تترك مجهوداً في التوقّف وصدرت كتب للمصلي وغيره عجلها اليهم والانتظار للإفادة والله المعين ، اجتهد في تسكين الناس ومنع الفتنة ولو الله تضحي بنفسك فابذل الجهد في هذا ، فإني والله أحب أن ألقاك عند الله وأنت شهيد

ولا وأنت قـائـد فتنـة وأنت بمحلّ من الكمـال ، والله المعين . ٩ شعبان ١٣٧٤ » .

وبعد انصياع الإمام لمطالب أخيه بعد أن أقسم أنه لا يطلب غير المحافظة على حياة الإمام وأنه سيرفض تنازل الإمام بعد انطفاء الفتنة ، عاد فقال إنه لا يمكن أن يتنازل الآن حتى يستتبّ الأمن ، وعلى شرط أن يبقى هـذا الاتفاق مكتوماً . وقد رمقه الإمام بنظرة معبرة ولم يعقّب ولا تراجع عما حـرّره ، وعاد عبدالله وعدنا معه الى العرضي وقد أمر بتصوير محرّري أخيه وتوزيعها وإرسالها الى سائر الألوية ، مع الأمر الى كل المسئولين فيها لأخذ البيعة له ، وأعلن نفسه إماماً وتلقّب بالمتوكل على الله وقد حدث خلاف بين الجيش البرّاني وعلى رأسه الشهيد حميد بن حسين الأحمر والنظامي بقيادة الشهيد الثلايا بعد مقتل الغماري وابن أخيه . وقد تمكنت من تسوية الخلاف مستعيناً بثقة الطرفين .

وفي يوم الاثنين ١١ شعبان كان أول ما فعله الإمام أحمد هو نقل من لديه في العـرضي من نساء وأطفـال الى « صالـة » . فقد استمـال الضـابط محمـد إسماعيل الأكوع الذي عهد اليه الجيش بمحاصرة الإمام فخانه وتحوّل مع الإمام وسهّل خروج العـائلة من الحصـار ، ونقلهم الى « صالـة » وكان معـه عبدالله العبد وكامل اسماعيل . وقد ترقّب الجيش عودتهم من صالة وقبضوا على ثلاثتهم وأعدموهم . وأعلن الإمام الانقلاب على الانقلاب وكتب الى أخيه :

أرى خلل الـرمـاد ومبض نـار — وأخشى أن يكـون لـه ضـرام
فيلزمكم بمـا قـد كـان منكم — تـدارك مـا هنـالـك والسـلام
وإلّا فـاعلمـوا علمـا يقينـاً — بـأن جـزاءكـم مـوت زؤام

والبيت الأول لنصر بن سيار والي آخر ملوك بني أمية ينذر به الخليفة الأموي بيده تحرك بني العباس . وقد بدأ تبادل إطلاق النار وأمر القائد الثلايا الشيخ يحيى المحجاني ومن معه من الجنود البرانيين والنظام في القاهرة بإطلاق المدافع على القصر وتدميره على رؤوس من فيه . وقد قصفت المدفعية القاهرية ولكن على مقر القيادة العسكرية ومقر الإمام الجديد في العرضي ،

وضُرب الحصار عليه وعلى من لديه من العلماء وفيهم نائبه الوشلي وعقبات والكبسي وغيرهم . وكنت أنا في منزلي في صالة وقد حاولت الفرار ، ولكني وجدت أن الجنود في صالة قد تحوّلوا ، ورأيت جماعة منهم حول البيت . ولما اشتد القصف بدأ الجنود يفرّون ، وقد أخبرني بعد ذلك الإخوان الذين كانوا محتجزين في العرضي أن القائد الثلايا دخل عليهم وقال لهم إن ما وقعنا فيه من فشل هو بسببكم أنتم ، فقد عارضتم قتل الإمام أو قصف القصر . وخرج متوعداً ومال الوشـلي الى الكبسي مشيراً الى عنقه وقال إنها قصة أبي لبابة مع بني قريضة ، وقـال هؤلاء الإخوة إنه حينما اشتدّ القصف على مقر عبدالله طرح عليهم فكرة التعاون مع بريطانيا بطلب طائرات لقصف القصر والقاهرة وضرب القبـائل المتجمعـة في عمران . ولمـا قيل لـه إن الشعب لن يقبل الاستعانة بالأجنبي قال إنـه يمكن الإعلان بـأنه كـان استئجار هـذه الطائرات . ورفض الاقتراح لأنه ليس هناك من يصدق أن ثمة طائرات حربية للإيجار .

أردت بسرد هذه الواقعة التي سمعتها من الإخوان الذين كانوا مع السيف عبدالله محاصرين في العرضي أن أدلّل على صحة رأي الحكومة المصرية التي اتهمت الحـركة التي على رأسها السيف عبدالله بالارتباط بأمريكا وبريطانيا واقناعهم الشهيد الزبيري رحمه الله بمهاجمة الحركة من « صوت العرب » وأن يتهم عبدالله بالتهمة نفسها . وكان كثيرون ينكرون عليه ذلك ناظرين الى أن الحركة هي حـركة الجيش وقـائده الثلايا ، وانما وضعوا عبدالله على رأسها لاعتبارات مؤقتة . وقد جاءت محاولة عبدالله الاستعانة ببريطانيا لتؤكد صحة التهمة وتعذر الشهيد الزبيري ، وصحيح أن الجيش والثلايا كانوا ينظرون الى عبدالله كضرورة مؤقتة وهذا ما تأكدت منه بالنسبة الى الشهيد الثلايا رحمه الله ومع ذلك فقد كان عبدالله ينظر الى الجيش النظرة نفسها .

فشل الانقلاب تماماً ، وفرّ الشهيد الثلايا والحاج مرشد ، ونجح الحاج مرشد في فراره الى عـدن وقبض على الشهيد في محل « اللوزم » بصبر ، واعتقل الإمـام كـل من كـان في العرضي بمـا فيهم أخوه عبدالله في وزارة الخارجية ، وحينما جاء اليهم قبل إرسال أخيه الى حجة وجّه اليه الخطاب قائلاً

« انصر يا كبش جهران كيف يفعل الرجال » .

هذا ما كان من أمر الأحوان . أما أنا فقد أرسل ثلة من الجيش لاعتقالي وعلى رأسهم الحسن بن الحسن الذي كان قبل دقائق في صف عمه عبدالله . وقد وُضعت في أحد أماكن الدار الشرقي في صالة مقيداً ، وذلك في منتصف ليلة الأربعاء ١٤ شعبان . وقد انضم اليّ بعد قليل عبد الملك الطيب وعلي الضبة ومحمد شعلان ، وكان قد قبض عليهم في الراهدة ، وقد جاءوا من عدن موفدين ممن فيها ليدفعوا قيادة الثورة الى التخلّص من أحمد . وقد جاء بعدهم الأستاذ نعمان محمد نعمان رحمه الله ، وفي صبيحة الأربعاء فوجئنا بوصول الشهيد الثلايا . وقد صُدمت أنا صدمة عنيفة إذ رأيتهم وقد قيّدوا الثلايا بقيدين ، وجاء الأمير الحسن بن الحسن يسأل عن عمه عبدالله فقال له : وأنت لماذا لم تنزل أمس ، فقال لقد منعني الرصاص ، فقال كان يجب أن تأتي لتتذوق الرصاص بدلا من أن « توقزوا » من داخلكم وتضحوا بالآخرين . وقد انسحب الأمير دون ردّ . وبعد أن انضم الينا الشهيد يحيى السياغي رحمه الله جاء المقدم أحمد الآنسي ومعه ثلة من الجنود يستدعون المقدم الثلايا وقدرنا أنه سيساق الى الإعدام . وبعد دقائق جاء جنود آخرون وأخذوني مع الأخوين السياغي ونعمان والقادمين من عدن الى الميدان .

وكنت بعد أن فشلت في محاولات الفرار الثلاث قد يئست من النجاة ، وكمحاولة أخيرة للنجاة التقيت بالنقيب علي مانع ، أحد قادة العكفة - الحرس الملكي - وطلبت اليه أن يبلغ أحمد أني واكثر من عمل مع أخيه عبدالله قد عملنا مجبرين ، وأني قد حاولت الفرار مرات فلم أنجح .

وصلنا الميدان وقد تأكدنا أن الإعدام سيكون من نصيبنا ، وقد أوقفونا في الميدان صفاً وأشعرونا أن دورنا في الإعدام يأتي بعد إعدام القائد الثلايا . وكان الإمام أحمد يتجوّل بين صفوف الجنود ويعلن عفوه عنهم لأنه غرّر بهم القائد ، ويسرد نعمه على الثلايا من بناء البيت الى إعطاء الرتبة الى توفير المرتب وأخيراً

قال فهل ترونه يستحق الاعدام ؟ فارتفعت الأصوات تقول نعم[١] ، وكان الإمام في تجواله يقترب منا فخرجت من الصف وقلت له : تثبتوا ، فقد أبلغتكم بواسطة النقيب علي مانع بأن معظم العاملين مجبرون وأنا أحدهم ، وجدّكم الرسول ﷺ يقول : « لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يرق دماً حراماً » فقال والله يا أخي ما أبلغني مانع شيئاً .

وبينما كنا في الصف ننتظر الإعدام إذ سمعنا ضجة المرافع - الطبول - وإذا بالجيش الذي أرسله البدر وفي المقدمة القاضي محمد الأكوع والشيخ علي بن محسن والسيد عبد الواحد والشيخ عبد الحميد باشا يطلعون علينا . وكان الأستاذ نعمان بوصوله مع البدر الى حجة قد دفعه الى إطلاق من بقي في السجن وأرسل هؤلاء لفك الحصار عن الإمام . ولما رأيتهم التفتّ الى الشيخ نعمان محمد نعمان رحمه الله وقلت «مصائب قوم عند قوم فوائد» مشيراً الينا واليهم . وقد أسرع الامام بعد هذا بالإشارة للوشاح ففصل رأس المقدم رحمه الله عن جسده ونحن نرى وننتظر نفس المصير . ولكن الإمام غادر المكان بصورة سريعة، ربّما تحسباً لأنه قد يكون في الجنود من يكنّ وفاءً للقائد أو في الواصلين من حجة من يضحي بنفسه بالقيام بعملية ضده . وقد أعدنا الى «صالة» وبعث الشهيد يحيى السياغي ليجيئوا له «بالمداعة» و«الدجلة»[٢] فقلت له مازحاً خلوها للأولاد، فقال لماذا تقول هذا وقد أعادونا من الميدان ولو كان يريد إعدامنا لأعدمنا كما أعدم الثلايا، فقلت له لنا معه تجربة فقد وزع الإعدامات في حجة سنين ليستمرّ الإرهاب، وفي اليوم التالي جاءوا بالشهيد يحيى السياغي وأعدموه، وكانت «المداعة» من نصيب العسكر، وكانت «الدجلة» من نصيب الوشاح الذي تولى إعدامه .

وقد كان لهذه « الدجلة » قصة أرويها للعبرة : فقد أخذها الوشاح ولم تمض أشهر حتى قتل أحد الجنود وحكم عليه بالقصاص وأعدم وأخذ الدجلة العبد محمد سالم الذي تولى إعدامه . وجاءت الثورة السبتمبرية فأعدم العبد

(١) في هذا ما يعطي من ليس له معرفة مقدار ما كان يتمتع به الشعب من الوعي .
(٢) هذا الاسم هندي الأصل ويسميها البعض « سترة » أو « البالطو » .

وعليه الدجلة ، فأخذها الهدام الذي تولّى إعدامه ، وما هي إلا أشهر حتى قتل الهدام وأخذت الدجلة وانقطع خبرها .

وقد أعدم مع الشهيد السياغي الشهيدان محسن الصعر ومحمد ناصر الجحدري . وفي يوم الجمعة ١٤ شعبان أعدم الضابط علي حمود السمة وفي ١٧ شعبان أعدم الشيخ علي المطري والشيخ عبدالرحمن الغولي ، وقبلهما أعدم عبدالرحمن باكر ، وفي الأحد ١٨ شعبان أعدم السيد محمد حسين عبد القادر والضابط حسين الجنائي ، وفي ١٩ منه أعدم الشهيدان حمود السياغي والضابط أحمد الدفعي ، مع العلم أن السياغي كان في إب ولم يشترك في شيء مما حدث لا بقول ولا بفعل .

وفي يوم الأربعاء ٢١ شعبان أعدم السيفان عبدالله والعباس في حجّة . وفي صنعاء أعدم القاضي عبدالله الشامي ، وفي ٢٦ شعبان أعدم الضابط قايد معصار ، وكان السادس عشر في عدد الذين أعدموا بدون تحقيق معه أو محاكمته . وبإعدامه انتهت الإعدامات .

وجاء وفد مصري برئاسة حسين الشافعي وزير الشئون الاجتماعية في مصر وأحد ضباط الثورة ، ووفد سعودي برئاسة الأمير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف لتهنئة الإمام بالنصر . وقد استاء اليمنيون على اختلاف آرائهم بحركة الثلايا لمجيء وفد مصري رفيع المستوى ليهنىء الإمام بإعدام ستة عشر يمنياً تورّعوا عن قتله ولو فعلوا لتغيّر مجرى الأحداث . وقد رأوا في ذلك خروجاً على مبادىء ثورة ٢٣ يوليو التي تلتزم الوقوف بجانب الحركات التحررية . وقد أبلغنا الوزير الشافعي خبر هذا الاستياء واستنكار الكثيرين لهذه الزيارة ، فاعتذر بأن لديهم معلومات مؤكدة بأن عبدالله كان مرتبطاً بامريكا وبريطانيا ، وأنها وراء حركته ، ومصر كما قال هي ضد الاستعمار وحرب عليه ، ومن أجل ذلك كان موقفنا مشايعاً للإمام أحمد لما قيل له إن الجيش لم يتخذ عبدالله إلا وسيلة للتخلص به من أخيه الرهيب ، وكان عازماً على التخلص منه في مرحلة آتية قريباً . فقال كان عليهم ان يتّصلوا بنا ويطلعونا على مخططهم وكنّا سنساعدهم .

لم يطل المكث بي هذه المرة في السجن أكثر من ثلاثة عشر يوماً . وقد كان للعلامة الذاري رحمه الله وللاستاذ صالح محسن دور كبير في صرف نظر الإمام عن الإعدام . وكان لمجيء البدر والأستاذ نعمان والسيد أحمد الشامي دورهم في الاقناع بالإطلاق ، وكان السيد يحيى الباشا قد شرح لهم محاولتنا معاً الفرار ، مما أكّد للامام أن العمل كان مفروضاً .

هذه هي حركة خمس وخمسين شرحتُ الهامّ فيها بغاية الإيجاز . وقد كانت أبرز نتائجها على الصعيد الرسمي حسم مسألة ولاية العهد بإعلان الإمام احمد ولاية العهد لابنه البدر وإعدام الأميرين عبدالله والعباس ونفي الحسن الى امريكا وسجن مجموعة من الأمراء الصغار .

كما أنه ـ أي الإمام ـ قد أفسح المجال أمام البدر للتحرّك الخارجي . ونظراً لما كان معروفاً من ارتباطات الحسن وكتلته بامريكا ، فقد توجّه البدر نحو الاتصال بالدول الاشتراكية بما فيها الاتحاد السوفياتي والصين . ومن هذه الاتصالات نتجت صفقة الأسلحة مع الإتحاد السوفيتي وإنشاء ميناء الحديدة ، وشق طريق صنعاء ـ الحديدة من قبل الصين . وهذه الإنجازات الثلاثة هي التي أسهمت ـ فيما بعد ـ بصورة أساسية في إنجاح ثورة ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ والدعم المصري لها وهو ما كان له أهمية بالغة في نجاحها .

وقد كانت أول زيارة للبدر الى الخارج بعد إعلان ولاية العهد الى السعودية ومصر يشكرهما على موقفهما بجانب أبيه ضد حركة عمه عبدالله . وقد ذهب معه الأخ الأستاذ نعمان ، وقد صرح البدر في القاهرة بأن الإمام عازم على العمل لتطوير اليمن وتقدّمها والخروج بها من العزلة . ولما سمع الإمام هذه التصريحات جُنّ جنونه ، وصادف أني كنت بعدها في مجلس الإمام فإذا به يوجّه اليّ الحديث بصوت مرتفع ويقول : « ألا ترى الى صاحبك ـ يعني نعمان ـ (متهما له بأنه الذي صاغ تصريحات البدر) هذا الذي تجاوز حدوده ويزعم أن اليمن منعزلة وغير متطوّرة . . لقد أخطأنا في الركون اليه في مرافقة الولد البدر ، ولكننا سنحاسبه حساباً عسيراً » . وحاولت التخفيف من غضبه بدون جدوى ، مما جعلني أخاف على الأستاذ نعمان ، وتمنّيت أن أجد طريقاً

لإبلاغه ولكن عودته كانت أسرع من ذلك ، وقد عاتبه الإمام فأحسن التخلص وأيّده البدر ، ولكنه ظل قلقاً ، وانتهز أول فرصة يخرج بها من اليمن ليطير الى القاهرة . وهناك التقى بزميله الشهيد الزبيري . وأرادت القاهرة أن تكفّر عن موقفها المؤيد للإمام ، فأفسحت لهما المجال لمعاودة نشاطهما ضد الوضع الإمامي ، فأصدرا أعداداً من صحيفة « صوت اليمن » كما ألقى الزبيري عدة أحاديث من « صوت العرب » أقضّت مضجع الإمام ، فأرسل الى عبد الناصر يهدّده بأنه إذا لم يوقف نشاطهما فإنه سوف ينضم الى « حلف بغداد » ، مما جعل عبد الناصر يؤثر مهادنة الإمام ويأمر بإيقاف نشاطهما ، وقد كان ذلك مأخذاً آخر لأحرار اليمن على ثورة عبد الناصر التي كانوا يعلقون عليها كبير الآمال . وقد تحقق ذلك بعد قصيدة الإمام ضد الإشتراكية وحل عبد الناصر للاتحاد ، ومجيء ثورة ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ .

ملنا بعد أحداث ١٩٥٥ الى السكينة فترة من الزمن ، وما ان ابتعد عنّا شبح المشانق حتى عاودنا التفكير فيما يجب أن نفعله لإنقاذ اليمن مما تعانيه . واجتمعت مع مجموعة من الإخوان منهم الشيخ أمين عبد الواسع نعمان والشيخ الشهيد حميد الأحمر والشيخ سنان أبو لحوم ، وتدارسنا الوضع الذي يزداد تدهوراً . وكان الإمام قد ربط كل شيء بشخصه واحتجب بفعل الإدمان على المورفين ، وقد توصلنا الى وضع برنامج عمل وطني تم إرساله الى الإخوان في صنعاء وإب والحديدة والقاهرة[1] .

كان السباق على أشدّه بين عبد الناصر وأركان حلف بغداد على كسب اليمن والسعودية . وقد حاول الرئيس عبد الناصر إقناع الإمام أحمد والملك سعود بأن يعقدا معه حلفاً عسكرياً دفاعياً ، وقد اقتنع سعود بذلك - على الأرجح - بسبب العداء التقليدي بين الأسرتين الهاشمية التي كانت تحكم العراق والأسرة السعودية ، بينما استجاب الإمام أحمد لذلك مدفوعاً بالحرص على مهادنة عبد الناصر ، سداً لسبل العمل في وجه الزبيري ونعمان ومن معهما

(١) لا يزال نص هذا البرنامج موجوداً ، وهو يقع في عدة صفحات شرحنا فيه أمراض الوضع وما يجب عمله للتخلص منها . وفي البند السابع النص على وجوب التخلص من النظام الملكي وإعلان الجمهورية .

ضده . وفي ١٣٧٥/٩/٨ الموافق ٥٦/٤/١ م سافر الإمام الى جده للالتقاء بالملك والرئيس عبد الناصر ، وأخذت عضوا في الوفد . ولا داعي لسرد سير المحادثات وما تم من الاتفاق . ولكني أذكر أن الوفد اليمني اقترح تبادل رسائل بين الإمام والرئيس والملك سعود ، وتنص على الوعد من الرئيس عبد الناصر والملك سعود بأن تقف حكومتاهما بجانب اليمن لاسترداد الشطر الجنوبي من يد الاستعمار البريطاني ، فوافق الملك سعود على ذلك . ولكن الرئيس عبد الناصر أبدى تحفّظاً خلاصته أن الحلف حلف دفاع ، وأنه بهذا سيصبح هجومياً ، لأن لفظ « الاسترداد » يعطي هذا المعنى . ووافق الإمام على تعديل الرسائل بحيث تتضمن تأييد مصر والسعودية لليمن اذا حصل عدوان من بريطانيا على اليمن المستقل .

وبرغم أن ملاحظات الرئيس عبد الناصر « قانونية » إلا أننا وجدنا في أنفسنا . وقد قلت للقاضي محمد العمري رحمه الله : أرأيت ؟ إن هذا الموقف لا يتلاءم مع ما يدعيه عبد الناصر من محاربة الاستعمار ، بينما كان سعود ذو الارتباطات الخارجية أكثر استجابة للمقترح اليمني . فهل فعل ذلك غافلا عن ملاحظة الرئيس ، أم أن كرم الضيافة دفعه الى ذلك ؟ فقال العمري : قد يكون هذا مما لا يفوت على سعود ملاحظته ، وإنما أوكل الى الرئيس المصري إبداءها مجاملة منه للضيف كما أشرتم .

وعند عودتنا أهدى الملك سعود للإمام أحمد إحدى محظياته ، وهي سيدة عربية مسلمة سورية تعرفنا على أسرتها في منطقة صلنفة في عام ١٩٧٥ ، وقد أثار هذا التصرف استغرابنا جميعاً ، إذ كيف يهدي الملك للإمام امرأة حرة ؟ وعندما بلغ الإمام استنكارنا للهدية « البشرية » عمد الى الاتصال بأسرتها وعقد عليها كزوجة شرعية « رابعة » .

وجاءت احداث ١٩٥٦ بالعدوان الثلاثي على مصر ، وقد استقبله الشعب اليمني بالألم والفزع على مصر عبد الناصر التي كانت كل الشعوب العربية تتجه اليها . ولكن الإمام الذي كان يمتدح عبد الناصر ويبالغ في الثناء عليه حسب أنها قد جاءت نهايته على يد اسرائيل ودولتين كبيرين هما فرنسا وبريطانيا ،

فقصمت صمت القبور إزاء الحدث ، إذ لم يصدر بياناً يستنكر فيه العدوان باسم اليمن . ونصحناه بأن من الواجب أن تقول اليمن كلمتها في شجب العدوان على قطر عربي مسلم ، فلم يرد ، وفعل ما فعلناه الأستاذ محمد عبده نعمان، وكان من العاملين ضد الاستعمار البريطاني ، نعم لم يكتف بذلك بل ردّ على محمد عبده نعمان رداً أفرغ فيه كل ما في صدره من حقد على عبد الناصر، هذا العسكري الجاهل المغرور ـ على حد تعبيره ـ الذي أوقع مصر في المحنة وأعادها الى عهد الاحتلال والاستعمار . وكان كلامه يعطي معنى الكلمة الشعبية « يستاهل » . وقد عرض علينا الأستاذ محمد عبده الجواب بخط الإمام ولم يستحسنه السيد أحمد زبارة فنبه الإمام الى ذلك ، وفي اليوم التالي أردت أن آخذ له صورة ولكن الإمام كان قد استعاده منه .

وفي شوال عام ١٣٧٦ مايو (أيار) ١٩٥٧ م وصل الى اليمن سفير امريكا في جده يحمل الى الإمام مشروع « ايزنهاور » المشهور ، ويعرض في نظير الموافقة عليه مساعدات امريكية كبيرة . وخشينا أن يقبل الإمام الدخول في هذا الحلف ويتلقى مساعدات كبيرة تمدّ في عمر وضعه المتردي . هذا من جهة ومن جهة أخرى أن ترتبط اليمن بأحلاف عسكرية استعمارية ، وكان لا بد أن نفعل شيئاً في سبيل إفشال مهمة السفير ، فرفعت للإمام نصيحة أشدت فيها بمواقفه في محاربة الاستعمار في جنوب البلاد ، ولكن الدخول في هذا الحلف سيقضي على السمعة الطيبة في هذه المواقف المناهضة للاستعمار . ثم شرحت وقلت : إن الكسب المادي المنتظر من المساعدات الموعود بها ـ إذا جاءت ـ لا تساوي الخسائر المتمثلة بـ « أولاً » خسارة صداقة روسيا والدول الاشتراكية التي وقف رئيسها يعلن أنها ستقف الى جانب اليمن اذا اعتدت عليها بريطانيا . « ثانياً » سيكون للقبول ردّ فعل سيء لدى الدولتين الشقيقتين مصر وسوريا ، بعد أن أذاعوا نبأ رفضكم له واشادوا بموقفكم وباهوا به غيركم من الملوك والزعماء . « ثالثاً » ان المشروع قد وسم أنه مشروع استعماري ، وجميع الشعوب العربية ترفضه ، وقد جرّ في لبنان والاردن الى سفك الدماء . والمعروف عنكم مناهضة الاستعمار بكل أشكاله ، وفي قبول المشروع ما يؤثر

على هذه السمعة الطيبة ، رفعت هذه النصيحة في ٢٩ شوال ١٣٧٦ هـ مايو (أيار) ١٩٥٧ م ، وقد رفض الإمام أخيراً الدخول في الحلف .

وجاءت فكرة الاتحاد الفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة . وفي رجب ١٣٧٧ هـ الموافق فبراير (شباط) ١٩٥٨ م أبرق الإمام للرئيس عبد الناصر يطلب أن لا ينفضّ الجميع حتى يضمّوا اليمن الى دولة الوحدة في اتحاد فيدرالي ، فاستجاب عبد الناصر لذلك ، وطلب إرسال وفد للاتفاق على بنود الاتفاقية . وقد جمع الإمام جميع من في مقامه من العلماء وذوي الرأي من رجال دولته ، وكنت أنا بينهم ، وقد كاد المجتمعون أن يجمعوا على أن في ذلك خطراً على العرش وعلى اليمن ، وكان أشدهم معارضة المرحوم السيد محمد عبد الرحمن الشامي رحمه الله . ومع علمي بأن الإمام يهدف بهذا الاتحاد الى سدّ الأبواب والنوافذ أمام حركة الأحرار الموجودة في القاهرة بزعامة الزبيري ونعمان ، فقد كنت أرى أن في الاتحاد خروجاً باليمن من عزلتها وتحقيقاً لبعض ما يطلبه الأحرار . وكنت أضع في اعتباري أن الرغبة قد لا تكون صادقة وأن لا ينفذ من بنود الاتفاق شيئاً ولكني قدرت أن تنفيذ بعضها فيه مصلحة أقلها الخروج من العزلة والاحتكاك بالخارج والتفاعل مع ما فيه من حركة وتطور . ولكني لزمت الصمت لأن بعض الإخوان سامحهم الله يسبغون عليّ صفة الناصرية على سبيل المزاح . ولكن الإمام وجّه الخطاب إلي قائلاً : وأنت ما رأيك ؟ فقلت رأيي أنكم ما دمتم في حرب غير معلنة مع بريطانيا ، فان في الاتحاد قوة واستجابة لقوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً » وهو إذا لم ينفع لم يضرّ . ولما كانت الرغبة متوفرة لدى الإمام للدوافع التي أشرنا إليها ، فقد طرح آراء المتخوفين جانباً ورجح الانضمام ، وسافر الوفد برئاسة وليّ العهد البدر في ١٥ رجب ١٣٧٧ هـ الموافق ٤ فبراير (شباط) ١٩٥٨ م ، وقد كنت من ضمن الوفد ، ولا داعي فيما أرى إلى شرح المحادثات ونص ما تم عليه الاتفاق وإنما شرحت ما شرحته استجابة للسؤال عن النشاط الشخصي مع ما أعتقده من أن السلبية في تنفيذ هذا الاتحاد وما أعقبه من مواقف دفعت عبد الناصر إلى إعلان حله ، كل ذلك كان له أثر في مساعدة مصر لثورة سبتمبر (أيلول) ونجاحها .

ولا بد أن أشير أيضاً الى أنه في يوم الأربعاء ١٦ شوال اتصل بي الأخوان نعمان والزبيري عن طريق أحد أولادنا الدارسين في القاهرة يطلبان اللقاء ، ولكن كيف لي بذلك ونحن لا نتحرك الا مجتمعين مع رفيقيْ السيارة الخاصة بنا ، وهما السيد محمد أحمد الشامي وامير الجيش الدفاعي الضميم .

ولكني لم أعدم الحيلة ، فقد طرحت عليهما أني أريد القيام بزيارة أولادنا الطلاب في سكنهم ، وعرضت عليهما إذا كانا أو أحدهما يرغبان في المجيء فرغبا عنه .

كنا قد اتفقنا على اللقاء في المقطم ، وذهبت الى هنالك حيث وجدت الأخوين في انتظاري ، وبعد السلام والسؤال عن الحال ، قالا لا نريد أن نؤخرك كثيراً تجنباً للاشتباه . ولكن كيف غاب عنكم ما في هذا الاتحاد من الخطر على الحركة الوطنية ؟ إن الإمام أحمد لا يريد اتحاداً ، وإنما يريد أن يضع الحواجز أمام العاملين في الحقل الوطني . فقلت لهما أنا أعرف دوافع الإمام الى هذا الاتحاد الذي سيولد ميتاً ، ولكني أؤكد أن انعقاده أكثر جدوى على الحركة ، لأنه اذا نُفّذ فسيفيدها في رفع الحواجز وتدمير الأسوار التي تحيط بالشعب اليمني ، فيتحقق الاحتكاك والتفاعل . وهو مع ذلك لن يضع أمام العمل الوطني من العقبات أكثر مما هو قائم الآن ، وإن كانت الأخرى وجمّد الإمام الاتحاد ، كما هو متوقّع ، فلن تمضي أشهر حتى ينكشف القناع وتعرف القاهرة أنه إنما يستغفلهم ويسخر منهم . ثم افترضوا ان ما قلته مجرّد تفاؤل فما الذي ترونه في يدي أستطيع أن أغيّر به مجرى الأحداث ؟ استمع الأخوان الى كلامي وقالا : صحيح ان الاتحاد لن يضع امامنا من العقبات اكثر مما وضعه تهديد الإمام بالانضمام الى حلف بغداد ، وقد قمنا من جهتنا برفع رسالة لعبد الناصر أكدنا له فيها أن الإمام لا يؤمن بالوحدة ، وانما فعل ما فعله خداعاً وشراء للسكوت عنه .

وجاءت رحلة الإمام الى ايطاليا للاستشفاء في ٨ شوال ١٣٧٨ هـ الموافق ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٥٩ م كان الامام قد اطمأن تماما بعد الاتحاد بينه وبين عبد الناصر ، وبعد الاتفاق مع بريطانيا على المهادنة ـ فاتنا أن نشير الى هذا

الاتفاق ـ فاعتقد انه قد سدّ جميع منافذ النور فعاد الى الركون الى الراحة والاسراف في استعمال المخدرات ، وعلى رأسها المورفين الذي كان يلجأ اليه كلما استفاق ضميره لينبهه إلى ما قام به من إسراف في سفك دماء المواطنين اليمنيين ، وفيهم ثلاثة من إخوانه أبناء أبيه . وقد كان يفزع الى المورفين لينسيه جرائمه ، ونصحه الأطباء بالانتقال الى مصحة في أوربا ، وأنه إذا لم يتقبل قرارهم فإنه سينتهي في خلال أشهر . ووافق بعد لأي واختار ايطاليا وسافر ومعه ما يزيد على (٦٤) معظمهم من السيدات وقد كنت مع هذا الوفد . وقد بقي الإمام في روما قرابة أربعة أشهر ولا أريد أن أشرح ما حدث ، لأنها ليست مما يهم اللجنة ، ولكني أشير باختصار الى الأحداث التي وقعت في اليمن ، وما قام به الجيش في تعز من تحرك وقتل احمد وعلي ابني محسن الجبري ، وما قاموا به في صنعاء من مهاجمة بيت أحمد العمري وإحراق مكتبته، مما اضطر البدر الى أن يستدعي القبائل الذين دخلوا بالآلاف فزادوا الطين على الوضع بلّة، ثم استدعاؤه لضباط مصريين للتدريب ، وكل ذلك مما لا يرضاه الإمام . وقد غضب الإمام وقرّر التحرك ، وتم ذلك في محرم ١٣٧٩ هـ/يوليو (تموز) ١٩٥٩م وهو يكاد يتمزق غضباً . وكان يتوعّد في من توعد ابنه البدر، وقد قمنا بطائرة، وقام هو مع كثير من العائلة بأخرى، وقد واصلنا السفر الى القاهرة وانتظرنا وصول طائرة الامام ، فلم تصل ، وتبيّن أنه قد فرض على الطيار الإيطالي العودة به الى روما ، بعد أن تجاوز أجواء اثينا . وقد أبدى الطيار ممانعة وزعم أن وقود الطائرة لا يكفي للعودة ، ولكنّه هدّده ببندقيته الجرمل التي لا تفارقه في سفر ولا حضر ، فاضطر الطيّار للعودة، وسجل الإمام لنفسه الأولية في خطف الطائرات. وقد اختلفت التفسيرات للبواعث لهذا الاجراء الذي يدل على انه لا يمتلك كل قواه العقلية ، فقيل ان السبب هو أن أخاه سيف الاسلام الحسن كان معه في الطائرة وهو لا يريد أن يعود به الى اليمن ، وقيل بل إن رسائل جاءته من اليمن تقول ان ولي عهده قد اتفق مع الرئيس عبد الناصر على أن يحتجزه في القاهرة . وقد بقي في روما ثمانية عشر يوما ونحن ننتظره في القاهرة ، وقد تخلّص من أخيه الحسن فأرسله الى امريكا محل عمله ، ولم يعد على طائرة كان لا بد لها من ان تهبط في مطار القاهرة ، بل جاء على باخرة رست في ميناء بور سعيد ، بحيث

انضم اليه كل من كان ينتظره من الوفد فيها . وجاء عبد الناصر رحمه الله لتحيته ولم يقم لمصافحته وقدّر عبد الناصر أن المرض هو الذي أقعده عن القيام ، ولكنه حينما جاء أمين الحسيني ثم شيخ الأزهر قام لهما ، وقبل ذلك كان أصر على ألّا يقابل عبد الناصر إلا وبندقيته الجرمل في يده . وعجز ممثله في الاتحاد السيد حسن بن ابراهيم أن يقنعه بالتخلّي عنها حتى انبرى الطفل المدلل « محمد محمود » فقال أنا سأحملها وأقف بجانبكم لتكون في متناول يدكم ، فوافق وقد اجتمع بعبد الناصر في إحدى الغرف زهاء ساعة ولم يعرف ما دار بينهما .

وقصة أخرى تصوّر كيف كانت الأوضاع في عهد الإمام الذي يعيش في أواسط القرن العشرين . لقد وصلنا الى مقربة من ميناء الحديدة التي يبنيها الاتحاد السوفيتي في الحديدة ، ولم تكن آنذاك مهيأة لاستقبال الباخرة التي عليها الإمام ، ولا يوجد في البلد زوارق يمكن أن توصل الإمام ومن معه الى الميناء . وانتظرنا كثيراً ، مما دفع بقائد الباخرة الى التهديد بأن يواصل السفر الى عدن وينزل من عليها في ميناء عدن ، ولكن المترجم الأستاذ علي حمّد تدخّل فطلب الى القبطان إنزال قاربين أو ثلاثة من قوارب النجاة الموجودة على ظهر الباخرة لنقل الإمام والعائلة الى الميناء وتعود ويواصل السفر بمن بقي الى عدن . وقد تمّ ذلك ونزل الإمام ومعه بعض العائلة على قارب وأنزل قارب آخر كنا عليه مع بعض العائلة ، وكم كان خجلنا كبيراً أمام الركاب الأجانب وأمام القبطان والبحارة حينما يعرفون أن ملك البلاد لا يجد في مملكته زورقاً يحمله الى الميناء . وقد لاحظنا عليهم الاستغراب والتعجب من مملكة العجائب ، وكانوا يتكلمون ويضحكون . وقد سألنا الأستاذ علي حمّد رحمه الله عما يقولون فقال انهم يقولون « هل هؤلاء من بني الانسان ؟ » وقد وصلنا الى الميناء ولجأنا مع العائلة الى « عريش » نصبه العمال للوقاية من حرّ شمس تهامة ، ولم نجد في الميناء سيارة واحدة لتحملنا وتحمل عائلة الإمام الى « دار البوني » . وبعد نصف ساعة جاءت سيارة جيب آثرنا بها العائلة . وبعد ساعة جاءت أخرى حشرنا فيها حشراً ، وكان الفرق الشاسع بين روما والقاهرة وبين الحديدة مما جعل خاصة الخاصة يلعن الوضع ومن على رأسه ومن صبر عليه وقد قلنا آمين .

وفي اليوم التالي حشر أهل الحديدة ومن فيها ليستمعوا الى خطبة الإمام التي ألقاها فيهم وقال فيها « هذا الفرس وهذا الميدان » وهدّد القبائل الذين دخلوا صنعاء من حاشد وبكيل ، واستدعى القاضي أحمد السياغي ليذهب الى صنعاء ليأتي بشرف المروني الضابط رحمه الله وقد واجه السياغي بقوله : أين كنت يا « قحطاني » غائباً عن هذا المهرجان العظيم ؟ لقد كان من المفيد لك أن تسمع الخطبة . ورأيت وجه السياغي وقد امتقع ولم تبق به قطرة دم وأردف قائلاً : اذهب الى المطار حيث تنتظرك طائرة تقلّك الى صنعاء لتأتيني بشرف المروني والضباط المتمرّدين في غيابي . وانفرجت أسرة السياغي لأنه قد وجد الفرصة للخلاص وذهب الى صنعاء ، وبعث بالمطلوبين وفرّ الى بيحان الى اميرها الهبيلي المشمول بالحماية البريطانية .

وكان في إمكان السياغي أن يتجاوز تلك الكلمة التي أرعبته ، ولا سيما بعد أن كلّفه بعمل يقوم به للمبارزة ، ولكنه سمع في المساء من الإذاعة تلك الخطبة النارية التي ألقاها الإمام في المهرجان وقال فيها إنه سيشدخ بسيفه رؤوساً هدّامة ويجدع أنوفاً متغطرسة ، وعرّض بمن يطمحون الى السلطة عن طريق إثارة الاضطرابات والتظاهر بالإصلاح والوطنية . وقد سلّ سيفه أمام الجماهير مؤكداً أن سيفه سيجد مرتعاً خصباً في رقاب هؤلاء الذين توسوس لهم نفوسهم ويطمحون الى انتزاع الأمر من أهله ، وأن من كان يطمح الى ذلك ، فما عليه إلا أن يأتي « وهذا الفرس وهذا الميدان ومن كذّب جرّب » .

وقد كان لهذه الخطبة أثرها في النفوس ، فغادرت القوات الشعبية ومشايخها صنعاء في ليلة واحدة ، ولم يخرج بعضهم من أبواب صنعاء بل تسلّقوا أسوارها هاربين ، ولكنهم بعد ذلك شعروا بالهوان لفرارهم من صنعاء لمجرد سماع صوت « أحمد ياجناه » فعاد بعض المشايخ الى صنعاء وعقدوا اجتماعاً سرياً حضره القاضي عبد السلام صبرة والقاضي الشهيد عبدالله بن محمد الإرياني والشيخ حميد الأحمر والشيخ سنان أبو لحوم والنقيب عبداللطيف ابن قائد والضابطان عبدالله السلال وعبدالله الضبي والضابط حمود الجائفي ، ووضعوا خطتين إحداهما ترمي الى اغتيال الإمام أحمد في « السخنة » وانتدبوا

لذلك الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر والنقيب علي أبو لحوم وأخاه محمداً والنقيب عبد الولي القيري والشيخ علي ناصر طريق والشيخ جارالله بن علي ناصر القردعي وانضم اليهم الأستاذ سعيد فارع . والخطة الثانية أن يعملوا على إيجاد تفاهم بين رجالات حاشد وبكيل لجمع كلمتهم وإقامة عهود ومواثيق بينهم ودمج من يعتمد عليه من العلماء والمثقفين فيهم . وبعد انتظام العقد تقوم حاشد وبكيل بطرد موظفي الحكومة ، وقد كلّف الشيخ سنان والزايدي بالعمل في خولان والنقباء حمود محمد أبو راس وعبدالله دارس وزيد مهفل ببرط وعلي ابن ناجي الشايف في الجوف والشيخ حسين الأحمر وابنه حميد في حاشد. وقد عرف الإمام هذه التحركات فوأدها في مهدها وأخرج الجيوش الى حاشد وخولان والجوف وبرط وبالحيلة استطاع القبض على الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد والنقيب عبداللطيف بن قائد وبعثهم الى سجن حجة . وهناك أعدموا ، وتمكن الشيخ سنان وغيره من الفرار . أما أولئك الذين وكل اليهم اغتيال الإمام فقد فرّ منهم من فرّ واعتقل عبدالله بن حسين في سجن الشرف حتى أطلقته الثورة واعتقل سعيد فارع في حجة ولا ندري كيف تمكن من الفرار ، فتبعه حراس السجن فدافع عن نفسه وسقط شهيداً .

وفي ذي الحجة ١٣٥٩ أمرت من الإمام بامارة الحاج اليمني ، وكان الأخ القاضي محمد العمري رحمه الله بما لديه من خبرة بدخائل العلاقات بين اليمن والسعودية بحكم توليه وزارة الخارجية مدة طويلة قد قال لي : اذا عنّ لكم الحديث مع أحد من المسئولين في المملكة عن شئون اليمن وأوضاعها الداخلية ، فلا تتكلموا مع غير الأمير فيصل ، فإنه رصين ، وإذا لم يوافقكم على رأيكم فلن يبلغ عنكم كما يفعل سعود الذي سبق له أن ابلغ الإمام عن الأستاذ نعمان والسيد أحمد زبارة. وقد تذكرت كلام العمري وأنا مع الأمير فيصل منفردين، فطرقت الموضوع مبتدئاً بما يجري في الجنوب من إقامة دولة تجمع الإمارات والمشيخات . وانتقلت الى شرح سؤال الأوضاع في اليمن وما ينتظر لهذا البلد من تغييرات وما ينتظر من المملكة من الوقوف الموقف الذي يوجبه الدين والجوار ، ففهم مرادي . وقال المملكة مع اليمن يهمها أمرها ، ونحن ننصح

ان يعمل المخلصون لسيف الإسلام الحسن. اما البدر فهو مصري شيوعي ونحن نخاف على اليمن من اشتراكية مصر التي لاتختلف عن الشيوعية فكلها حرب على الدين ونخشى من الاتحاد المعقود مع مصر . فقلت له وما يخيفكم منه وقد خلق ميتاً ولا يزال حبراً على ورق ؟ فقال ولكن لا تنس أن في إمكان البدر ، هذا الأمير الأحمر ، أن يستند اليه ويطلب المساندة من مصر فيجرّ عليكم الوبال . وغنمت فرصة ما أبداه من تخوّف من مصر وقلت له إذن عليكم أن تؤيدوا دعاة الإصلاح لتتفادوا اندفاعهم أيضا الى مصر . واما ما أشرتم اليه سموكم من التعاون مع الأمير الحسن فأصدقكم الحقيقة ، وهي أن حكومتكم ستغلط غلطة كبيرة إذا حاولت الوقوف بجانب أي من أفراد الأسرة الحميدية ، لأنها قد أصبحت مرفوضة شعبيا . فقال إذن اختاروا من ترونه من غيرهم ولكم علينا المساندة ، ولنا عليكم شرط واحد : وهو ان لا يتغير النظام الى جمهورية ، فإذا أعلنتموها فاني أقول لكم من الآن بأننا لن نقف مكتوفي الأيدي ، وسوف نحارب حتى النهاية . فتداركت الأمر وقلت له الحقيقة أن الرأي لم يستقر حتى الآن على شيء محدد ، ولكن ما الذي يهمكم من التسمية ما دام النظام الذي سيقوم بخطب ودّكم ويحرص على التعاون معكم اكثر من تعاون الإمام أحمد ، فأجاب بل يهمني جداً كما يهمني أن يكون الأمر واضحاً لديكم من الآن .

وقد لمست من كلامه أنه يعني ما يقول ، ومع هذا فقد كان في تقديري أنه لولا ما كان من الاستفزازات التي تعمّدها البيضاني وتهديده بضرب الرياض وجدّة بالقنابل وطرده المفوض السعودي لكان في الإمكان أن تسلّم السعودية بالأمر الواقع لو تم إرسال وفد لتطمينهم بأن ثورة اليمن لن تتجاوز حدودها .

وقد حاولنا ذلك بعد الثورة بشهر واحد ، أنا والأستاذ الزبيري ونعمان ، ووافق عليه الرئيس السلال ، وعرضناه على عبد الناصر فلم يرقه ، لأنه كان يريدها ضربة للسعودية رداً على انفصال سوريا وما جرى في مؤتمر شتورة ، ولكنه تذكّر ذلك بعد سنوات في أعقاب ذهاب من ذهب الى الطائف وعقد اتفاقية الطائف وقال قبل سفره الى جدة وبمحضر من الرئيس السلال والفريق

العمري وانا والأستاذ نعمان : لو سمعنا النصيحة المبكرة لكنا وفرنا على أنفسنا الكثير ولما ذهب المشايخ ليزايدوا عليّ عند فيصل .

وجاءت حادثة محاولة العلفي واللقية والهندوانة لاغتيال الإمام أحمد في ١١ شوال ١٣٨٠ / فبراير(شباط) ١٩٦١ م . ونحن في تعز فوجئت بمجيء نائب الإمام الوشلي الى منزلي في الصباح الباكر ولم يكن لي عهد بمجيئه في مثل تلك الساعة ، وكان الانكسار بادياً على وجهه والدمع يكاد يطفر من عينيه ، فقلت ما الخبر ؟ فقال لقد حاولت مجموعة من الضباط البارحة قتل الإمام عند زيارته للمستشفى ، وقد أطلقوا عليه الرصاص فعلا وأصابوه بخمس رصاصات وحالته خطيرة جداً ، ونريد التشاور في الذي يجب أن نفعله هنا اذا مات الإمام وولي العهد غائب. ولم أشأ أن أبدي رأياً يحسب علي فقلت له علينا أن لا نتعجّل الأمور وأن نتوجّه الى الحديدة لزيارة الإمام والاطلاع على الأمور من قرب . ويكفي الآن أن تستدعي اللواء الحوثي والعقيد الآنسي وقائد « العكفة » وتسرّ اليهم بما حدث وتوصيهم باليقظة والاستعداد للطوارىء . واتجهنا الى الحديدة وانضم الينا العلامة محمد الذاري وزيد عقبات وغيرهما من رجال الدولة في تعز . وفور وصولنا دخلنا على الإمام وكان مفرج الشاذروان الكبير قد تحول الى مستشفى وفي وسطه سرير مرتفع وإحدى قدميْ الإمام مربوطة الى أحد أعمدته والضمادات تغطي معظم جسده . وتقدمنا اليه منكسرين ، ولم يصافحه أحد بل اكتفينا بالدعاء، وتلاوة الفاتحة ولما رآني تحرّك وقال : أرأيت أعداء الله كيف لم يحكموا التسديد ، ولو أحسنوه لكانوا قد أراحوني وأراحوكم . فقلت له : معاذ الله بل تبقون بيننا يحفظ الله بكم أمن البلاد . لم ألق انا كبير بال لما قاله الإمام ، ولكن الإخوة استهولوا ان يقول الإمام : « وأراحوكم » ولو أني انسقت وراء تشاؤمهم لغادرت الحديدة الى الخارج كما فعل السياغي . ولا أنكر أني قد شعرت بالخوف ولا سيما بعد أن سمعت صديقي مدير الإذاعة المتوكلية محمد بن أحمد الشامي يعمد إلى إثارة حنق الإمام على المطالبين بالإصلاح وسجناء حجة ودعوته إلى تصفيتهم، ولكن الإمام أحمد لم يستجب لذلك ، وأمر بتشكيل محكمة من العلماء والضباط فيهم السيد

أحمد زبارة والسيد يحى الكبسي والعقيد السلال والعميد غالب السرى وبعض الضباط الذين لم يشتركوا في ثورة ١٩٤٨ لمحاكمة اللقية والهندوانة . اما العلفي يرحمه الله فقد دافع عن نفسه حينما أرادوا القبض عليه وقتل بعد ذلك . وقد علمنا أن اللقية والهندوانة يُعذّبان ليدليا بارتباطاتهما وأسماء المخطّطين للمؤامرة ، وقد اعتقل في الحادث السيد حسين المقدمي والدكتور فضل الله الزاقوت السوري الذي كان يعمل بالمستشفى بتهمة اتصالهما بالعلفي وزملائه .

لم يكن لي ايّ علاقة مباشرة بأيّ من الشهداء الثلاثة ، ولكن التركيز من الإذاعة على سجناء حجة واقتراح السيد يحى الكبسي رحمه الله احد اعضاء المحكمة بإعادة سجناء حجة الى السجن ، ثم ما سمعناه عن تعذيب الشهيدين ليدليا بأسماء المخطّطين وتلك الكلمة التي خصّني بها الإمام أحمد - كل هذه مجتمعة جعلتني أتوجس خيفة من أن يدفع التعذيب بالمعذبين إلى ان يدليا بأسماء ليتخلصا من العذاب. وكنت متأكداً أن بعد المرء عن المحاولة والقائمين بها لا تعطي البريء حصانة عن الوقوع في شباك التهمة . وكنت حائراً بين النزوع الى الفرار أو الاستسلام للأقدار . وقد زادت مخاوفي حينما استدعيت الى السخنة حيث يقيم الإمام ولكنه انفرج التوجس حينما قيل لي اني قد عُيّنت أميراً للحجّ في ذلك الموسم ، وسافرت الى مكة وأنا اعتزم أن أعمل على خلق مبرر لتأخري حتى تتم المحاكمة وتأكد من أن الشهيدين لم يُدليا بأسماء . وقد تم لي ذلك ، فبعد أداء مناسك الحجّ رفعت برقية للإمام اشكو فيها عروض أمر اضطرني للسفر الى لبنان للمعالجة . وساعدني الوزير المفوض القاضي حسين مرفق مشكوراً بتأكيد صحة العذر وضرورة الاسعاف للمعالجة فجاء السماح بذلك . وبقيت في لبنان حوالي شهرين حتى جاءتني رسالة من القاضي علي بن يحى الإرياني يخبرني بأن الشهيدين اللقية والهندوانة لم يدليا باسم احد برغم ما تعرّضا له من التعذيب بل صمدا صمود الأبطال، وقد عدت بعد ذلك الى الوطن.

وقد يكون مما يمتّ الى موضوعنا بصلة ان اقول : اني عرفت في حج هذا

العام أن الخلاف بين الأمير فيصل وأخيه الملك سعود قد احتدم . وقد أبعد الأمير عن رئاسة الوزراء ولم يعد يحضر الاحتفالات والمواسم الرسمية ، وبلغ به القرف الى أن يقتلع لوحة سيارته الملكية ليبدلها بلوحة عادية كأحد المواطنين . ولكني لاحظت حينما التقيت به في مسجد الطائف أن مجموعة من الأمراء يلتفّون حوله . ولما كان قد حدث خلاف بين الإمام أحمد وبين الملك سعود على وضع شركة أرامكو التي تبحث عن البترول ـ اعلاماً في الربع الخالي العائد الى اليمن ، فقد أطمعني ذلك بامكان جسّ نبض الملك سعود . وتناسيت تحذير القاضي محمد العمري رحمه الله وطلبت مقابلة خاصة وبدأت أكلم الملك عن تردّي الأوضاع في اليمن وأن أحداثاً قد تحدث لا سيما وبريطانيا في الجنوب تساند حكومة الاتحاد التي تعمل على جرّ بعض المناطق الجنوبية اليها تحت شعار طائفي . وقد فهم الملك ما أريد أن أقوله فقال : انا كملك مسلم بيني وبين الإمام أحمد عهود لا يمكن نكثها . وأخذ يؤكد وفاءه ، وتذكرت نصيحة المرحوم العمري وحمدت الله لأني لم أتورط الى النهاية . وتداركت ذلك بقولي : « هذا معروف عندنا ولذلك لجأنا اليكم لتعملوا على النصح والوساطة بين أمراء البيت المالك حتى لا يجر خلافهم الى كارثة للبلاد وتسير بها الى هاوية الاستعمار » فعقّب جلالته بقوله : « أنا أعرف أنكم تخشون أن يميل إخوتنا الشوافع الى الدولة الجديدة بحكم أنها دولة شافعية وأنا أطمئنك بأن إخواننا الشوافع في اليمن أصدقاء لنا ولا يمكن أن يقدموا على شيء مثل هذا الا بعد استشارتنا ، ولن نسمح لهم بذلك . » ووجدت المخلص فقلت : « الحمدلله ، ما دام الأمر كما قلتم فنحن مطمئنون » وقلت في نفسي « بلها تدلني على سرها » وقد عرفت أن قلب الرجل على طرف لسانه ، ومن باب الاحتياط فقد شرحت للإمام لقائي بالملك عن طلبه وأنه جرى حديث حول ما يبيته الانجليز بإقامة دولة الاتحاد ، وقلت إني لمست أن الملك مرتاح لقيام هذه الدولة واليكم تفسير هذا الارتياح .

في ٩ ربيع الأول ١٣٨١ الموافق ١٩٦١/٨/٢٠ م ونحن في الهيئة الشرعية جاء من يدعوني انا والسيد احمد زبارة رئيس الهيئة الى الإمام ، وذهبنا فوجدنا

احد الصحيين يجهد في حقن الإمام بعضده بحقنة المورفين المعتادة . وبعد أن ابتهج توجّه الينا يقول : « ما رأيكم بعبد الناصر ؟ » فلزمت الصمت . وقال رئيس الهيئة : « من أي ناحية؟ » فقال : « هل هو كافر لأنه يصادر أملاك الناس ويخالف الشريعة ؟ » فقال السيد أحمد « يا مولانا ، إن التكفير خطير ، ولا سيما لرئيس دولة مسلمة » . فقال : « ولكنه يخالف القطعي والمتواتر كحديث إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، الا هل بلّغت ؟ » ثم وجّه الخطاب إلي قائلا : « وانت ما رأيك يا إرياني ؟ » وكنت قد اطلعت على مقال للعالم العراقي الصواف نشرته صحيفة « البلاد » السعودية يكفّر فيها عبد الناصر ، وكان مستشار الملك سعود الحسيني قد جاء واستقبله الامام ، ولم يذع شيء عن مهمته ، ولكنا وقفنا على تفسير لهذه الزيارة من بعض الخاصة أن الملك سعود طلب الى الإمام استصدار فتوى من علماء اليمن بتكفير عبد الناصر . ولذلك فقد كنت أكثر حذراً فقلت : « أنا أتفق مع السيد أحمد وكون الحديث الذي أشرتم اليه في «الصحاح» لا يخرجه ذلك عن كونه خبراً آحدياً ، ولا تكفير ولا تفسيق إلا بدليل قاطع» . وتكلم السيد احمد مؤيداً الرأي . وقد صرفنا الإمام ومعالم الخيبة بادية على وجهه .

وفي اليوم التالي جاء أحد العبيد يستدعيني بمفردي ، وتوجّس الإخوان خيفة ولا سيما الأخ عبدالله بن محمد الإرياني رحمه الله وكنا قد شرحنا لهم موقف الأمس ، ورافقني العبد الى باب الغرفة فدخلت على الإمام بدون استئذان فوجدت الدكتور الأمريكي الذي وصل خصيصاً لمعالجته ومعه الأستاذ أحمد مفرح يترجم وقد واجهني الإمام بقوله « قد انت شيوعي مه » فقلت أعوذ بالله فقال : « لماذا أعوذ بالله ؟ أولست تدافع عن الشيوعي عبد الناصر ؟ » فقلت لم أقصد الدفاع وإنما سألتم فأجبنا وحسبناها مذاكرة علمية وقد عودتمونا فيها أن تتقبلوا الرأي المخالف لرأيكم اذا كان معه الدليل ، واذا كان لديكم حجة فمنكم نستفيد » فقال : « الم يعلن الاشتراكية العلمية ومعناها الشيوعية ؟ » فقلت : إن عبد الناصر يقول إن ما فعله انما هو تطبيق للعدالة الاجتماعية التي قالها كثير من المجتهدين ، وأول من دعا اليها الصحابي الجليل

أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ « ما أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » ، ونحن لو فرضنا أن عبد الناصر خالف قطعياً ما جاء في القرآن ، فإنه لا يجوز تكفيره ما لم ينكر ذلك القطعي ، وإنما يعتبر مرتكب كبيرة وإلا لزم تكفير الزاني والسارق والقاتل عمداً وعدواناً، ولا يقول ذلك غير الخوارج ولسنا منهم، وقد فسر العلماء قول الرسول ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . أن المعنى وهو مؤمن بتحريم الزنا، فقال فما يسمى إذا قلت غطى، لأنه لو سئل هل ما أقررته مخالف للدين لقال لا بل هو العدالة الاجتماعية .

كان الحديث يجري بيننا والأستاذ مفرح يترجمه للدكتور الأمريكي ، وكان آخر ما قاله الإمام : « الظاهر أن الحق معكم » . واستأذنت وخرجت فوجدت على الباب الدكتور والمترجم وقال لي أحمد مفرح ان الدكتور يقول انكم رجل عنيد ، وانه يخاف عليكم غضب الإمام ولكنه أعجب أخيراً بـدمقراطيته فقلت له : لا عناد ولا ديمقراطية ، وانما هي مذاكرة علمية نعتادها مع جلالته .

وجاء موسم الحج وتعيّن القاضي محمد عامـوه أميراً للحج اليمني ، وحسبت أني قد خلصت من الإحراجات، ولكن الامام استدعاني يوم ٧ ذي الحجة ، وهناك وجدت وزير الخارجية حسن ابراهيم قال لي : لقد كتبك الله في الواقفين، فقلت ما الخبر؟ فقال ستعرفه من الإمام. ودخلت على الإمام فقال يكون سفرك غداً الى جدة لحضور مؤتمر الرابطة الاسلامية، قلت له: لقد عرفت مما اطلعت عليه من الصحف السعودية أنهم يهيئون لاستصدار بيان يكفّرون به عبد الناصر وأنتم تعرفون رأيي في الموضوع ، ولا أريد أن يقول السعوديون مندوبكم خالف اقتراحاتهم ، فلو تفضلتم بتكليف أمير الحج بحضور المؤتمر ، فقال : قد حاولنا فقالوا إنك عضو مؤسس ويلزم حضورك ، ولا مانع أن تقول رأيك .

وذهبنا وأدّينا مناسك الحج ، وجاء موعد اجتماع المؤتمر ، وكنت قد عرفت أنهم قد أعدّوا العدّة لاستصدار القرار ، ولم أشأ أن أتصدّر للمعارضة لوحدي، فالتقيت بالدكتور سعيد رمضان أحد زعماء الإخوان المسلمين الذين شرّدهم عبد

الناصر رحمه الله وطرحت عليه الموضوع وقلت له إنهم يريدون استغلال الدين ورجال الدين لأهدافهم السياسية فقال : « أنا لا أتردد في تكفير من قتل محمد فرغلي وعبد القادر عودة . . . ولكن هؤلاء الملوك . . يريدون استغلال الدين ويسخروننا لمقاصدهم السياسية . أنا معك في معارضة الفكرة » .

وجاءت أول جلسة فقدّم العلامة الباكستاني أبو الأعلى المودودي رحمه الله بحثاً حول الاشتراكية وقرّر انها العدالة الاجتماعية التي هي من مبادئ الاسلام . وقامت قيامة علماء المملكة ، ولما كانوا يجلّون المودودي فقد حاروا في أمـره ورجوه بأن يحذف بعض الفقرات حتى يتسنّى أن يطبع البحث ضمن وثائق الرابطة، فقال لهم: «أنا كتبت ما أعتقد وأنتم أحرار في أن تثبتوه وأن تحذفوا ما رأيتم من الفقرات مع التنبيه على ذلك » . والتفت إلى الدكتور رمضان وقلت له : لقد كفانا الله شر الجدال !

كان الملك سعود يعمل بشتى الوسائل لجرّ الإمام الى صفّه في عدائه لعبد الناصر،وكان من نتائج ذلك أن أمرنا الإمام ونحن في طريقنا إلى الأردن لحضور المؤتمر الاسلامي بأن نقوم بزيارة دمشق لتقديم التهنئة لحكومة الانفصال الذي تم بمساع سعودية ، فقمت من بيروت ومعي الأخ القاضي عبدالله الشماحي والسيد عبدالله باعلوي والدكتور عدنان ترسيسي الوزير المفوض في لبنان . وقد احتفل بنا رئيس الجمهورية ناظم القدسي في حفلة حضرها مأمون الكزبري المسئول العسكري ومعروف الدواليبي رئيس الوزراء ، ثم جاءت المنظومة التي أنشأها الامام ضد الاشتراكية ، وكان الردّ من الرئيس عبد الناصر خطاب ألقاه يهاجم به الإمام أحمد ويعلن حلّ الاتحاد الفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة. وفتح هذاالموقف ابواب الأمل في نفوسنا على مصاريعها، وكان المنتظر ان يتوسع المجال أمام الأستاذ نعمان والشهيد الزبيري زعيمي حركة المعارضة الموجودين في القاهرة ليعملا بمعرفة ودون تجاوز للمصلحة اليمنية. ولكن الأمل لم يتحقّق، فقد ظلّا صامتين، بينما فتح المجال للدكتور البيضاني الذي كان يعمل للامام ومعه ضد الأحرار ويتجسّس له عليهم. وبدأ هذا يكتب في «روز اليوسف» سلسلة من المقالات تذاع من «صوت العرب» ولو ان البيضاني قد نهج

نهجاً صحيحاً لباركنا عمله وقلنا ما يقول المثل الشعبي «حي الله الجمالة من أينما جاءت» ولكنه جاء ليفرق بين أبناء الشعب فيهاجم الهاشميين تارة ويهيج الشافعية ويناكي عليهم أخرى. وبعثت رسالة للأخوين الزبيري ونعمان أعتب عليهما ترك المجال لمن جاء ليفرق الصفّ الوطني عنصرياً وطائفياً، وعتبنا عليه بواسطة أحد الأخوان المتصلين به وقلنا له إن أسلوبه المفرّق نحن نرفضه، ولا يمكن أن يتقبله الشعب، ولا يمكن ان ننسى أن من الهاشميين من يعاني مثل ما يعانيه الشعب من فقر وجهل ومرض وتخلف، وأن منهم من سقط شهيداً في ١٩٤٨ و١٩٥٥. وقد اعتذر بأن الهاشميين هم واجهة الحكم وهم الحكام، فقلنا له لو أنك هاجمت الحكام منهم لكان لك حجتك ولكنك تهاجمهم على أساس عنصري، وذلك هو المرفوض، لأنه ليس في مصلحة اليمن. وقد أصم أذنيه عن نصحنا واستمر في نهجه المفرق حتى جمع ذلك في كتيب وأصدره بعد الثورة، ثم أصبح أخيراً يتنصّل وينهم غيره.

كنا نعمل مع بعض الإخوان في تعز للتحضير للثورة ، وفيهم عبد الغني مطهر وعلي محمد سعيد وعلي حمود الحرازي وعبد القادر الخطري والضابط محمد مفرح . وكان الأستاذ احمد القعطري هو حامل الرسائل والمعلومات الى صنعاء ومنها ، وكان لنا صلة بالسفير المصري الأستاذ علي الدسوقي ، وكان للاخ عبد الغني مطهر صلة بالبيضاني ومن ورائه السادات . وقد استدعي من القاهرة وكان الاقتراح بأن يلتقي بالبيضاني في المانيا الغربية التي كان للبيضاني صلة بمخابراتها . وقد جاء عبد الغني يستشيرني ، وقد فهمت من هذه الدعوة أن القاهرة تتجاهل وجود الزبيري ونعمان فيها وتريد التعاون مع البيضاني الذي لا رصيد له ، ولكنني قلت للسيد عبد الغني فلتذهب لتعرف ما يريدون . وسافر الى المانيا ومنها بصورة سرية الى القاهرة ، وعاد يحمل تشكيل حكومة ما بعد الثورة ، وقد جعلوني فيها رئيساً للجمهورية والدكتور البيضاني نائباً ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية والاقتصاد ، ولم يدرج فيها اسما الزبيري ونعمان في أيّ وزارة . ولما ناقشت عبد الغني في ذلك قال إن السيد انور السادات قال : ان الأخوين قد ركنا على العيش في القاهرة ، وان النية تتجه الى إعادة الاتحاد

بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة ، وسيعين احدهما نائبا والآخر وزيرا في الاتحاد ، وفي هذا تحقيق لرغبتهما . فقلت له : انه ليس من المعقول ان يخلو التشكيل من اسميهما ، ثم اني لا أوافق على أن أكون رئيساً للجمهورية ولا بد ان يحتل هذا المنصب من يراه العسكريون الذين سيقومون بالثورة ، ويجب أن نكون واقعيين إن أردنا للثورة النجاح ، ويجب أن يكون معلوماً أني أيضاً لا اوافق على أن يتولى البيضاني كل هذه المناصب وعمره في العمل قصير وهو غير معروف ، ويمكن أن يعيّن وزير اقتصاد بحكم اختصاصه، على أن يعين أحد الأخوين رئيساً للوزراء والآخر وزيراً للخارجية ، فقال الأخ عبد الغني : ولكن هذا هو رأي القاهرة ، قلت وهذا هو رأيي ولك أن تبلغهم ، ثم إنه إذا لم يشترك الزبيري ونعمان فأنا الآخر لن أشترك . وذهب عبد الغني الى صنعاء ووافق الاخوان على رأيي . وفي التشكيل الذي أعلن مع اعلان الثورة تعيين العميد عبدالله السلال زعيماً وقائداً للثورة وتعيّنت وزيراً للعدل وتعين البيضاني وزيراً للاقتصاد والاستاذ الزبيري وزيراً للمعارف، وخلا التشكيل من اسم الاستاذ نعمان، لأن البيضاني الذي كان له أثرٌ في تسيير الأمور مع القاهرة كان يشعر أنه سينافسه في زعامة الشافعية التي كان يحلم بها ويريدها على أساس طائفيّ يتنافى مع مصلحة اليمن. ولما عتبنا على الإخوان قالوا: إن الضباط قالوا انهم اخذوا بالراي المصري.

ومما ينبغي أن اشير إليه أن البيضاني ، بعد دخول القوات المصرية لمساندة الثورة ، قد قدم له كل ما أراده من نائب لرئيس الجمهورية الى رئيس وزراء ووزير خارجية واقتصاد وعضو في مجلس قيادة الثورة ونائب للقائد الأعلى . وبعد اشهر أخرج من اليمن وجُرّد من كل هذه المناصب حينما تجاوزت طموحاته الحدود ، وأساء الى الثورة بسوء تصرفه . فحملت الرئيس السلال على إبعاده ، وحينما جاء الى عدن ليتعاون مع الإنجليز لإلحاق بعض الألوية بدولة الاتحاد سحبت جنسيته اليمنية وسجنه عبد الناصر لذلك ولأسباب أخرى عرفها عنه . والبيضاني طاقة من النشاط والحركة ولكن تلوّنه وتهوّره وعدم ثباته على خطٍ واحد جعلته يخفق في آماله ، فهو كما قال الشاعر العربي في امثاله :

يـومـا يمـان اذا لاقيت ذا يمن   وان لقيت معدّيـاً فـعـدنـاني

فإذا رأيته اليوم في أقصى اليسار ، اذا بك تراه غداً في أقصى اليمين . إن له مَرْصداً يرصد به رياح الكسب والغنيمة والشهرة، فيسبقها الى الجهة التي تتجه اليها، ولا يبالي أنه يناقض نفسه بنفسه. فقد كان من غلاة الاشتراكيين حينما جاء الى اليمن في عهد عبد الناصر ، فأعلن الاشتراكية في البلد الفقير المتخلف فسبّب ذلك هروب رأس المال الوطني على قلته، وهاجم المملكة السعودية وهدّد بضرب مدنها بالقنابل ، مما دفع مسئولاً سعودياً كبيراً الى ان يقسم ليبيعنّ العقال ليحارب بثمنه الثورة اليمنية . ولما مات عبد الناصر أصبح عدواً له ، إرضاء للسعودية لأنه مما تجري به رياح الغنيمة والشهرة، فحج الى بيت الله وأصدر كتاباً يهاجم به الاشتراكية التي سماها الماركسية والتي أعلنها في اليمن . وقد قال عنه الأستاذ أمين حامد هويدي فيما نشرته صحيفة « الشعب » المصرية الصادرة في ١٩٨٣/٥/٢٤ ما يلي : « ليس للبيضاني جذور في اليمن . انه عاطفي في قراراته السياسية . انه لا يلتزم الدقة في معلوماته ويلوّنها بالصورة التي تدفعها اليه عواطفه أو مصالحه . ان علاقته باليمنيين في المنفى وفي الداخل يسودها عدم الثقة للفارق الكبير في طريقة التفكير وفي السلوك » . الى ان يقول : « والذي يعرف حقيقة الأوضاع في اليمن ذلك الوقت كان يلمس عدم شعبية البيضاني ونفور الأطراف منه ، علاوة على أنه أخذ يدلي بتصريحات عنيفة ضد السعودية مهدّداً النظام السعودي بالويل والثبور ، علاوة على تصريحاته عن تطبيق الاشتراكية في اليمن ، وهي أمور كانت بعيدة كل البعد عن الحكمة ، تثير السعودية من جانب وتثير القبائل من جانب آخر . وأظن أن هذه التعقيدات كانت السبب الرئيسي لإبعاده عن السلطة ، وقال إن أنور السادات لم يقتنع بما لفت نظره اليه عن البيضاني ، ولكنه بعد أن ذهب الى عدن وهاجم عبد الناصر ورجال الثورة اليمنية اجتمع به حينما رافقا الرئيس عبد الناصر في القطار الذي سار بهم من القاهرة الى الاسكندرية ، وقد فوجىء بالسادات يأتي ليقعد بجانبه ويقول له يا أمين أنت كان رأيك سليماً في البيضاني ، وأخذ سيادته يعدّد لي أخطاءه الكثيرة وكيف أن هذه الأخطاء أوقعت الثورة في مشاكل عديدة ، وأن من المصلحة أن لا يبقى عبد الرحمن في عدن » . ثم يقول الأمين : « إنني لست

طرفا بقدر ما أنا شاهد لم يقل كل شيء لأسباب يعرفها ، فليس من عادتي الهدم والعدوان ، وقد أخبرني أحد الذين لهم صلة بأمين الهويدي أن الشيء الذي لم يقله هو إرتباط البيضاني بالمخابرات الألمانية الغربية . وقد أيد ذلك ما جاء في رسالته الى ولي العهد البدر والمحررة بخطه وفيها يتجسس على الأمير يحي بن الحسين حميد الدين ابن عم البدر . وقد جاء فيها قوله : إنه سيستعين لمتابعة تحركات الأمير يحي بالمخابرات الألمانية ، لأن له فيها صداقات . ومعلوم أنه ليس في دستور المخابرات صداقات ، وإنما فيه زمالات . والأستاذ الأمين هويدي كما هو معروف كان مشرفاً على المخابرات المصرية. فهو قد قال ما قاله عن علم «وما ينبئك مثل خبير» وفي كلام السادات ما يدل على أنه كان متورطاً مع البيضاني وخاف أن ينفضح أمره أمام عبد الناصر.

في أواخر ١٣٨١ استطاع مَنْ حول الامام إقناعه بتشكيل وزارة يرأسها ابنه ولي العهد . وقد اقترح بعضهم تعييني وزيراً للدولة بلا وزارة ، وعارض آخرون ، وكانت حجة المقترحين أن في ذلك ما ينفي تهمة الأثرة من ناحية ، وتطمين الذين قدرت لهم النجاة من مجازر ١٩٤٨ و ١٩٥٥ بأنهم قد أصبحوا محلاً للثقة من ناحية أخرى . أما حجة المعارضين فقد كانت ترتكز على سوء الظن ووجوب الحزم في التعامل معهم لأنهم لا يرضيهم الحصول على وزارة شكلية وان كل همهم هو تغيير النظام وقد تغلب جانب المؤيدين لأن فيهم ولي العهد .

* * *

عند مراجعة الأسئلة الموجهة من اللجنة تبين أني تجاوزت بعضها لأن الجواب عليها من وجهة نظري قد تضمنه ما أسلفت . وفيما يلي أتناول بعضها :

(أ) إن نتائج الأعمال التي قام بها العاملون في الحركة الوطنية لا يمكن أن يقوّمها تقويماً صحيحاً وعادلاً إلا من عرف الأوضاع التي كانت قائمة آنها . ولا بد مع ذلك من أن يكون متحرراً من الهوى ومن الرواسب العقائدية ومن الإغراءات المصلحيّة، وفي تقديري أن النتائج كانت متكافئة مع الجهود المبذولة بل ربما نقول إنها تجاوزت ما كان مقدرا، إذ كان الكثيرون يعتقدون أن العمل يحتاج

الى أن يتواصل مدة طويلة نظراً الى ضيق مجال العمل، لأن عامة الشعب كانت في سبات عميق، وكان الأئمة على مدى ألف سنة قد أحسنوا استغلال الدين بالتزييف والتضليل في تكريس مراكزهم على قاعدة دينية تعطي الإمام قداسة دينية، فالخروج عليه بغي، ونقده نصب وبغض لأهل البيت، ولذلك فقد كان الوعي في الشعب لا يتجاوز المثقفين والعلماء المتحررين، وكان وعيهم يصطدم بالعقيدة الدينية، بقداسة الامامة التي كانت ترتكز على الدجل والتضليل بين صفوف القبائل المحاربة. ولا ننسى ما لقيه الأحرار في عدن من بعض المضلّلين ولا سيما بعد مقتل الإمام يحيى وفشل الثورة.

(ب) مما لا شك فيه أن التجارب الكثيرة وتكرر الفشل أيضاً يعطي المرء الكثير من الخبرة التي كان يمتلك القليل منها وتجعله يقول: لو قدر لنا أن نعمل كذا لأمكن تغيير مجرى الأحداث، ولو فعلنا كذا لنجحنا ونحو هذا . . . ولكني أعتقد أن الانتفاع بالتجارب والخبرة في ظروف كتلك الظروف لم يكن ليغيّر مجرى الأحداث لأن المجرب لا يستطيع أن يفرض تجاربه على غيره، وقديماً قيل: ان «لو» مطية الفشل.

(ج) ان فشل أحداث ثورتي ٤٨ و٥٥ لا يمكن أن يعزى الى شخص ما لم يكن هو قائد الأحداث ومسيّرها. أما العامل الثانوي «مثلي» فلا يمكن أن يكون لعمله الشخصي أثر في الفشل.

ثانياً ـ وما بعدها:

(أ) سبق لي أن قلت إن نتائج الحركة كانت متكافئة مع الأعمال التي بذلت، إذا نحن نظرنا نظرة واقعية الى مجريات الأحداث في ظروفها التي فرضت حكمها على العاملين. وقد يكون من البديهي أن الأماني والآمال والطموحات كانت تتجاوز المكاسب التي حصلت عليها الحركة الوطنية من خلال الفشل والانتكاسات. والذي أريد أن أقوله هو أن الحركة الوطنية قد كسبت الكثير من ثورتي ٤٨ و٥٥ برغم فشلهما، أي أن فشلهما لم يرجع الحركة الوطنية الى الوراء بل تقدّم بها خطوات الى الأمام في سبيل نجاح ثورة ٢٦ سبتمبر (أيلول)

عام ١٩٦٢ م. ولا ننسى أن ثورة «ماو» في الصين قد نجحت على أكتاف فشل ما يقرب من عشرين ثورة قدّم الشعب الصيني فيها عشرات الآلاف من الضحايا.

(ب) سبق لي أن أشرت الى أن انعدام الوعي وتعمّق العقائد الدينية والواقع الظرفي وعدم تنفيذ الخطة متكاملة مما أعطى الإمام أحمد فرصة النجاة، هي أهم أسباب الفشل. وقد يكون لمقتل الامام يحيى الذي أحسن الإمام أحمد استغلاله لتحريك القبائل مع إثارة مطامعهم بإباحته لهم صنعاء، وما فيها أثرٌ كبير أيضاً حتى في خارج اليمن، وأذكر أن الأمير الشهيد علي بن عبدالله الوزير رحمه الله حج في عام ١٣٥٧ هـ، وكان ولي العهد أحمد قد وصل الى تعز محل إمارة الوزير، وقد شعر الأمير أنه جاء ليخلفه في اللواء، وكنت بالمصادفة من حجاج ذلك العام، وقد استطعت التعرف، ولأول مرة على الشهيد الزبيري، رحمه الله، الذي كان ضمن رفاق الوزير، وعن طريقه عرفت أنه تم التحالف بين الملك عبد العزيز والأمير الوزير على إبعاد ولي العهد احمد عن خلافة والده على العرش. وكان قد سبق للملك السعودي وللإمام عبدالله الوزير الاتفاق المماثل على ذلك بعد محاولة الحاضرين قتل الملك عبد العزيز في الحرم، فقتلوا ثلاثتهم دون أن يصلوا إلى الملك، وانما جرح ولي عهده سعود جرحاً طفيفاً على كتفه. وقد اتُهم ولي العهد في تدبير ذلك بل تأكد الملك من أنه دبر المحاولة وأكد ذلك الشهيد عبدالله الوزير وقال إن هدف ولي العهد هو التخلص منه ومن الملك السعودي وقد جر ذلك الى اتفاق الملك والوزير على استبعاد احمد عن الخلافة.

ومما يُسجل باستغراب أن جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله قد وقف في ثورة ١٩٤٨ التي يقودها الوزير ضد حليفه، وأيّد احمد بالسلاح وبإعاقة امين الجامعة ومن معه عن الوصول الى صنعاء قبل الفشل. وقد ذهب وفد من حكومة الثورة مؤلف من شهيد الغربة عبدالله بن علي الوزير وشهيد الغربة والتشرد الفضيل الورتلاني والشهيد الزبيري الى المملكة السعودية في محاولة لإقناع الملك السعودي بأن يلزم الحياد على الأقل، ولكنه استقبلهم استقبالاً سيئاً وواجه السيد الورتلاني

بكلمات قاسية متهماً له بأنه محرك الثورة ومدبرها، وانه على حد تعبيره قال الإمام، ولما ذكّره السيد عبدالله بن علي الوزير رحمه الله بالعهد بينه وبين أبيه وبينه وبين ابن عمه اجاب: «ما اتفقنا على قتل الشيبة» يعني الامام يحيى، ويريد ان يقول إن الاتفاق كان على أساس أن يموت الإمام يحيى موتاً طبيعياً، فأعطاه مقتل الإمام مخلصاً من الالتزام بالاتفاق، والحقيقة أن الذي أزعج جلالة الملك هو أن تأتي أول ثورة على النظام الملكي في العالم العربي في الجزيرة العربية ومن اليمن.

(جـ) نجاح ثورة سبتمبر (أيلول) جاء بعد خمس عشرة سنة من ثورة ٤٨ وسبع سنوات من ٥٥ وما تبعها من حركة حاشد ومقتل زعيمها حسين الأحمر وابنه حميد ومقتل النقيب عبداللطيف بن راجح احد زعماء خولان، ثم قيام الشهداء اللقية وزميلاه بإطلاق الرصاص على الإمام وإلقائه أرضاً مضرجاً بدمائه، ثم موت الإمام أحمد وهو الشخصية التي ترهبها القبائل وكانت تسميه احمد «الباهوت» واحمد «ياجناه» - كل هذه الأحداث وسعت دائرة الوعي الشعبي في عموم الشعب وزعزعت عقيدة الدجل والتضليل وأسقطت الدعاية التي كانت تشاع ويصدّقها الكثيرون من العامة والقائلة إن الإمام «مُصرَّف» لا يؤثر فيه الرصاص. وقد أثارت أيضا النقمة التي كانت كامنة على الظلم والعسف والإذلال والامتهان في نفوس الناس. ولا أدل على ذلك من أن المواطنين في إب وتعز وغيرهما قد قاموا بالقبض على أركان الدولة وسوقهم الى صنعاء بالتعاون مع الضباط الذين كانوا في المراكز، وأن البدر بعد تمكّنه من الفرار لم يجد من يقبل إيواءه من القبائل الشمالية بمن فيهم قبائل حجة الذين آووا اباه في ١٩٤٨، مما اضطره الى مواصلة الفرار الى السعودية. وقد عاد بفضل ذهبها وسلاحها الى أطراف البلاد، وأعتقد أنه لولا تدخل السعودية بذهبها وسلاحها لأمكن نجاح الثورة دون أن تحتاج الى المساعدة المصرية، ولما استمرت الحرب ثماني سنوات، ولكن الذهب والسلاح السعودي قلبا الموازين. وأسجل للتاريخ أنه لولا الوجود المصري بعد التدخّل السعودي لأمكن أن تمنى ثورة سبتمبر (أيلول) بالفشل، وان كان البعض يقول: إن التدخّل المصري كان سلاحاً ذا حدين، لأنه قد ضاعف من انزعاج السعودية

وجعلها تعتقد أن الثورة ومن ورائها مصر تستهدفها، وان القضية قضيتها ولا سيما بعد مجيء البيضاني وطرد وزيرها المفوض من صنعاء وتهديدها بضرب الرياض بالقنابل، مما جعل الملك يقسم على بيع العقال في سبيل محاربة الثورة اليمنية، يقول ذلك ولديه من مئات المليارات ما يغنيه عن بيع العقال.

بند (٥) وما تفرع عنه:

سبق أن قلت إن النظام الجديد البديل كانت صورته الأولى المتخيلة إصلاحية، ولم يكن مطروحاً تغيير النظام الملكي الى جمهوري، وانما كان الاتجاه الى إقامة نظام يتقبّله الشعب اليمني، فأعلن نظام دستوري شوروي له حكومة مسؤولة وإمام مقيّد بدستور الى غير ذلك من الإصلاحات التي يتضمنها الميثاق الوطني المقدس. وقد اقترح البعض قيام مجلس إمامة أو سيادة تكون المسئولية فيه جماعية، ولكنه لم ينجح، وهذا هو منظار ثورة ٤٨. اما ٥٥ فقد كان القائد الثلايا ومعه جميع الوطنيين يعتبرونها خطوة الى النظام الجمهوري كما أسلفنا.

(جـ) كان هناك أمل في النجاح، ولولا الأمل ما كان العمل. وأما الثقة فإن إمكانيات العمل ووسائله لا تعطيها كاملة، وإنما تشجّع على الإقدام والتضحية، وذلك واجب وطني.

(٦) جواب أسئلة أخرى:

سبق أن أشرت الى أحداث انتفاضات خولان وحاشد واللقية وزملائه، ولم يكن لي أي موقع فيها باستثناء علاقتنا بالشهيد حميد الأحمر في قاهرة حجة وما بعدها، وإثارة الروح الوطنية في نفسه والاعتزاز بها.

وهنا يقف القلم معتذراً عما قد يكون في ما سجله من تقصير أو قصور، مؤكداً أنه قد حرص على تسجيل الحقيقة وبغاية الاختصار دون تزيّد ولا ادّعاء،

تاركاً للجنة توثيق الثورة الرأي فيما تأخذه وما تدع . والله من وراء القصد .

حرر في تعز ٢٩ رمضان ١٤٠٤ هـ الموافق ١٩٨٤/٦/٢٨ م .

عبد الرحمن بن يحيى الإرياني

تجاوز الله عنه

رسالة القاضي عبد الرحمن الأرياني

الى رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني

بسم الله الرحمن الرحيم

الولد العزيز الأديب الكبير والباحث المنصف القدير الدكتور عبد العزيز المقالح حفظه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفاءً بالوعد إليكم نصّ البيعة بولاية العهد للبدر لافتاً النظر إلى أنّا صدّرناها بالأدلة على مشروعيّة ولاية العهد وهو ما يرفضه المذهب الزيدي الذي كان يتهيّب الامام أحمد مخالفته بغية تشجيعه على المضي في تنفيذ الخطّة مع اعتقادنا بأن الرسول ﷺ قد ترك الأمر شورى بين المسلمين. وقبل أن أسجّل نص البيعة أثبت قبلها ما وجدته مسجّلاً في آخرها وهو ما لم أسجله في الردود الأولى إذ كنت قد أنسيتُهُ وهو أنه بعد أنْ أمر الامام بإرسال البيعة اليه والكفّ عن العمل لتأييدها وَصَل السيف الحسن ووصل قبله مجموعة من سيّدات الأسرة يولولن ويبكين لأن الدستوريين الذين قتلوا الامام يحيى ما قصدوا إلاّ الفتنة وتمزيق الأسرة ولمّا قال لهن انه قد منعنا عن الخوض في الموضوع وأخذ البيعة ومزّقها فقال الأمير الحسن ولكنهم لا يزالون يطلقون عليه صفة ولاية العهد في كلامهم ومحرراتهم وكان السيد أحمد الشامي قد رفع قصيدة يقول فيها مخاطباً للبدر :

إذا لم تكن انت الخليفة بعده ... وفاءً وشكراً بل جزاءً محتّما
فلا نَبَضت للشعب روحٌ ولا عَلَتْ ... له رايةٌ حتى يُكَبَّ جهنّما

ومّما لا شك فيه أنّ الامام قد تأثر ببكاء النساء فقد فوجئت بمظروف معنون

يخط الامام ففتحته بعجل ووجل وإذا بي أجد فيه المحرر الذي أثبته هنا بنصّه وهو ما احتفظ به :

القاضي الوجيه حفظه الله . لاحظوا ما سبق إليكم تحريره على محرر الشامي[١] وإنّا نحذّركم من الخوض في ذلك بكل صورة واكتبوا للشامي والمجاهد[٢] الله الله فلا نريد أن نوجع أحداً ولا يُطْلَقْ اسم وليّ العهد لا خطاً ولا شفوياً اعرفوا هذا وحذروا كل من يزعم التقرب الينا بذلك فما في ذلك إلاّ الوجع الشديد عافاكم الله والسلام عليكم/ « لم يكن مؤرخاً » وقد تحيّرنا في سبب هذه اللهجة القاسية إذ لو كان الدافع هو دموع الباكيات لأمكن ارضاؤهن بمحرر أخف حدّة ولكنّه كما يبدو قد استراب في حسن نيّة القائمين بالأمر والداعين اليه . ولنأت الآن على نصّ البيعة :

بسم الله الرحمن الرحيم . والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه . وبعد فان الرسول ﷺ يقول : مَنْ لم يهتم بأمرِ المسلمين فليس منهم والله سبحانه وله الحمد والمنّة لم يترك أمر هذه الأمة هملاً ولا تركنا رسوله الأعظم ﷺ إلا على بيضاء واضحة ليلُها كنهارها ، فرسم لنا الطريق وحدّد الحدود وأوضح المعالم وجعل لكل حكم حكمةً ولكلّ امرٍ ونهي علّةً وباعثاً تدور كلها حول دَرْء المفاسد وجلب المصالح فحيث توجد المصلحة فهناك يوجد الحكم الذي تقتضيه هذه المصلحة .

وإنّ أهم ما تقتضيه المصلحة وتحثّ عليه الشريعة هو النّظر في شؤون الأمة واقرار أمرها في نصابه ليقرّ بذلك أمنها وبالتالي تقر نفوسها وتتم طمأنينتُها بوضع ما يكفل جمع كلمتها ولمّ شعثها وحفظ وحدتها وتجنيبها مهاوي الفتن ومزالق الأهواء وبواعث الاضطرابات فيُحْفَظ بذلك كيانها وتُحقن دماؤها .

ومن أجل ذلك أوجب الله على المسلمين نصب إمام عادل يلمّ شعثهم ويقيم

(١) هو السيد أحمد الشامي ، ولم أجد كتابه عند تحرير هذا ولا ما عليه الإمام ، ولا أتذكر ذلك .
(٢) المجاهد هو القاضي عبدالله الشماحي ، وكان من العاملين لولاية العهد .

حدودهم ويسد ثغورهم ويحكمهم بالعدل ويطبق فيهم شريعة كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ وقد أسند ذلك إلى العلماء، وأهل الحلّ والعقد في هذه الأمة لأنهم أعرف بالمصالح التي عليها مدار الأحكام الشرعيّة فمن اختاره أهل الحل والعقد في هذه الأمة للامامة حين يخلو الزمان من إمام قائم تعين ووجب على الأمة متابعته وبالتالي طاعته وتنفيذ أوامره في المنشط والمكره وفي كل حال من الأحوال ما لم يأمر بمعصية أو بما يخالف المصلحة . ولمّا كنا في المدّة الأخيرة قد لمسنا شيئاً من تبلبل أفكار الأمة وشيوع القلق في نفوسها من جراء ما يدور في أكثر الأوساط من حديث حول ولاية عهد الخلافة الناصرية المتوكلية الهاشمية في بلادنا العزيزة وما يبديه كثير من العقلاء والمخلصين من تخوّف على مصير البلاد فيما إذا استأثر الله بمولانا أمير المؤمنين الناصر أحمد أبن أمير المؤمنين المتوكل يحيى ابن أمير المؤمنين المنصور محمد بن يحيى حميد الدين وأمرُ الأمّة لا يزال في يد المصادفات وحبلُ أمورها ملقى على غاربها والأمّة كما نرى لا تزال مشتّتة الأهواء موزعة الولاء مختلفة النوازع لم تتحد وجهتها ولا التقت حول مثل واحد ولا اتجهت الى غاية واحدة . إنها ان كان ذلك قبل أن يوضع الأمر في نصابه جديرة في أن تدخل في دور فوضى تذكرنا بفوضى القرن الثاني عشر حيث اختلفت الأمة وتقاتلت مع نفسها وصدق عليها قول الشاعر الأندلسي :

ونفرّقوا شيعاً فكلُّ قبيلةٍ ... فيها أمير المؤمنين ومنبرُ

وأخشى ما نخشاه أن يفضي الأمر إلى الاستعانة بالأجنبي الرابض في جنوب البلاد فتفقد البلاد استقلالها أو أن تتعرض وحدتها للانقسام ورابطتها للانفصام ولا سيما والعدوّ قلنا رابض في جنوب البلاد ينتظر الفرصة ويترقب المناسبة وذوو الأغراض من الاستغلاليين والانتهازيين والطامحين يعملون جاهدين ليجعلوا من هذا الموضوع مجالاً للارتزاق وللشقاق والانشقاق .

من أجل ذلك كله رأينا نحن الواضعين اسماءنا أدنى هذا أسوةً برسول الله ﷺ في عهده لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام في « غدير خم » كما يقول أهل البيت ، وفي عهده للخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه عند من يقول ذلك من غيرهم ثم أسوةً بأول الخلفاء الراشدين أبي بكر رضي الله عنه في عهده الى الخليفة العادل

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم في عهد عمر رضي الله عنه الى واحد من ستة نفر، رأينا أن نقوم بواجبنا نحو أمتنا وبلادنا وان نهتم بأمر المسلمين لئلا نخرج عن دائرتهم بأعمالنا وتقصيرنا كما قال سيد المرسلين ﷺ - بأن نضع حداً لهذا التشيلل ونضيّق المجال على جولات الأغراض السيئة لتهدأ النفوس وتسكن القلوب وتتجنب الأمة سيل الفتنة التي يوشك أن يسوقها تشعّب الأهواء الى مهاويها فاستخرنا الله تعالى في ذلك ثم قررنا مجتمعين اختيار مولانا سيف الاسلام البدر محمد ابن أمير المؤمنين وليّاً لعهد أبيه الامام أحمد حين يستأثر الله به وبايعناه إماماً شرعياً بيعة شرعيةً تبتدي حين تنتهي البيعة التي في أعناقنا لجلالة والده الامام وشرطنا عليه العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في المنشط والمكره والعدل في حالتي السخط والرضى والأخذ للضعيف من القوي وللبعيد من القريب والرفع من شأن الأمة والعمل الجاد لصالحها وخيرها وتطورها واستشارة علمائها وصالحيها وذوي الرأي فيها في الهام من أمورها والمحافظة على استقلالها ووحدتها وسيادتها وحفظها في ذات نفسه وإخلافها في العمل على تقدّمها وتحقيق آمالها وأمانيها وتقدير ثقتها بالعمل من أجلها والسهر على مصالحها.

نَعَمْ بايعناه على ذلك وعلى السمع والطّاعة في المنشط والمكره وفي المحبوب من الامور والمكروه وفي كل حال من الأحوال وأمرٍ من الأمور إلا في امر فيه انتهاك لحرمات الله أو اقتراف لمعصية الله أو مجانبة للمصلحة العامة ، فإنّه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ولم نقصد بهذا الاختيار إلاّ إنامة الفتنة قبل يقظتها ووَأْدها في مهدها وتجنيب البلاد الفتن التي بدأت تطلّ بقرونها والتي يخافها ويتوقعها كل مطلع على التاريخ الاسلامي العام والتاريخ اليمني على وجه الخصوص، ولا قصد لنا من ورائها غير حقن الدماء وجمع كلمة المسلمين في هذا القطر العربي العزيز .

كل ذلك كان منا بعد النظر والتروي والمراجعة وبذل الجهد في حسن الاختيار مما جعلنا مقتنعين بأن سمو الأمير البدر ذا الصفحة البيضاء هو الشخصية التي يمكن أن تجتمع عليه كلمة الأمة وتسكن إليه نفوسها نظراً إلى ما له من ماضٍ ذي صفحة وضاءة ناصعة وأملاً في أنه بشبابه وتفتحه وفكره المتنوّر سَيَسِير بالبلاد إلى الأمام .

وإذا كنّا لم نأل جهداً في حسن الاختيار لامتنا وشعبنا وحكومتنا فإنّ أملنا بمولانا أمير المؤمنين أيده الله وبما تحلّى به من حرص على قرار أمر الأمة وأمنها وهو أعلم الناس بما على جلالته من المسئولية أمام الله تعالى إن هو ترك أمر الأمة لغير يعرّضها بذلك إلى ما يخافه المخلصون من فتن وانقسام وأملنا به وفقه الله أن يتوّج هذه البيعة بإقراره لها واعلانه عنها وإلا فحسبنا أنّا من جهتنا قد أدينا النصيحة الواجبة لله ولرسوله ولامام المسلمين وعامتهم وحمل جلالته المسئولية دوننا بعد إقامة الحجة عليه وهو أعرف منا بواجبه نحو بلاده وشعبه وفقه الله إلى ما فيه خير العباد والبلاد وحرر في ٧ شهر رمضان الكريم سنة ١٣٧٣ .

الفصل الثالث

إجابة القاضي عبد السلام صبره

عضو مجلس قيادة الثورة سابقاً

البطاقة الشخصية

الاسم الثلاثي : عبد السلام محمد حسن صبره .

والدي محمد حسن صبره رحمه الله ، كان موظفاً وكان سنيّ المذهب ، وقد خلف ثلاثة أبناء أنا وعلي وابراهيم وابنتين فاطمة وامة الله . وميلادي بالعاصمة صنعاء في عام ١٩١٢ والمراحل الدراسية هي كالتالي :

بدأت الدراسة في معلامة الأبهر ثم معلامة توفيق وفي المكتب في بير العزب واخيراً كانت الدراسة في مكتب الفليحي . والفرق في التسمية أن المعلامة التي يجتمع فيها الطلبة للتعليم اسم محلي والمكتب - ولو كانت التسمية عربية- لكن أول من أوجد هذا الاسم هم الأتراك ، كما أن الفرق في التعليم بين المعلامة والمكتب ان التعليم في المعلامة ينحصر في تعليم القرآن وقراءته وتعلم الخطّ ، والمكتب الشيء نفسه زائداً التجويد للقرآن وتعلم الحساب (الجمع والطرح والضرب والتقسيم) وكانت الكتابة في المعلامة على الألواح الخشبية والغضار ، والكتابة في المكاتب على البياض ، وبعد ذلك انتقلت الى جامع صنعاء حيث كان الجامع حينذاك لأداء الصلاة والعبادة ، ويضم في أجنحته شبه المدارس حين كان يجمع الكثير من العلماء ويدرّسون الطلبة معظم المناهج العلمية بحسب التخصصات ، كما كنت أتردد على جامع الفليحي للدراسة لدن المرحوم عبدالله كباس هنا وهناك . فقد تغيّبت معظم متن

الأزهار في العبادات والمعاملات ، وقرأت الكثير من شرحه ، ودرست في النحو أجرومية ابن دحلان وملحمة الأعراف وقطر بن هشام . وكان لي من تعلّم النحو قسط لا بأس به ودرست تفسير القرآن وقرأت من كتب السنة ضوء النهار وسبل السلام وقد دام التعليم في الجامع الكبير حتى وفاة والدي رحمه الله . وقد بذل والدي جهداً كبيراً في تشجيعي على التعليم وأولاني وأخي ابراهيم رحمه الله عناية كبيرة ، كما لا أنسى الاستاذ الكبير احمد حسين الطرماح المعروف حينذاك بعلمه وتوسعه وذكائه النادر . وقد أفادني كثيراً ، وكان والدي رحمه الله يحرص بعد أن أدرس شيئاً من علم الفقه أن أنهمك في دراسة السنة وخاصة مؤلفات الوزير والأمير والشوكاني والجلال والمقبلي . وكنت أسأل والدي : هل يوجد خلاف بين مؤلفات هؤلاء ، ومؤلف شرح الأزهار ؟ وكان يجيبني انه قد يوجد خلاف في بعض أشياء واتفاق في أشياء ، ولكن مؤلفات الوزير والأمير والشوكاني والجلال والمقبلي تمتاز بان مؤلفيها من المجتهدين ومن علماء العقل والنقل ، أي أنهم يعتمدون على النص الشرعي وعلى الدليل العقلي . وكان والدي مرجعا لزملائه اليمنيين ، لأنه كان يملك مكتبة تضم الكثير من الكتب في مختلف الفنون ، وكان يبحث عن أي جديد من الكتب يأتي من الخارج ،وكان أول من حصل على دائرة المعارف الافرنسية ، وكان يحفظ عدة لغات التركية والفارسية والافرنسية التي كانت سائدة ، وكان يحفظ المسند ويوكل اليه تفسيره . وقد درس على يد أحد العلماء المنفيين من الأتراك الذي بقي في اليمن أكثر من اثني عشر عاماً ، وما عاد الى بلاده الا بعد سقوط السلطان عبد الحميد . وكانت وصايا والدي لأولاده بوجوب التخلص من التقليد الأعمى والتعصب الأعمى والبحث عن الدليل . وقد توفي والدي رحمه الله في سنة ١٣٥٠ هجرية ، وانصرفت بعد وفاته الى العمل الوظيفي غير تارك للقراءة والمطالعة لما كان يوجد من الكتب وما استجد من الكتب الحديثة . وقد كان الفضل الأول للاستاذ أحمد بن أحمد المطاع والأستاذ عبدالله العزب اللذين لم يبخلا في اعطائنا ما حصلا عليه من الكتب الحديثة ، وقد كان أول عمل وظيفي عملت فيه هو الدوام لفترة في كتابة بلدية صنعاء ، ثم كاتباً رسمياً . وبعد ذلك تعينت أميناً لصندوق البلدية وأخيراً رئيساً لها ، إضافة الى وكالة عمالة صنعاء .

وخلال مدة العمل الوظيفي كنت مرتبطاً بزملاء شرفاء ، امثال الحاج محمد علوي والشيخ حسن الدعيس والأستاذ احمد بن أحمد المطاع ، وكثير غيرهم من أمثالهم المرتبطين بالقضية الوطنية الكبرى أكبر من ارتباطهم بأي عمل وظيفي أو شخصي ، لأنهم كانوا صادقين في ولائهم للوطن وتحريره من الظلم والاستبداد ومن القهر والاستعباد . وقد مررت معهم في سجون الإمام يحيى في سنة ٤٤ وفي سجون ابنه الامام أحمد من بعده في ٤٨ الى ٥٥ . والجدير بالذكر ذلك الدور العظيم والكبير الذي كانت تقوم به أختي الكبيرة فاطمة محمد صبرة رحمها الله ، كذا زوجتي أم أولادي فاطمة علي الأكوع ، التي بذلت جهداً كبيراً في الوفاء معي ومع أولادي طيلة أيام السجن . ولا أبالغ اذا قلت إن أختي فاطمة قد شاركتني في كل هموم الحياة العائلية منها والوطنية،وكذا أخي المرحوم علي محمد صبره رحمه الله . فقد قام بدور كبير في المتابعة والمساعدة ، وكان يحمل من العاطفة وكرم النفس ما كان يسعد به ، في ما يقدمه للأسرة وقت الضيق قبل السجن ، وفي أيام السجن رغم ما يعيشه من القناعة والكفاف . وبعد خروجنا من سجن حجة سنة ٥٥ ، قامت ثورة الثلايا وليس لنا من شغل شاغل غير القيام بالواجب الوطني الذي نعتبره أمانة كبرى في أعناقنا لا نبرأ من حملها حتى يتم النجاح ويقضى على الظلم والظالمين أو يكون الموت الذي هو خير من حياة فيها الظلم والذل والتسلط والاستبداد . والحمد لله فقد تكللت جهود وجهاد ونضال اليمنيين وتضحياتهم بالنجاح العظيم . وفي ما أذكره أنه بعد قيام ثورة سبتمبر الختامية كنت أقبل من المناصب ما أؤمر به من أجل تدعيم الثورة وتعميقها ، حيث كنت عضواً في مجلس قيادة الثورة ثم عضواً في مجلس الرئاسة فعضواً في المكتب السياسي ، كما شغلت منصب وزير شئون القبائل ووزير الأوقاف في وقت واحد . بعد ذلك كنت رئيساً للمجلس الأعلى للمتابعة هو البديل عن مجلس الشورى . وفي الأخير كنت نائباً لرئيس الوزراء للشئون الداخلية ، ثم إنني فوجئت بهذا المرض ولله الحمد الذي لا يحمد على مكروه سواه والذي جمدني حينذاك وأبعدني عن مزاولة العمل . ورغم مرضي ، كنت أعيش حالة الثورة وهمومها ، وأتابع سيرها والاستمرار ، وصحتي بعد المفاجأة المرضية كانت وما تزال أحسن حالاً ، ولم يمنعني ما بقي من آثار المرض من القراءة

والرياضة والتفكير من أجل صالح البلد وتبادل الزيارة مع الأقارب والأصدقاء وكل المعروفين على كل المستويات ، وكانت أمنيتي الوحيدة تحقيق مبادىء وأهداف ثورة سبتمبر (أيلول) الخاتمة لثورة الشعب والظافرة والخالدة ، وذلك عن طريق القول والعمل والسلوك حتى يشكل الاستقرار ربوع اليمن وينشر التعليم في كل أراضيها ويقضي على الثالوث الرهيب وعلى الفرقة بكل مسمياتها البغيضة ، ويسود الشعب المحبة والحرية ويصبح الموظفون متساوين في الحقوق وفي الواجبات .

هذا وعندي من الأولاد سبعة أحدهم عبدالله صبره الذي ولد وترعرع في الوطنية ولفحته المتاعب من أجل الوطنية وما زال يعيشها فكرا وسلوكاً ، إضافة إلى ما يحمل من المحبة والوفاء لآبائه وأمهاته وأخواته وأصدقائه ومن يسير في درب النضال . وكذا ست بنات أخوات لعبدالله من الأبوين . أما الأحفاد من أولاد الابن والبنات فالعدد كثير ، وإن أحسن ما أتمنى لهم أو أترك لهم من توصية ونصح أن ينعموا بالعافية والعلم والآداب وان يكونوا مثالا لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما . اللهم أحسن عاقبتنا وخاتمتنا في الأمور كلها وأجِرْنا يا الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة انك سميع مجيب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . اللهم احفظ بلادنا من شر أعدائها وحقّق خيرها وسعادتها على أيدي أبنائها ، إنك سميع مجيب .

* * *

بعد دخول الإمام يحيى الى صنعاء وبعد الانتصار على الأتراك بجهود وتضحيات يمنية وقد رافق الجهد والتضحية ، تأهّب الأتراك للرحيل القسري من اليمن . وما أن أقام بصنعاء حتى حصر همومه في الجشع والعمل بالدجل والشعوذة وقمع الشرفاء والمصلحين والناصحين الصادقين، واعتبر ان الحكم لا

يقوم ولا يدوم الا بذلك . وما ان استولى بعد دخوله على صنعاء حتى اعتبر أن كل ما تركه الأتراك من عتاد ومال ومعمور هو ملك شخصي له وليس للشعب . وقد كان جشعه يحد من نظرته ويصرفه عما يجب للشعب كشعب فسح في بشره وارضه وبره وبحره ويعتبر ان كل ما امتدت اليه يده من البشر والأرض والجباية هي ملك شخصي له أيضاً ، يتصرف بها كيف يشاء. ولم يفكر في وحدة اليمن الطبيعية بعد تأهب الأتراك للرحيل ، على أن الأتراك كرروا دعواتهم له للاستيلاء على الشطر الجنوبي ولن يعارض الحليف البريطاني على استيلاء الإمام على بقية الأرض اليمنية ، وما كان لبريطانيا من همّ غير الاستيلاء على البحر الأحمر ولكنه ترك الشطر الجنوبي للمستعمر البريطاني ، فاستولى عليه واستعمره وسماه مسميات غربية مطابقة لسياسته الاستعمارية . فهذه الجريمة وحدها ، والتي مزقت الشعب ، هي أكبر جريمة على ظهر البسيطة، صنعها الامام يحيى . وكان يجهل جغرافية اليمن إما جهلاً أساسياً أو تجاهلاً مقصوداً لأكثرية مساحة الشعب فلا يعرف من أرضية الشعب الا من الأهنوم الى صنعاء ، ومعظم الألوية اليمنية لا يعرف من مساحتها ومناخها وعدد سكانها الا ما يسمعه من الموظفين أو من المواطنين . وكثير من الناس من يقول على إنه تجاهل مقصود . اما الجباية فإنه كان عالماً بصغارها وكبارها ولا تفوته منها شاردة ولا واردة . وفي ما يروى عن جهله للمناطق اليمنية أنه لم يصل أو يعرف لواء تهامة أو لواء تعز أو لواء البيضاء أو الكثير من لواء صنعاء، وأنه لم يخرج من صنعاء الى الجهة الجنوبية حيث وصل الى حمام (دمت) التابع للواء إب الذي كان الأمير عليه ابنه الحسن الا مرة واحدة . أدهشه المنظر الذي شاهده في خبان وفي عمار وفي دمت ، فقد شاهد على الطبيعة السوائل ممتلئة بالمياه والغيول متدفقة باستمرار في أكثر من جهة ، والخضرة تغطي السهل والجبل . ومنذ احسّ بهذا الجمال في الوجود أرضاً وبشراً استنكر وتأوّه وقال لبعض أولاده ومرافقيه ما عرفنا ما مع الناس إلا اليوم ، فأجابوا هناك في لواء إب ولواء تعز أوسع وأكثر جمالاً ، فقال الله يريح الأولاد .

ومنذ دخوله صنعاء عمل كل ما في وسعه للتخلّص من العلماء والوجهاء

والمشايخ الذين كانوا يحاربون الأتراك قبل أوان الرحيل وبالأساليب التي يحبكها إما بالإبعاد أو بتشويه السمعة أو بالوشاية والدس . أما الناصحون من العلماء والوجهاء الذين كانوا يجهرون بالنصح أمثال كبير العلماء القاضي محمد جغمان والردمي من كبار قضاة بني مطر وكحيل من كبار مشايخ الحيمة والرماح من كبار المشايخ بني مطر وعدد كبير من الوجهاء لم أعرف أسماءهم - وكان نصيب هؤلاء المجاهرين بالنصح الصادق القتل، فمنهم من أرسله الى وشحه والأهنوم كجغمان والردمي وكحيل وغيرهم وقتلهم هناك ، ومنهم من قتله في مناطق مختلفة. وأما الرماح وغيره ففي صنعاء. وكان ذنبهم النصيحة للإمام بأن يقوم بالعدل والإحسان الى الناس وبناء الدولة ، فلا يقال إن الأتراك تركوا اليمن ولا يعرف اليمنيون كيف يحكمون ، ولكنه اعتبر النصح تحدياً له، فلم يتردّد في قتلهم جميعاً. وقد استنكر الناس وضجّوا، فحاول بدجله وكذبه أن يغطي جريمة القتل بالدعاية ضدهم من أنهم مع الأتراك وأنهم بايعوا خليفة آل عثمان ورفضوا مبايعته بحجة أن عليهم عهداً لمبايعة خليفة آل عثمان. وقد استنكر كل القادة الذين قاتلوا الأتراك وقالوا إن هؤلاء المقتولين من العلماء والوجهاء والمشايخ هم الأولون في الصفوف لقتال الأتراك . وكانوا يقاتلون بصدق وعقيدة وأن دعاية الولاء والبيعة للأتراك هي تغطية لجريمة القتل. وكان في مقدمة هؤلاء المستنكرين سيف الاسلام أحمد بن قاسم حميدالدين. وقد كان موقف أحمد بن قاسم أول بذرة للخلاف فيما بينه وبين الإمام يحيى ، وقد استغل يحيى الخلاف لإيذاء أحمد بن قاسم ، مع هذا فجريمة القتل حينذاك قد هزّته ، وبقي صوت الجريمة مدوياً وقتاً طويلاً ، وعرف الناس أن الإمام يحيى شخص دموي غدار سجّان يعتبر القتل أمراً مأنوساً ، لأن الشعب في نظره قطيع من الغنم ليس لآدميته كرامة ولا حق من حقوق الحياة التي يتمتع بها الإنسان في المعمورة . وقد بدا الاستياء بل بدأ التصدي لأحكامه الفردية القاسية وقتله للناس بالجملة والغدر الى بيوتهم لنفسها وقتل من يعيش فيها. وقضايا الغدر وقتل الأشخاص وقد وزّعها إلى أكثر من منطقة وقرية ، وكان التصدّي من مجموعة من الشعب ممثلة في أبطال همدان الذين أطلقوا النار من أفواه بنادقهم على قصره . والسبب في

إطلاق النار من شجعان همدان أن مجموعة كبيرة وفي مقدمتهم الشيخ علي مطلق قد وصلوا إليه طارحين عليه بعض قضاياهم ولكنه سخر منهم وقال لعلي مطلق من فعلك شيخاً ؟ فأجابه الذي فعلك إماماً .

هذا وقد أخافه وأقضّ مضجعه إطلاق النار عليه الى قصره وهزّ من مكانته ، فأرسل الجيش الموجود معه في صنعاء الى همدان ليس على محلات الذين اطلقوا النار أو الواصلين الى صنعاء فحسب ، بل على همدان كاملة لشيء في نفسه . وقد بقي الجيش الذي حططه على همدان كاملة فترة طويلة أراد من هذا الحرب النفسية والمادية على القبيلة وإخافة الأخرين . وقد زج بالكثير من همدان في السجون ومكثوا سنين عديدة . اما الشيخان علي مطلق وعلي الجائفي فقد بقيا حتى مضى اثنا عشر عاماً .

وبعد هذا التصرف الظالم الغشوم ، أحيا من جديد قضية الرهائن وزادها توسعاً اكثر مما شرع وبدع في القضية ، حتى عمم الرهائن على معظم اليمن بحيث أن اليمنيين في الشطر الجنوبي فضّلوا الاستعمار على حكم الإمام الذي شرع رهن الأب أو الابن أو الأخ وأخذه من بين أسرته الى السجون البعيدة عن اهله وزجّه في السجن ليعيش في الظلام والكآبة ويقتات من العيش أرداه، ويظل الخوف والحنين متبادلاً بين الأسرة والرهينة طيلة أعوام الرهن، ويكن الخوف والحنين على الصغار اكثر وهكذا استمر وما يزال يواصل المشاكل ويخيف الناس ويحمي نفسه بالانتقام ومع كل هذا كان يلقى الردود والضربات تلو الضربات منذ أحيا وعمّم فكرة الرهائن .

بعد إطلاق النار ، تكوّنت مجموعة كبيرة من العلماء والوجهاء والأعيان من لوائي تعز وإب ومناطق متعددة تطالبه بالإصلاح وتحسين أوضاع اليمن ، ولكن الامام يحيى بجموده وغروره واستعلائه يستنكر المطالبة الطبيعية ويعتبرها إساءة أدب اليه وكيف يجيء النصح من العبيد الى المولى ومن المسود الى السيد ، ومن الرعية الى الامام، فزج بالكثير من المواطنين في السجون أمثال الشيخ عبد الوهاب نعمان ومن بيت قاسم ومن بيت حمود عبد الرب ومن بيت باشا

وكثير وكثير منهم من أوصلوهم القلعة بصنعاء ، ومنهم من أبقوهم في سجون تعز وإب ، وقد مكثوا في السجون سنين عديدة عاش منهم من عاش ومات منهم من مات وما عمله ويعمله لا رحمة فيه ولا رجوع الى الضمير .

وأهم من كل هذا أنه كان يعرف أن الناس العارفين يستنكرون عليه اذ جعل الشعب اجيرا يدفع الجباية له وجيشاً يضرب بعضه البعض الآخر ويعيش التخلف بكل أشكاله . والمصلحون يطلبون أن يكون الشعب له حقوق وعليه واجبات ، وأن يظل سيداً في أرضه يحكم بالشورى والعدل الاجتماعي وتكون له قوة من أبنائه تحْميه وتحمي سيادته،ولكن كبرياء الإمام يحيى وعناده والنفاق المخدوعين من السذج والمقلدين حوله جعلته يستهين بالتجمعات النضالية ويعبث بتصرفاته ، مؤملاً أنه سيقضي على التجمعات والمقاومة الوطنية ويرميها في غياهب السجون . ولكن من رمى بهم في السجون أو من امتهنهم أو من بطش بهم بالخطاط والتنافيذ كانوا جميعاً أشد قوة واكثر تصميماً ، فالحق والعدل الى جانبهم ويحيى على العكس من ذلك ، ولهذا فقد شهد تمردات ما كان يتوقعها . فقد تمرّد الزبجي من بني قيس في حجة ، كما تمرّد امير لواء حجة يحيى شبيان ، وتمردت حاشد بقيادة ناصر بن ناصر الأحمر ، وتمردت المناطق الشرقية كالبيضاء ومراد والجوف وآل عواض برئاسة كل من الشيخ علي ناصر القردعي والحميقاني والعواضي واليعني ويوسف المؤيد في الجوف ، كما تمردت قبيلة الزرانيق تلك المنطقة الواسعة والقبيلة الشجاعة . ولعل نحاسة الامام يحيى وسوء تدبيره أدخله في فتن وحروب وقتل داخل هذه المناطق لمدة طويلة ، ومراده من هذا التصرّف الأهوج الذي أربكه وأربك الشعب أن يطبع الشعب على الإذلال وعلى الطاعة العمياء والتخلف الرهيب ، ومثل هذا سياسته فاشلة وأمل لا يتحقق ، قرب الوقت أو بعد .

بعد سنة ١٣٥٥ هـ كان مسجد الجديد في صنعاء هو الذي يجتمع فيه الأحرار الأولون أمثال المحلوى والدعيس وأولاد المطاع والعزب وعلي الشماحي والعزى صالح السنيدار وغيرهم . وكان يدار في الاجتماع المذاكرة العامية والنقاش والنقد العلمي والندوات الدينية المستمدة من الكتاب والسنة



وخاصة بين المغرب والعشاء . وبطبيعة الحال كان يناقش تعاليم الإسلام الصحيح الذي فيه تكريم الإنسان وإسعاده والتنديد بظلم الانسان وإذلاله واستثمار فئة بالأموال وحرمان فئات من المال ومقت الاحتكار الخاص الذي لا ينفق في مصلحة أسرة المحتكر ولا في مصلحة خارج الأسرة ولا على أوجه البرّ ، وأن الأفضل من الاحتكار هو الإنفاق على النفس ومن يقرب ثم من يبعد ، كما جاء في الحديث : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول . اما المال العام الذي يدفعه المسلمون الى خزينة الدولة فيجب ان يكون صرفه على المحتاجين وعلى التعليم وعلى معالجة المرضى وما يعود بالخير على الأمة مادياً ومعنوياً ، وان استلام الواجبات واستبقاءها بالقوة باسم الاسلام واحتكار المتسلط عليها شخصياً ليس من الإسلام والانسانية في شيء . وكانت المذاكرة تشمل كثيراً من الجوانب ، وما من جانب ديني أو دنيوي الا والاسلام يقرّ ما فيه الخير والمصلحة للجميع ، كما أنه يدعو الى المحبة وجمع الشمل والى نبذ الفرقة والتعالي واعتبار الناس على اختلاف الوانهم ولغاتهم وانسابهم سواسية كأسنان المشط ، متساوين في الحقوق والواجبات . وكانوا في ندواتهم يحثّون على قراءة القرآن والأحاديث الصحيحة لما فيها من تعاليم وتأليف بين الناس وأخلاق ورحمة فيها الكفاية والبعد عن الشعوذة والغش والدس السياسي المصلحي . وكان من أهم ما يطرحونه تعليم وتوعية العامة ، فالجهل عدوّ من اعداء الله وأعداء العلم والعلماء والمفكرين . ففي كثير من الأحيان يصبح العامة عصباً في أيدي الظالمين والجشعين والمستغلين يضربون بها المفكّرين والمتعلّمين ومن يريدون نشر الخير بكل أسمائه وأوصافه .

ولم تكن هناك ندوة أو مذاكرة تدار كؤوسها إلا والامام يحيى يرسل اليها من عيونه أو معتمديه من يحضر ليسمع ما يدور . وأذكر أن واحداً من كبار المعتمدين لدى الامام يحيى ، هو الحاج حمود المحفدي ، قال لي في مسجد الجديد : يا عبد السلام والدك صاحبي ، ولن أرضى لك أن تخرج عن عادة آبائك واجدادك ، فقلت له : أنا لا أخرج عما عليه الآباء اذا كان موافقاً لكتاب الله والسنة . فقال : ما رأيك في الرفع والضمّ والتأمين بعد الفاتحة في الصلاة ؟

فقلت له : أعرف يقيناً ان والدي كان يضم ويرفع ويؤمن طيلة حياتي معه ، وكان أكبر ما يحثني عليه التمسك بالكتاب والسنّة ويردّد علي حديث « إني تركت فيكم ما ان تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، كتاب الله وسنتي » وكان يقول لو تمسَّك الناس بالكتاب والسنة الصحيحة ما ظهر على ظهر الأرض من خرافات وتضليل وفتن ، فقال الحاج حمود المحفدي : نصيحتي لك بأن هذا ليس من صالحك ولا من صالح غيرك ، ما دام مذهب الامام يحيى يختار السربلة وعدم التأمين ، وقد شكرته وأقنعته بأنني مقتنع بسنّة الرفع والضم والتأمين .

إن مثل هذا التجمّع في مسجد الجديد قد أزعج الامام يحيى لما فيه من التعليم والتنبيه والنقد للاوضاع ، ولم يبق أمام الإمام يحيى من حل غير اعتقال هذه المجموعة من المصلحين . وفعلاً فقد تمّ اعتقال عبدالله العزب وعلي الشماحي واحمد المطاع واخيه محمد والعزي صالح السنيدار ، وفي المقدمة الحاج محمد المحلوى في سجن القلعة ، ارضاءً لغروره الأسود المتحجّر وطمساً للبرنامج الذي لو دام حينذاك لكانت ثمراته واسعة واستفاد منها الكثير . وقد مكثوا في سجن القلعة سبعة عشر شهراً ، وقد استنكر الناس أن يسجن الإمام مثل هؤلاء العلماء المعروفين بالصلاح والمطالبين بالإصلاح . ولما لمس الإمام استنكار واستغراب الناس لسجن هذه المجموعة الفاضلة أنزل تلك الدعاية المضحكة والمؤلمة في وقت واحد ، وتلك الدعاية هي أن السجناء قد اختصروا القرآن فاستطاع ان يسكت الكثير من الجهلة وعامة الناس ، ولكنهم لم يسكتوا على مثل هذه الدعاية فقط بل صدقوها وتحولوا الى أعداء لهؤلاء المسجونين المصلحين مطالبين بانزال العقوبة بهم ، ومن المؤسف أن تنطلي مثل هذه الأفكار المختزنة للجهل على الناس على أنه لو فرض جدلا واختصرت أي مجموعة حرفا واحدا أو كلمة واحدة من القرآن لقامت الدنيا وقعدت ، فكيف بصنعاء في عهد الإمام يحيى ويختصر من القرآن عدة اجزاء ؟ لقد نسي المضلل والمضلل بهم الآية الكريمة﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ومن هنا نقول الحمدلله أن الثورات قد قضت على الدجل والغفول، وقد صقلت العقول وتسلّح الناس بالفهم . وبعد سنة ١٣٥٥ هـ ، وعمري لا يتجاوز العشرين

عاماً ، كنت أحضر الندوات في مسجد الجديد ، وقد أعجبت بالاتجاه والنصح الصادق من مجموعة فاضلة صالحة مصلحة فأصبحت رسولا بعد اعتقالهم وواسطة بينهم وبين من كانت تربطهم بهم صداقة خاصة أو تفاهم حول القضية العامة ، ومن هؤلاء عامل صنعاء حسين عبد القادر وابنه الشهيد محمد حسين عبد القادر والقاضي محمد راغب التركي الجنسية والمستشار الخاص للامام يحيى في الشئون الخارجية وصهر ولدي الإمام القاسم واحمد وعبدالله بن علي الوزير وآخرين . وكان هؤلاء يشاركون المعتقلين المأساة وقد بذلوا جهداً دؤوباً في المطالبة باطلاقهم ولم ينجحوا الا بعد سبعة عشر شهراً . وكان أكبر الدور في النجاح للقاضي محمد راغب رحمه الله والذي اظهر حماساً منقطع النظير ، وأذكر أنه في ليلة من ليالي رمضان وأنا بالمقام في مكان الكتاب الذي يراسهم فيه القاضي عبدالله العمري سمعنا من مكان الإمام القريب من مكان القاضي عبدالله العمري صوت الامام وهو يصيح بأعلى صوته هؤلاء الذين ربّيناهم وأحسنّا اليهم يطالبون الإمام بما لا يرضى به الدين وينتقدون الإمام على عدم فتح الأبواب المغلقة في وجوه الأجانب . وعندما سمعت بأذني كلام الامام قلت في نفسي الحقيقة ان السجناء لن يطالبوا شيئاً غير انقاذ الناس من الظلم الذي كاد أن يهلك الحرث والنسل ويشكون من حرمان الشعب من كل شيء .

وأذكر أنني في هذه الليلة ، ليلة العراك بين القاضي محمد راغب والامام ، وجدت القاضي راغب وهو منصرف من باب غرفة الامام يحيى فأبلغته سلام المعتقلين ورجوته الاّ ينساهم ، فأخذ بيدي وقال : لقد فرغت الآن من الكلام عنهم ولن اقصر وأبلغهم تحياتي . وفي أثناء المراجعة تعرّض الحاج محمد المحلوى لمرض في السجن ولما اشتد به المرض أخبرت القاضي محمد راغب وحسين عبد القادر بالمراجعة له وخروجه الى المستشفى ولو تحت الرقابة . وقد ألحّا بالمطالبة لنقله ولكن يحيى رفض وقال إنه كبير الأشرار . وقد وصل الى الإمام مدير حبس القلعة الحاج محمد صدقة وأخبره أن المحلوي « بانق » أي بلفظ النفس الأخير وطلب خروجه الى المستشفى ليموت فوافق على إخراجه الى المستشفى تحت الرقابة . وفي اليوم التالي لخروجه انتقل الى جوار ربه

رحمه الله ، فحزن زملاؤه على وفاته حزناً عظيماً وخسرت القضية الوطنية علماً من أعلامها الكبار .

وبعد ذلك خرج المعتقلون من سجن القلعة ولم يتمكنوا من مقابلة الامام الا بعد فترة . وقد أصدر الإمام أوامره بتعيين احمد المطاع عضواً في لجنة التأليف وتعيين محمد المطاع في وزارة المعارف وتعيين علي الشماحي عاملاً في وصاب وتعيين عبدالله العزب في حيس .

وأنبّه هنا الى أن حضوري عند اجتماعهم في مسجد الجديد واجتماعي بهم في سجن القلعة ومواصلتي بمن يرتبط بهم بالأخبار الخاصة والعامة والمراجعة لهم والدفاع عنهم كان مني عن قناعة والتزاماً بالمبدأ الوطني . ويعتبر أول تاريخ للبداية أو بدء الحلقة لمشاركتي وللالتحاق بالقضية الوطنية التي أعتبرها فرضاً وواجباً مقدساً .

وفي الأربعينات نفسها ، وبعد مضي سنوات على وفاة المحلوى وتفريق بقية زملائه في التوظيف ظلت فكرة الاصلاح قائمة ومن جديد ، فقد أحيا جذوتها مجموعة ثانية ملتقية بالأولى في التسمية وفي الهدف والمبدأ أمثال الزبيري ومحمد قاسم أبو طالب ومحمد الخالدي ومحيي الدين العنسي وكل زملائه الذين عادوا من العراق بعد اكمالهم للدراسة . والجميع يعرفون عن الامام يحيى كامل المعرفة عن استبداده وتحجّره وجموده وتعاليه وليس له من سبيل غير تجويع الشعب وتجهيله وإبقائه في وضعه المزري . فمن احب أن يعيش على الوضع المفروض فليبق ، ومن أراد الهجرة فليهاجر . فإن الإمام غير مبالٍ بالموجودين ولا بالغائبين . لهذا فقد بدأت الجمعية بتناسي صوره وأوصافه المشينة وارادت أن تزاول أعمال الاصلاح بالحكمة والعقل والحديث عساه يتراجع عن عناده وينزل من كبريائه فبدأت تذكره بالرسائل وبالخطابة من المنابر في الجوامع وفي المناسبات السانحة عساه يخفف من الظلم والجباية ويعمل على تنظيم الادارة ونشر العلم واقامة المصحات في عهده ولكنه استنفر عن ذلك منذ أن بلغه واشمأز وتوعد فخاب أمل المصلحين فيما اضطرهم في المرحلة

الثانية الى مواجهته وتوضيح حكمه المستبد الذي قد تداركه الحكام في بعض الشعوب العربية والاسلامية ولم يبق غير الشعب اليمني ، وقد كانت المواجهة للإمام بالأقوال البليغة شعراً ونثراً وكانوا يتكلمون في المدارس ويخطبون في المساجد ويتحدثون في جلسات الاجتماع .

ضاق الإمام بهم ذرعاً ، وكعادته لم يكن له من حل غير السجون . وفعلا فقد نفى الزبيري وأبو طالب والخالدي الى سجون وشحه والأهنوم في المناطق الشمالية ، وزج بمحيي الدين وكل زملائه في سجن القلعة بصنعاء . والغريب أن مثل هذا التصرف القاسي من تغريب وسجن وامتهان مجموعة ونفيهم من بيوتهم وسجن مجموعة كبيرة لم يخفف من حقده بل قد أمر وطلب من رئيس الاستئناف ، وكان حين ذاك العلامة زيد بن علي الديلمي رحمه الله ، ان يحاكمهم جميعاً غيابياً ويعتبرهم مارقين وحكمهم حكم المفسدين . ولكن زيد ابن علي الديلمي تبرم في المحاكمة غيابياً وهم موجودون في السجون وقال الديلمي مع ذلك ان فيهم العلماء والصفوة وقد خفف موقف الديلمي من حقد يحيى الأسود واكتفى وفي النفس ما فيها بالنفي والسجون .

وفي أوائل ١٩٤٤ كنت واحداً من المعتقلين الذين اعتقلهم الامام يحيى في صنعاء ، وقد اختار يحيى الى جانبي أولاد السياغي الأخ محمد وأخويه الشهيدين يحيى وحمود واسماعيل الأكوع والشيخ حازم الحروي ، كما اختار أن نكون نحن الستة في سلسلة كبيرة تربط الجميع وعلى كل رقبة طوق حديد مع القفل الكبير ، وفرض علينا السفر مشياً على الأقدام الى تعز ، وبدأنا السفر المرحلة بعد المرحلة حتى تفطرت أقدامنا وغضب لوضعنا في السلسلة والسفر الشاق بعض السائقين لنا والمحافظين علينا ، وكانوا يتمنون ان يخففوا عنا نوعا من العذاب لولا الأوامر المشددة والخوف من الإمام . وقد كرروا هذا الكلام أكثر من مرة ، ولا أنسى انه بقدر ما أعطانا الله من الإيمان والثبات فقد كان عندنا من اليقين بأن هذا التصرف الظالم لا بد أن يكون له الجزاء بمثل الفعل ، إن لم يكن أشد منه . وقد واصلنا المسيرة بصبر ونفوسنا مرتاحة .

وكان الشهيد حسين الكبسي العالم الورع ، والذي كان يحترق ألماً أمام ما يشاهد من طغيان الإمام يحيى وأولاده قد تقدم بعد عودته من اليابان بتقرير عن رحلته قدمه للامام يحيى وفيه بعض ما شاهده . وقال في آخره « ما أحوجنا الى ان نبدأ بمشروع زراعي أو صناعي يعود نفعه على الدولة وعلى الشعب » وان الامام يحيى في اليوم التالي قد التقى بوزير خارجيته القاضي راغب وبعامل صنعاء حسين عبدالقادر وقال لهما متهكماً «الولد حسين الكبسي قد صار مرتداً انه يريد أن نفعل في بلادنا مثلما يفعل النصارى في بلادهم»!!!

ومن أهم الشخصيات المعارضة المناضل ذو العقلية الناضجة واللسان الفصيح الفيلسوف الشيخ حسن الدعيس رحمه الله ،والذي لو سردت ما حفظت عنه في السجن وخارجه من نقد ونكت وقصص وتحليل علمي للكثير من القضايا العامة والخاصة لأطلت في التسطير وغطيت كثيراً من الصفحات .. ولكني سأكتفي بسرد بعض المواقف للمناضل الدعيس .

ـ الموقف الأول مع الحسن بن الامام يحيى وهو امير على لواء إب قبل أحداث سنة ٤٤ .

ـ الموقف الثاني مع ولي العهد احمد امير لواء تعز عقب الاعتقالات في سنة ٤٤ .

ـ الموقف الثالث مع الامام يحيى بعد خروجه من سجن حجة .

ـ الموقف الأول في فترة ما قبل سنة ٤٤ . فقد كان الشيخ المناضل حسن الدعيس يهاجم امير لواء اب الحسن بن الامام يحيى على تصرفاته الظالمة والقاسية والمثيرة وتوزيع الزكاة الى صبر على كل قرية من لواء اب وتوزيع المخامنه والطواف على كل قرية من لواء اب أيضا ، وقد كان الدعيس يقدر ما يهاجم الحسن لسوء تصرفاته التي ضاق منها الصغير والكبير والذكر والأنثى فقد كان يستمنح الرفق للمواطنين من الامام يحيى مما اضطر الامام أن يأمر ابنه الحسن بصرف مئة ريال شهريا للدعيس ، مقصده من ذلك أن المهاجمة من الدعيس قد تكون من أجل المصلحة الشخصية وان الدعيس بعد صرف المئة الريال شهرياً سيوقف المهاجمة والانتقادات التي تقلق الامام وابنه الحسن .

وكان مبلغ المائة ريال حين ذاك يعتبر ضخماً.وقد انفرد به الدعيس دون الآخرين ، ولكن المناظر الظالمة والمؤذية جعلت الدعيس يستمر في تظلّمه ونقده مما دفع الحسن بن يحيى الى مخاطبته بقوله : لماذا نعطيك المئة الريال كل شهر ؟ فأجاب الدعيس : في مقابل أن أسكت على ما نشاهد من المآسي والمظالم ولكن ايماننا بالواجب وكراهيتنا للظلم لم يسمح لنا بالسكوت .

ـ الموقف الثاني عندما قبضوا على الكثير من الأحرار في صنعاء وإب وتعز وغيرها وقد سيق سجناء صنعاء الى مدينة اب حيث ضموا اليها السجناء الموجودين فيها ثم ساقوا الجميع الى تعز ، منهم من كان تحت السلاسل والأغلال ، ومنهم المتجردون ، والجميع صحبة المحافظين والعسكر . وقد وصل الجميع الى تعز ومنهم الشيخ حسن الدعيس ، وبعد وصولنا طلب ولي العهد احمد يحيى حميد الدين الدعيس وقد جابه الدعيس ولي العهد احمد بما جاء في الحديث الشريف القائل :(لا تتمارضوا فتمرضوا فتموتوا» قائلاً له انت صحيح وسليم وهؤلاء السجناء هم من خير الناس ، قاصداً بذلك كل المعتقلين من صنعاء وإب وتعز وغيرها وكلهم يطلبون الخير للجميع .

ومن الذكريات التي تخطر على الباب أننا وصلنا الى معبر والتقينا بمحسن قلالة الذي أرسله مأمور برق معبر رحمه الله والذي أبدى استعداده لقبول أية برقية للامام يحيى ، فكتبنا له كلمة فيها الاستعطاف والعتاب وإننا مظلومون من أجل كلمة الحق وفي سبيل اصلاح الشعب . ولهذا اذكر أننا قضينا أكثر الطريق سفراً ونحن نردد ما كنا نحفظه من الأناشيد الوطنية والحماسية ، ونردد ما نحفظه من القصص حتى قال البعض من المحافظين والله إنكم بهذه « الزقعة » أي الفرحة تخففون علينا من تعب السفر الذي نشاركم فيه . وهذا رأي البعض لأن البعض الآخر كانوا يمارسون الغلظة والبعد عن الأخلاق والآداب . فرد علينا « الى صبره ورفاقه ما كان أغناكم عن ما ساقكم الشيطان اليه من إنكار نعمة اليمن التي لا يوجد مثلها تحت أديم السماء وما تريدون ومن الذين تريدون، ومع ذلك فقد أمرنا موتر عسلان تركبون عليه من معبر إلى يريم » ومن يريم واصلنا السفر مشياً على الأقدام حاملين السلاسل والأغلال حتى وصلنا إلى إب حيث أمر الحسن بن يحيى

حال وصولنا أن نشمس بسلاسلنا والأغلال ليرانا الناس في لواء إب ويخوفهم ما وقع فينا ، لأنه كان أميراً على لواء إب . وقد بقينا في إب قرابة خمسة أيام حيث دعانا الحسن ليلاً الى مقامه وهددنا قائلاً ما ينجيكم من الضرب والتعذيب إلا إذا اعترفتم وقلتم لنا من هو رئيس النهضة ، فنفينا أن نكون عارفين بذلك ، وقلنا له ليس هناك نهضة فقال لا بد لكم من ذلك أو العصا ، فأجابه المرحوم الشهيد الأخ محمود احمد السياغي « والله لو كان معاك عصى من نار ما نخافك ولكنا نخاف الله » ! فضاق بنا لتوه وأمر بإرجاعنا إلى السجن .

وفي اليوم التالي واصلنا السفر على أقدامنا حاملين السلاسل والأغلال ، ولم يسمح لنا بالركوب على سيارة الا من القاعدة . فقد وصلت سيارات نقل كبيرة نقلتنا من القاعدة إلى تعز حيث انزلونا أمام قصر أحمد ولي العهد بالعرضي ، ليستعرضنا احمد بحقده المعروف ، ثم وزعونا ، فمنا من بقي بحبس العرضي ومنا من نقلوه الى السجن المسمى دار الناصر ، وانا واحد منهم . ولا انسى ان القاضي عبدالرحمن الإرياني والشيخ حسن الدعيس وعبداللطيف بن قائد بن راجح والشيخ حسن البعداني قد كانوا من المعتقلين المسافرين معنا من اب الى تعز ، كما أذكر أننا التقينا في سجن دار الناصر بالشيخ الوقور محمد أحمد نعمان والشيخ علي محمد نعمان والشيخ عبدالرحمن احمد والشيخ امين عبد الواسع . وفي فترة بقائنا التي لا تزيد على عشرة أيام أو أكثر وجدت النكت المضحكة ، وكنا نتسلى ونضحك بأعلى أصواتنا ، وكأننا في عرس ، ورغم اجتماعنا في غرفة واحدة ضيّقة لا يسمح لنا أن نخرج منها الا الى الحمام . وكان ينقل الى ولي العهد ما كنا نمارسه من التنكيت والمرح .

وفي ليلة من تلك الليالي المضحكة فوجئنا بوصول سيارات كبيرة وعدد من الجنود وبلغونا أن نستعد لنقلنا الى العرضي . وفي سجن العرضي التقينا جميعا بالواصلين من صنعاء ومن اب والذين في تعز ، والمجموعة كثيرة من بيت حسان وبيت الباشا وبيت المجاهد وبيت الجنيد وعدد كثير من الشباب . وقد كان يسود الاجتماع رغم السجن والمضايقة روح من المرح والتنكيت ولا ننسى تعليق الشيخ صالح المقالح أحد السجناء الذي كان فيه التحدي والسخرية حيث قال لمجموعة السجناء مخاطباً الشيخ حسن الدعيس (الآن قد اصبحنا عظماء

ومهمين يخافوننا ويحيطوننا بالمراقبة والحراسة) وبطبيعة الحال كل شيء كان ينقل الى ولي العهد .

بعد هذا أبلغوا جميع السجناء بالاستعداد للسفر ، وقد بقي ولي العهد يُشاهدنا من شباك القصر حيث أعادوا القيود وضربها على ارجلنا وكان كل واحد منا تلو الآخر يصعد الى السيارات وقد بدأنا السفر من تعز وواصلناه الى حيس ثم الى زبيد فالحديدة فسجون حجة أخيراً . والشرح يطول لما تعرضنا له من تعب القيود والزحام والبقاء على أخشاب السيارات والغبار يغطي الأجسام وعلى الأنوف والأفواه ، والحر الشديد في النهار ، والبرد القارس في الليل . وقد دام السفر من تعز الى حجة اثني عشر يوماً نتيجة التغاريز والعطل ووعورة الطريق ، لكن الايمان والثبات والصبر أوجدت المناعة فينا ، ولم نتعرض لشيء مما كان يتوقعه الامام فقد باءت النفوس المنتقمة بالفشل وقد فرقونا في سجون حجة وأنزلوا أكثرنا في سجن نافع ، وأقلنا في سجن القاهرة . وقد كان نصيبي أن بقيت في سجن حجة عاماً ونصف عام بصبر واطمئنان وكان أملي ان الجزاء سيكون للجلاد .

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا   فالظلم آخره يأتيك بالنقم

وقد بقيت حتى أفرجوا عَني . وعقب الإفراج ، وحالتي المادية متعبة ، سارعت بالانتقال من حجة عائداً الى صنعاء في تلك الطريق وتلك الجبال ، وعلى حمار مستعار تعبان ليس على ظهره غطاء الا شواله من سلب ، أي بلا وطاف . وقطعت أكثر طريق حجة ـ صنعاء مشياً ، وما وصلت إلا متعباً قائلاً : لا رحم الله الأشقياء الذين نزعت الرحمة من نفوسهم !

وصلت الى صنعاء فاستقبلت بلهفة وشوق من قبل الأقارب والزملاء والأصدقاء . والعادة اذا عاد غائب أو حاجّ أن يستقبل استقبالاً حاراً . وكان هذا الاستقبال اكثر حرارة واكثر احتراماً على ما عداه من المناسبات ، ففيه التشرّد والغربة وفيه مصادرة الأرواح ، وفيه المتاعب بكل أنواعها . وقد ارتحت نفسياً بالاستقبال وللمؤانسة التي لها دور في التخفيف على ما في النفس . الا أنه سرعان ما ارتبط حديث المؤانسة بحديث السياسة . فقد أصرّ على خروجي

عبدالله محمد ابراهيم صبره الذي الى الروضة الأخ المرحوم عبدالله محمد ابراهيم صبره الذي
لزيارة الإمام يحى الى الروضة . وقد حاولت التخلص من الاقتراح والاصرار ، ولكنه كان
اقدره لوفائه وحنانه . وقد حاولت التخلّص من الاقتراح والاصرار ، ولكنه كان
أكثر تصميماً . ومعه على هذا التصميم جميع الحاضرين . وعرفت أن ذلك عن
محبّة وحسن نية . ولم أتمكن من أن أشرح لهم فور وصولي ما فعل بنا هذا
الطاغية يحى وأولاده ، وما تعرضنا له من عذاب واهانة بحيث لم نسلم إلا من
القتل . وأدركت إن الزيارة بهذه السرعة فيها الشماتة وفيها السخرية . ولكني
مع ذلك وافقت على مضض جبراً لخواطرهم وحرصاً على الحفاظ بصداقتهم ،
لأني لن أستغني عنهم . وفي اليوم التالي جاءوا ينفذون عملية الخروج لزيارة
الإمام يحى الى الروضة ، وكلفوني أن ألبس جوخاً ما كنت أعتاد أو أرغب في
لبـــ‍ــه ومصنفاً ، مذهّباً حتى انهم أحضروا الحمار . وفعلاً ذهبت من حينه الى
الروضة وقد وصلتها وصادف ان الامام يحى كان في وسط الطريق المقابلة
لداره وهو جالس على كرسي صغير والكتّاب والحاشية جالسون على الأرض
حوله . ودخلت الحلقة المحيطة بالجنود والمراجعين ، وطلبت من قاسم
الريمي أن يبلغ بي الى الامام ويطلب الإذن بالزيارة . وكان يصيح بأعلى صوته
« عبد السلام صبره يريد فرض سلام » فلفت الإمام نظره بسرعة ولم يجب أو
يوافق . ثم كررها ثانية وثالثة فلم يجب ايضا . ولا أبرىء نفسي أني كنت في
تلك الأيام وتلك الظروف أحمل من الحماس الديني والوطني ما يدفعني الى
التسرّع في ردود الفعل . وفعلاً خرجت من مكاني في الحلقة والإمام يراني
وركبت على الحمار وهو يراني أيضاً ، فاتجهت الى صنعاء عن طريق سوق
الروضة . وقد فوجئت بأن لحق بي حسين الريمي أحد المبلغين لدى الإمام
يحى وأنا في سوق الروضة أشتري فاكهة فقال لي : « ارجع » يا خضعي » بدون
حماقة . وكان حسين الريمي طيّب القلب فأجبته بأنني ما خرجت الا لزيارة
الإمام فلم يقبل أن أصل اليه لاداء السلام بعد التبليغ المتكرر فعدت ، فهل مثل
هذا خطأ ؟ » فقال الريمي : « نعم مئة خطأ » . وأخذ بلجام الحمار يجرّه حتى
عدت الى الحلقة مرة ثانية . وصاح بأعلى صوته مبلغاً « عبد السلام صبره يريد
فرض سلام » فهزّ الإمام رأسه ، وهذه الهزة هي علامة الإذن لي . وما ان دنوت
منه للسلام حتى توتّر وصاح بأعلى صوته « هذا صبرة الخضعي ، المدبّر الذي

أكل نعمة اليمن والـذي يشني نصارى » . فلم يسعني إلا أن أردّ عليه بصوت
عال قائلاً : « أنتم واهمون وغالطون ، وكان يجب على الإمام قبل تلك
الاجراءات المخيفة والقاسية أن تطلبوني اليكم وتسألوني أو تحيلوني على
محاكمة شرعية » فقال : « قد ظفرنا بخطك » فأجبت عليه : « أنا على يقين أن
ليس هناك لا خطّ ولا غيره » . ومراده من ذلك هو البحث عن المبرر أمام الكثير
من الحاضرين . ثم أمرني أن أقعد على الأرض حيث يجلس الكتّاب
والحاشية ، وسألني عن حجة وهوائها وعن الطريق وصلاحها فأجبت عليه بأن
سجن حجة رهيب ، وأن الطريق غير صالحة فختم حديثه بقوله « هرم »
واستأذنت وانصرفت .

ولا أنسى أني التقيت بعد مقابلة الامام يحى بالقاضي عبدالله العمري
والقاضي عبد الكريم مطهر فقال القاضي عبدالله مخاطبا القاضي عبد الكريم
مطهر : « هذا عبد السلام الذي ما استطعنا إخراجه من الحبس الا بمشقة
وجهد كبير يعود من سجن حجة ، ويخاطب الإمام بكلام غير لائق » . وكان
جوابي انني لم أتكلم مع الإمام بشيء غير الرّد على حديثه حيث صاح بأعلى
صوته أمام الكثير من الحاضرين عاديين ورسميين مدنيين وعسكريين علماء
ومشايخ ، أنني « خضعي » و« مدبّر » وأنني أشني نصارى ، فنفيت ما قال
والنفي صحيح والتصرفات التي وقعت تصرفات خاطئة وظالمة وعنيفة . فقال
القاضي عبدالله كان يحسن السكوت . فقال القاضي عبدالكريم : « نرجو الا
يتكرر مثل هذا الحماس والولد عبدالسلام من خيرة الذين يستفيدون من
الدرس » .

بعد فترة الخروج من السجن الذي وقع بعد سنة ٤٤ استعاد الأحرار
نشاطهم وكبر الحجم وزاد العدد وانتبه الكثير من المواطنين الى نشاط الأحرار .
وعرف الكثير أن هذا النشاط واجب يمني ووطني يخرج الشعب من العزلة
الحديدية ومن حكم شخص غريب التكوين يعتبر أن الشعب درجة ثانية وأن أبناء
الشعب عبيد له وملك له يدفعون الجباية ويخدمونه وأولاده وينفذون الأوامر .
وكان في معتقده أن المصلحة للإمام والمصلحة للشعب أن يظل الشعب جامداً
كجمود الامام ويبقى حيواناً ناطقاً لا يرقى ولا يصل الى فهم الإمام ، وأن الجهل

الذي هو عدوّ الانسان هو للانسان اليمني خير من العلم الذي سيعرفه معالي الأمور ويعرف به عن الماضي والحاضر ما يساعده على فهم المستقبل وعلى تنمية مداركه .

اما المرض في المعمورة فكان ينبغي أن يعالج ويطارد من الأجسام لتكون سليمة في أحكامها وافكارها وتعاملها وتحركاتها وكما يقال « العقل السليم في الجسم السليم » لكن الامام يحيى على العكس من ذلك ، كان يطلب المرض للشعب ويرى ان المرض خير من الصحة . فالرجل الصحيح قوي في مداركه وفي مقاومته والمريض على العكس من ذلك ، وسأذكر ما كان يردّد من أقوال المفكرين من العقلاء، والعلماء والشعراء ، ومن ذلك ما كان يتردّد على لسان العلامة زيد بن علي الديلمي رئيس المحكمة العليا للاستئناف في عهد الامام يحيى .

سمعت عامل صنعاء حسين بن علي عبد القادر رحمه الله يقول إنه في يوم من الأيام رافق العلامة زيد بن علي الديلمي في جولة أو « دورة » خارج سور صنعاء ، وأنهما تعرّضا لذكر الأوضاع الحالية حين ذاك وما وصلت اليه من خطورة تهدّد الجميع ، وأن زيد بن علي الديلمي قال لعامل صنعاء : كم حاولت إقناع الامام يحيى بضرورة التغيير والاصلاح حتى لأبسط الضروريات . ولكنه لم يقتنع . ويقول حسين بن عبد القادر إن زيد الديلمي ختم كلامه بقوله « ماذا تصنع بلينا « بعركدة » القرن العشرين الذي لا يلين ولا يستحي » .

ومن الأخبار التي قد لا يصدقها المستمع والقارىء أن الامام يحيى طلب زيد الديلمي اليه وقال له إن المبررات الشرعية تثبت أن للإمام الحق في أن يملك كل ما ترك الأتراك من عتاد وأسلحة ومال ومعمورات ، وشرح له مبررات هذا الحكم ، وطلب من زيد الديلمي أن يصدر حكمه في هذه القضية مع بعض كبار الحكام الذين كانوا موجودين في صنعاء حينذاك ، وقد ردّ عليه زيد الديلمي أن بيت مال المسلمين هو صاحب الحق الأول والأخير في ما تركه الأتراك . وعقب هذا الموقف أوقف زيد الديلمي عن العمل وأمر بسفره الى ذمار وبقي فيها فترة طويلة تحت الرقابة .

ولا ننسى المناضل والعالم المرحوم أحمد عبد الوهاب الوريث الذي كان

يلتقي بزيد الديلمي في أكثر الأحيان ويتبادل معه الحديث عن القضايا العامة وعن سياسة الإمام يحيى وما وصلت اليه من السخرية والعبث بحق الشعب وبحق الشريعة . وكان أحمد الوريث لا يكتم عن الشهيد أحمد المطاع وعن المرحوم الأستاذ عبدالله العزب وعن القاضي يحيى علي الإرياني وعن القاضي عبدالله الشماحي سراً من أسراره ومن أفكاره وآلامه ، وهو الذي أخبر المطاع والعزب بما شكا عليه زيد الديلمي من طلب الإمام يحيى له بإصدار ذلك الحكم وما ردّ عليه .

ومن الجدير بالذكر أن أحمد المطاع وعبدالله العزب في صنعاء كان لهما صلة وثيقة بالقاضي عبد الرحمن الإرياني ، وكانوا يتبادلون القصائد الوطنية والأفكار حول القضية العامة وسياسة الاستبداد . وقد سمعت المطاع وهو يملي قصيدة طويلة للقاضي عبدالرحمن الإرياني من جملة ما حفظت منها هذين البيتين :

قول يقال تزلفا وخيانة   والبحث يكشف أنه البهتان
خانوا له ولشعبهم ونفوسهم   ومعاد كل خيانة خسران

كما سمعت العلامة المجاهد الشهيد حسين الكبسي يقول إن سيف الاسلام الحسين، وكان صديقاً له ، وأن سيف الاسلام عبدالله ، وكان يثق به ، سمع كل واحد منهما يتحدّث على انفراد أنهما عندما عادا بعد رحلة طويلة ، وكانت درجة الحماس عندهما مرتفعة ، طلبا من أبيهما أن يسمح لهما بأن يقوم كل واحدمنهما بمشروع معين ينفع الناس ويخفف من سخطهم ، وأن الامام يحيى ردّ على كل واحد منهما بكلمة واحدة لفظها « أنا أخير منكم والخير لكم ولليمنيين أن يبقى الناس محتاجين لكم في كل أحوالكم حتى في الفتاوى الدينية والدنيوية . أما اذا استغنى عنكم الناس فابشروا بكل شرّ » فقال العلامة الكبسي هذا الكلام بحضور المجاهد أحمد أحمد المطاع ومحيي الدين العنسي وأحمد الحورش رحمهم الله .

ومما تجدر الاشارة الى ذكره أن الشاعر العراقي الكبير العبيدي الذي كان يعلق على موقف الامام يحيى وعلى دولته المستقلة آمالاً كبيرة ذكر في إحدى القصائد أن الامام يحيى قد خيب آمال المحبين له حيث لم يعمل شيئاً لشعبه في

الوقت الذي هو قادر أن يعمل كل شيء ، وانه كان يتمنى أن توجد للامام يحيى حق حسنة واحدة من بين مساوئه كما يوجد لغيره من ملوك عصره ، وأذكر من هذه القصيدة أبياتاً يقول فيها :

عـزّ على اليمن السعيد ... وليس باليمن السعيد
وأذكر إماماً لا يزال ... يعيش في دنيا ثمود
ملك هلوع همّه ... جمع الذخائر والنقود
لا ينتفع منه القريب ... فكيف يرجى للبعيد

وهذه القصيدة هي التي انتشرت وسمع عنها الكثير عربياً وعالمياً في عهد الامام يحيى . وأهم من هذا أن الامام كان يخاف أن ينجب الأصحاء جيلاً يعروه التطور رغم العزلة الحديدية وإقامة القضبان . فالمرض لازم في معتقده أن يفرضه على الشعب ويتركه يتغلغل ويتوسّع في الشعب لأن المرض يخدم مصلحته في استيلائه على الشعب كعقيدته في فرضه الفقر والتجويع والذي يدركه عن تجربته للفقر لأن أهم ما في الفقر من فوائد انطواء الفقراء وحاجتهم الى الآخرين ، فالتزم بالتنفيذ والتطبيق ليظل الناس يحتاج بعضهم الى البعض دون أن يملك أحد للآخر شيئاً ولكي يحتاج الشعب اليه في الأخير ولو ارتفعت نفسه الى المكارم كإمام يحكم شعباً لكان الوضع يختلف بالنسبة له وللشعب ، لكن نفسيه وجشعه وجوعه وبخله جعله يلتزم في تنفيذ الثلاث الهنات حياة وموتاً ولم يهضم ما يقدم اليه من نصح وعظة شعراً أو نثراً أو خطابة بل كان يسخر من ذلك ويمتهن الناصحين له .

أجل ، إن برنامج الاصلاح واستعداد الأحرار والمفكرين لزيادة النشاط والتوسع في الخطب واعداد البرامج وإعداد الخدمات وتوزيع المنشورات بأشكال مختلفة ومؤثرة أصبحت حديث الناس في المساجد والمجالس والمتاجر في المدينة والقرية . ومجاهرة الإمام وأولاده بذلك قد أخافه وأخافه أكثر التشريح الدقيق لحكمه وأن الشعب قبله على علاّته وسمع بأضاليله وشعوذته من أنه صاحب الخطوة الذي ينتقل ليلاً من قصره الى الحرم المكي أو المدني وأنه يعالج المجانين بالتمائم والقطران للجباه والأبواب ولو كان عنده ذرة من الحياء

من العلم لقدم بعضاً من الجميل ولكنه لم يتنازل واعتبر نفسه سيداً للشعب المواطنين وأن الشعب عبيد له يفرض عليهم الذلة والمسكنة والقتل والسجون والخطاط والرهائن والظلم والتخلف واصبح عقبة كأداء ضد انفتاح الشعب وتطوره .

ولما بلغت أمواج الإصلاح وارتفعت الى أوج الجرأة وكشفت المنشورات حقيقته طارت مشاعره من القلق والخوف ، وجن جنونه لما يتعرض له من الانتقادات التي عرته وأظهرته على حقيقته . وقد كان كثير من المواطنين يستوعبون ما يطرح برغبة وانتباه ، وكان هذا يشجّع المناضلين ليكتبوا بجدية وحماس سواء في صنعاء أو في تعز واب وعدن والحديدة وغيرها من المدن ، كما شجّع فهم أبناء الشعب واستيعابهم الصحف التي كانت تساعد الأحرار ونشر الكثير من مساوىء الإمام يحيى والكثير مما يقوله الأحرار . وأذكر من الصحف « فتاة الجزيرة » في عدن لصاحبها محمد علي لقمان وقد نشرت الكثير من أقوال الأحرار اليمنيين وهم كثيرون ، ومنهم مطيع دماج وأولاد أبو راس ، وصحيفة « الصداقة » التي كانت تصدر في القاهرة ـ مصر لصاحبها الرافعي وكانت تنشر الكثير من أقوال الأحرار اليمنيين كالأستاذ الشهيد محمد صالح المسمري والأستاذ الشهيد محي الدين العنسي والأستاذ الشهيد أحمد الحورش وآخرين .

ثم جاءت صحيفة « صوت اليمن » التي ملأ صوتها المسامع وأيقظ القلوب وصك مسامع يحيى وأولاده وحتى أعمى أبصارهم وبصائرهم . وكان المسؤولان عن الصحيفة الأستاذين الزبيري والنعمان واللذين هما غني عن ذكر ما يملكان من البيان المقنع والجذاب وما يتحليان به من روح وطنية صادقة ونضال لا تراجع فيه . وقد ملأ الدنيا بأقوالهم البليغة والصادقة واستمرا في توزيع المنشورات وطرح القضية الوطنية على كل يمني في الداخل والخارج وعلى كل من يريان فيه النصير والمساعد للقضية اليمنية العادلة من الرؤساء والملوك والعلماء في الأقطار والسياسيين في أنحاء البلاد العربية والاسلامية والدولية . وقد كان يشاركهما كثير من الأحرار أمثال الشاعر المناضل المرحوم عبدالله عبد

الوهاب نعمان والأستاذ المجاهد المناضل المرحوم عبدالله علي الحكيمي والأستاذ البيحاني والفسيل وباذيب وآخرون كثيرون من الأحرار : والمفكرين والمنصفين .

ولا ننسى سيف الحق ابراهيم ابن الامام يحيى والذي هو من البيت و« صاحب البيت أدرى بالذي فيه » والذي هو من الأهل « وشهد شاهد من أهله » وقد نشر الحقيقة كاملة وبرأ الذمة ، وكان من أصدق الأحرار حتى ثورة ٤٨ . وبعد فشلها قتله أخوه الطاغية احمد لأنه عرف أن السيف ابراهيم لم يبق شيئاً من مساوئه الا نشرها ولم يذكر لهم شيئاً من الحسنات . وقد نسيت الكثير ولم أحفظ الا القليل خاصة وان كل الوثائق والمعلومات الوطنية التي كنت أتابعها وأحفظها معي قد نهبت مع كل ما نهب في داخل البيت .

ومما أحفظه أن الإمام يحيى انزعج كما انزعج وليّ العهد وكل أبنائه لما كان ينشر الزبيري في صحيفة « صوت اليمن » وفي صحيفة « الصداقة » من قصائده التي قال في إحداها :

أهكذا الدين يا يحيى تزيّفه ... للعالمين وأنت الحاذق الفهم
أتحسب الناس اذ شوّهت دينهُمُ ... بالمكر ما عرفوا شيئاً ولا فهموا

ومن قصيدة أخرى يقول الزبيري مخاطباً الإمام يحيى :

كنا نراك أباً براً ومذ برزت ... أفكارك السود ردّت ما زعمناه
ما كان أجدر أن تسمو الى المثل ... الأعلى وتأخذ شيئاً من مزاياه
لكن تجنيت حتى لم تدع أحداً ... إلا وأفسدت دنياه وأخراه

ومنها :

والعسكري بليد بالأذى فطن ... كأن ابليس للطغيان ربّاه

ومن قصيدة له أيضاً :

ما لليمانيين في لحظاتهم ... بؤس وفي كلماتهم آلام
جهل وأمراض وظلم فادح ... ومجاعة ومخافة وإمام
والناس بين مكبّل في رجله ... قيدٌ وفي فمه البليغ لجام

أو خائف لم يدر كيف نصيبه ... منهم أسجن الدهر أم اعدام

ومنها :

كم من أب واسي الإمام بروحه ... ماتت جياعاً بعده الأيتام
نبني له قصراً يسود فيبتني ... سجناً نهان بظلّه ونُضامُ

والقصيدة طويلة ومعروفة .

كما لا أنسى أنّه في هذه الفترة ، وعلى أثر نشر القصائد ، امر الإمام يحيى يهدم بيت محمد محمود الزبيري في بستان السلطان ، لولا أن أحمد عبد الملك أحد كتبة الإمام وصهر الزبيري قد تقدّم الى الإمام بخوف وحذر منبهاً الإمام أن ثلاثة أرباع البيت ملك الورثة وهم ضعفاء وفقراء ، وليس لمحمد محمود غير الربع في البيت ، فقال الإمام : أما بيت الزبيري الموجود في وادي ظهر فلا بد من هدمه . وقد هدمه فعلا . وأذكر أن رسالة كتبها الزبيري من عدن بخط يده بعد حادثة الخراب الى ابن عمه عبدالله لطف الزبيري يقول فيها (لا تحزنوا على ما حصل فعندالله ما يضيع شيء ولو فكّر الإمام يحيى بعاقبة امره وآمن بعدالة الله ما رضي لنفسه أن يرتكب مثل هذه الحماقات . واستشهد بتلك الآية الكريمة « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » . أما نحن فإننا سائرون على طريقنا لا تزعزعنا العواصف ولا تعبث بنا عاديات الأيام حتى يحقق الله النصر وحتى يكتب الله لهذا الشعب المظلوم والمحروم والمعذب الخلاص من هذا الكابوس الرهيب . وكانت هذه الرسالة محفوظة عندي وعرضتها على الكثير من الزملاء الأحرار وكما ذكرت فقد كانت من ضمن المنهوبات .

هذا ولأمانة التاريخ ، فقد كان عامل صنعاء حسين بن عبد القادر له الدور الكبير في الدفاع عن الأحرار لدن الامام يحيى ، وكان يشجع من يطمئن اليه من الأحرار ، وكان يتتبع قصص الإمام يحيى ويحفظها ويرددها على مسامع من يثق بهم . ومن ذلك القصة المعروفة حينذاك . فقد كان أحد فقراء مدينة ذمار يريد أن يتزوج ويطلب العون على ذلك من أهل ذمار ، وقد أرشده أحد الأذكياء من أهل ذمار وكان ممن يعرف الكثير عن بخل الامام وقساوته ، إلى أن يجعل من مطالبة الرجل نكتة بأن يطلع الى الامام يحيى الى صنعاء ويطلب المساعدة . وقد كتب

له مع جماعة من العلماء والوجهاء قرارا بثبوت فقره وضرورة مساعدته على الزواج وأن أمير المؤمنين هو المرجع للإنقاذ والاغاثة لمثل هذا . فسافر الى صنعاء مشياً على الأقدام ثلاثة أيام ومعه التقرير ولعله غير مطمئن إلى النتيجة المطلوبة . وقد وصل إلى صنعاء وتمكن من مقابلة الإمام وعرض عليه التقرير الطويل العريض فكتب الإمام أمراً بخطه على التقرير (الى عامل ذمار سلموا له عشرة ريال معونة على الزواج) ولما رأى الذماري أمر الإمام كاد يصعق بعد عزمه وتعبه وقال منفعلاً : « لقد قلت لهم بذمار إنه ابن حميد الدين الذي يأخذ ولا يعطي ، وقلت لهم والله لو تحولت أمامه ووقعت كلي(إحليلا)أي ذكراً ما رحم خالي»ورمى بالحوالة الى جنب الإمام يحيى وقال : «وفّ بهذه العشرة الريال الملايين التي ما وسعتها المخازن » وقد استاء الامام وتغيّر وجهه لهذه المجابهة وأمر أمير العكفة النهاري أن يبلغه بمغادرة صنعاء فورا أو يساق الى سجن القلعة ليقضي فيه ايام شبابه .

وقد ذكرتني هذه القضية بأشياء مماثلة عن البخل وتحتوي على اشياء فيها الشعوذة والدجل والتضليل . ومثل هذه القضايا لازم سردها للتاريخ بأمانة ليعرف الخلف ما عمله السلف ، وليكون الحاضر والمستقبل على بينة فيما سبقه في الماضي ، فيكون على معرفة وعظة وحذر . ومثل هذا فيه الفائدة من سرد القضايا أو القصص التاريخية ولئلا يقال لا يحسن الحديث عن الموتى ، وهذا هو مذهبي أن يذكر الميت بالخير عملا بالحديث (أذكروا محاسن موتاكم) لكن لو كان فردا غير حاكم وغير إمام . أما إمام له عهد ويحكم شعباً فضرورة تاريخية أن يعرف الشعب كيف كان حكمه عادلاً أم ظالماً ، صادقاً أم كاذباً ؟ وكيف نظامه الاقتصادي والأمني والقضائي والسياسي الذي ارتكز عليه ، وماذا عمل للشعب : هل طوّره بعد الحكم العثماني أم زاده تخلفاً فوق ما هو عليه من التخلف ، كما انه يلزم تسجيل ما يقع في العهد الذي يليه .

وكل الناس يؤرخون لشعوبهم ، فأي شعب يضيع تاريخه فهو المسئول عن ضياع نفسه وشعبه وكم ورد في القرآن من قصص المحسنين والعادلين وما عملوا والمسيئين فيما عملوا وما انتهوا اليه .

وإذا فاتك التفات الى الماضي فقد غاب عنك وجه التأسي

أجل ، لقد كان دعاة الامام يحيى ينشرون دعاية في أكثر المدن والقرى من الشعوذة والخرافات ، وبدلا من أن يحاربها دينا وانسانية فقد كان يتبنّاها ويحرّك مثل هذه القضايا والشعوذة والخرافات وينشرها في الأذهان . ومنها أنه كان بوحي منه وإيعاز الى خاصته يروج لهم أن الأمام يحيى يستيقظ في الثلث الأخير من كل ليلة ويذهب الى الحرم المكي أو الحرم المدني ليؤدي الصلاة الفجر هنالك ، ثم يعود بعد الصلاة الى قصره دار السعادة لينام حتى شروق الشمس .
وقد صادف يوماً ان الامام يحيى كان يراقب الجزّار احمد قطيرة من نافذة قصره في الجهة الغربية المطلة على البستان . ولما رأى الجزار ، بعد أن أكمل ذبح الخروف وتقطيعه يأخذ ما يأخذه الجزارون عادة من الرئة وبعض البطون التي تعطى للقطط وأدخلها في حقيبته ـ عندما رآه الامام يحيى انتقل مسرعاً من جهة الدار الغربية المطلة على البستان الى النافذة الشرقية المطلة على باب دار السعادة ونادى بأعلى صوته «يا شاويش فلان امسكوا الجزار بسرقته التي ستجدونها في حقيبته واحبسوه وقيدوه » وقد تحرك الجزار وعند وصوله الى الباب ألقوا عليه القبض وأخذوا ما في حقيبته من الرئة والبطون التي تعافها النفوس الآدمية وحملوه قيداً من الحديد وقالوا أنت محبوس بأمر الإمام ، فصاح محتجاً ما فعلت وأين العدالة ؟ وبالمصادفة فقد أبقوه محبوساً في مكان المستلم للباب . وعندما رأى الجزار الامام يحيى في اللحظات التي يخرج فيها من الباب وهو راكب على عربته الخيلية صاح بأعلى صوته مخاطباً الامام (أسألك بالذي يشلك الى مكة في دقيقة ويرجعك في دقيقة ان لا ظلمتني) وقد استاء الامام لهذا الكلام استياء كبيراً وعندما وصل بعربته الى باب حربمه أمر أحد أفراد حرسه أن يذهب الى المقام لتبليغ المستلمين بسرعة إطلاقه . وقد أمر الإمام بإطلاقه على الفور خوفاً من أن يعود الى القصر ويعود الصباح من الجزار .

وقد عرف الإمام من الجزار التهكّم والذكاء ، فخاف من السامعين الآخرين أن يفهموا ما فهم الجزار ، وليس غريباً أن الرسول العظيم صلوات الله عليه قد أسري به ليلا كمعجزة لنبي وتكلم عنها القرآن وقد اختلف العلماء عن كيفية

الإسراء هل هو بالروح أم بالجسد . . أما شعوذة ودجل صخرة مثل الامام يحيى واعتبار نفسه من أهل الخطوة وكذبه على الله وعلى الناس من الجهال والمغفلين فشيء يتجاوز حدود العقل والأخلاق والإيمان .

وحكاية نسردها وهي أن الحاج علي جبهة ، وهو من جزّاري صنعاء أيضاً ، اشترى ثوراً ليذبحه ويبيع لحمه من الناس بحسب عادته في كل يوم . وقد ساق الثور الذي اشتراه الى منزلـه وأعطاه من طعـام الأنعام المعـروف (القصب والقضب) فامتنع الثور عن الأكل فأعطاه كدماً من التي كـانت توزع للجيش ، وهي مجموعة من كل الحبوب ، فأكل برغبة ولم يرغب في أكل شيء من الطعام غير الكدم فتصوّر الجزار أن الثور حينما رفض طعام الأنعام وأكل الكدم - تصوّر بعقلية الرجل العامي البسيط والأمية البالغة أن ميل الثور الى أكل الكدم الأدمي ربما لأنه قد يكون آدمياً ، وانه « بده من البدات » التي تقلب الأدمي الى حيوان في نظر العامة والمغفلين - وهذه الخرافات يروجها الامام يحيى نفسه - لذا خرج الجزار المذكور الى الشارع يدعو الناس ويجمعهم ليشاهدوا هذه الكـارثة التي نزلت عليه فاجتمع الناس بمختلف فئاتهم متسابقين على مشاهـدة الثور الـذي أصله آدمي ، وكان من بين المشاهدين عدد من كبار التجار والمعروفين بالوجاهة عنـد الناس والإمـام وهم من الشيعة والمقلدين المفـرطين ، وقد دلّـوا الجـزار الحاج علي جبهة انه لا يحل هذه المشكلة غير أمير المؤمنين الإمام ، واتفقوا ان يتحرك الجزار مع الثور والناس معه - وقد كان المجتمعون صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً مـستغربين على البده التي لا يعرفونها ولكن يـسمعون عنها أنها من الجان وتُحوّل الإنـسان الى أي حيوان - ولما وصلوا جميعاً الى باب دار السعادة - التي لم يمض على إكمال بنائها وانتقال الامام اليها غيـر أشهر - ووقف الجميـع مع الثور في الـساحة المواجهة لبـاب دار الـسعادة . وقد اهتم المبلغون بالتبليغ الى الامام يحيى بأن أهل صنعاء كبيرهم وصغيرهم يطالبون الإذن بالـسلام فطلب من المبلغين أسمـاء المعروفين من الحـاضرين فـأسمـوا لـلامام المعـروفين فقال ليدخلوا وحدهم ، فدخلوا اليه ووقفـوا امامـه خاشعين خـاضعين بقلوب راجفة وعيون واجفة وشـرحوا محنة الثور وطلبوا من الإمام حـسمهـا فوضـع إصبع يده

على خده وسكت ثم قال لهم إن مثل هذه البدات الخبيثات كنا قد قضينا عليهن في كل مكان ولم يبق منهم في البلاد غير ثلاث ، ومحنة هـذا الثور هي عمل هؤلاء الثلاث المتبقيات . وأمر المبلغ قاسم الريمي بالاحتفاظ بالثور في مكان في المقام وأن يعطي الإمام مفتاح المكان ، ووعد أهل صنعاء أنه سيتفرغ تلك الليلة لملاحقة الثلاث المتبقيات ويلزمهن بإرجاع الثور الى رجولته كما خلقه الله ، وطلب من الحاضرين المراجعين أن يدعوا الله العون للإمام . وقد خرج التجار من عند الامام وعاد أهل صنعاء وهم مسرورون من الإمام وآمنين من شر البدات التي تحوّل الرجال الى حيوانات .

بعد ذلك أمر الإمام خادمه الخاص الحاج أحمد قلاله أن ينقل الثور ليلاً الى العرضي ، الى جانب الخيل والبغال والحمير والثيران في « النقلية » ، كما أمر الإمام أن يُذبح الثور سراً ليلاً ويحتفظ بجلده لئلا يظهر جلده على أحد ويوصل الجلد الى المقام . وفعلاً تمّ هذا خلال تلك الليلة حيث نقلوا الثور الى « عدني عرضي المدفعية » بعد ذبحه لتأكله النسور والكلاب ، وقد اختاروا لذبحه جزاراً شاباً من جزاري باب اليمن اسمه أحمد البورعي طلبوه نصف الليـل من منزله وهو نائم وأخرجوه الى العرضي ليذبح الثور ، وقد عرف الثور من أول نظرة أنه هو نفسه ثور الحاج علي جبهة . وفي اليوم التالي نزل آلاف من أهل صنعاء ، ومن بينهم أولئك التجار ، الى بـاب دار الـسعادة ليسمعوا النتيجة ، فقـال لهم الإمام يحيى بأعلى صوته : الحمد لله ظفرنا الله بتلك البدات الخبيثات المتبقيات وأرجعنا الثور رجلاً كما خلقه الله . ويقول الإمام يحيى من العجيب أن الرجل كان من الصالحين العقلاء ، ولا نحب أن يكشف عن اسمه ، وقد يكون موجوداً بين الحاضرين ، فعليكم أن تطمئنوا وتحمدوا الله . وعاد أهل صنعاء صغارهم وكبارهم يرددون الأهازيج ويـدعون لـلإمام ! . . . ومن الأشيـاء المضحكة أن الجزار أحمد البورعي الذي ذبح الثور ليلاً ذهب في اليوم التالي الى الحاج علي جبهة فسأله عن الثور فقال له قد قلبه مولانا الإمام آدمياً ، وقـال إنه طلب من الإمام مساعدته لفقره ، ولأن قيمة الثور هي كل رأسماله ، فلم يساعده فقال له أحمد البورعي : أكلمـك بما عنـدي وتعطيني عهـداً بان لا تكلم أحداً فوافق

الحاج علي جبهة وحلف اليمين ، فقال له أحمد البورعي انا ذبحت ثورك في العرضي ليلة أمس ، وقد أخرجوني من بيتي ليلاً وكنت نائماً . وأقل ما يجب على الإمام أن يساعدك بقيمته « لابه بده ولا الثور آدمي » انما هو ثور ذبحوه للكلاب والسور . فقال له الحاج علي جبهة لا يتصور أني أنطق أنك أخبرتني لا أنت ولا غيرك .

وفي الصباح وصل الحاج علي جبهة الى باب دار السعادة وطلب المقابلة فبلغوا به وأذن له الإمام فوراً فقال ، الجزار همساً : يا مولانا قالوا ثوري ذبحوه في العرضي ورجموه للكلاب والسور . فغضب الإمام يحيى وقال مخاطباً الجزار من خدعك بهذا الكلام فأجاب الحاج علي جبهة قائلا لا يمكن أن أتكلم عنه . والمهم ارحموني وأعطوني قيمة الثور ولو باسم صدقة ، فقال له الإمام أنت لا تحترم الامام وأمر أحد الحرس بأخذه الى سجن الصنايع الذي تحول فيما بعد الى دار ضيافة . وكان الجزار يصيح بأعلى صوته (لا ثوري ولا به جراد ولا مسي سلم) وقد بلغ الإمام هذا الكلام واعتبره تحدياً له فأمر القاضي عبدالله العمري أن يطلبه اليه ويعطيه نصف قيمة الثور ويحذره من العقاب الشديد فيما لو حاول أن يصدق الشياطين .

إن من يقرأ هذه القصة قد يعتبرها نوعاً من الخيال المستحيل وقوعه ، ولكنها قصة واقعية عن الامام يحيى ، وما كان ينسجه من الشعوذة . ومن له شك فليرجع الى كثير من المسنّين الذين لا يزالون أحياء ليعرفوهم بصدق القصة وأنهم عرفوها وعاشوها .

سنتكلم من باب الإنصاف عن محمد ابن الامام يحيى والذي كان يلقب بالبدر ، وهو الثاني من أولاد الامام يحيى بعد أخيه أحمد . وكان أميراً للحديدة ، وكان عاطفياً ويحمل أمانة المسئولية ، وكان مراده أن يعمل شيئاً في لواء الحديدة كما هو الواجب عليه لولا مضايقة أبيه له ومنعه من أن يعمل حتى أبسط الأمور استناداً لما جاء في مذكرات المؤرخ والعالم القاضي محمد الحجري ومذكرات الشهيد احمد المطاع والقاضي عبدالله العزب . وسنتبع هذا الحديث حديثاً وحواراً جرى من بعض أولاد الامام مع الشهيد احمد المطاع ،

وسنلاحظ الاستنكار لسوء التصرف من الامام والتوجع منه على ما يجري .

كان محمد ابن الإمام يحيى أمير الحديدة ، وقد طلب من والده السفر الى ايطاليا والبقاء هناك لمدة أسابيع لكي يتعرف ويأخذ صورة عن ايطاليا . وبعد أخذ وردّ طويل مع والده وافق على سفره على شرط أن لا تخدعه مظاهر المدنية الكاذبة . وقد سافر الى روما مع بعض رفاق له واستقبل عند وصوله استقبالاً رائعاً .

وشاهد حينذاك حضارة باهرة وما زار أي مشروع من المشاريع أو المصانع أو الخدمات الشعبية الا وأذهله ، إذ لا يوجد في اليمن نسبة واحد في الألف لما شاهده في إيطاليا . وقد اعتبر ايطاليا أرضاً بانسان واليمن أرضاً بلا انسان . وقد تأثر كثيراً حينما شاهد الإيطالي ينطبق عليه اسم الانسان علماً وصحة وسكناً وأمناً وعملاً وتعاوناً وتطوراً ، وكيف باليمنيين وقد رماهم الله بعد العثمانيين بوالده المتحجّر والشخص المشغول بالتفاخر والملاحقة بعد الجبايات ونشر التفرقة والفتن بين الناس ، ويكره العلم والصحة والخير للشعب . فلم يسع الأمير محمد بن يحيى إلا أن ينفجر بالبكاء أمام مرافقيه . ومن هؤلاء القاضي المرحوم حسن حسين العمري والفنان الأديب المرحوم أحمد علي الخامي والمهندس احمد حمود بعثر . وحاول هؤلاء المرافقون ان يعرفوا السبب ويهونوا من روع ابن الامام فقال لهم تلك الكلمة التي استمر رفاقه يرددونها وحتى الذين لم يرافقوه امثال المرحوم القاضي محمد الحجري ، وهذه الكلمة هي «إن والدي مصمّم على أن يأخذ من الناس كل شيء ، حتى ما لا يجوز أخذه ومصمم على ان لا يعطي أي شيء حتى ولو مات الناس بين يديه» وقال «ان والدي لا يماثله في جشعه وبخله أحد تحت السماء» .

وبعد عودة محمد بن يحيى من ايطاليا طلع الى صنعاء لزيارة والده ومن أجل محاولة إقناعه بشراء كمية من المضخّات وتوزيعها للمزارعين بالقيمة ، ووافق الإمام يحيى على الشراء بشرط أن يشتري الأرض أولاً ويقيمها ابنه ، وقال لابنه هل تتصور يا ولد محمد أن الزارع يوافق على بيع الجربة وفيها « البونة » والماء الكثير السهل ؟ إن هذه المسألة يجب أن يُحسب لها حساب .

وقد كان هذا الشرط من مبطلات المشروع لأن الولد مراده مساعدة الزارع بتوزيع المضخات وتسليم القيمة تقسيطاً ، والأب أي الامام يحيى مراده بدلا من المساعدة شراء الأرض وبقاء الملاك المزارعين أجراء .

كان الإمام يحيى مريضاً بالجشع والبخل ، وقد طبّق كثير من الأدباء والمصلحين عليه قول الشاعر :

واذا الشعب شكا من فاقة	شره ما في يديه من غناء
لا يبالي باليتامى ان بكوا	يحتسي من دمعهم كأس الهناء
يأكل الدنيا ويشكو سغبا	يشرب البحر ويرجو المزنا
يسعد القرد ونشقى أمة	حسبنا هذا ضلالاً حسبنا

كتب الامام يحيى الى ولده محمد أمير الحديدة رسالة عتابية قاسية على ما ينفق ، ووصفه بالمبذر والمسرف ، ومنعه من صرف شيء إلا بموافقته ، ولم يسمح له إلا بمبلغ بسيط في الشهر ينفقه على بعض المتسولين . وقد اتهم الأمير محمد أن الذي وشى به إلى أبيه هو أخوه أحمد ولي العهد فكتب الى والده قصيدة منها :

يقولون أني مسرف اذ يرونني	أطوّق أعناق الرجال باحسان
فقلت لهم موتوا لئاماً بغيظكم	فاني شريت المجد بالتافه الفاني
اذا جاء يوم الحشر جئتم بكنزكم	وجئت بعفو من إلهي وغفران

كلمة نقولها لأمانة التاريخ . كان القاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر هو الكاتب الأول في مقام الامام يحيى ، وكان بمواهبه الأدبية والعقلية هو الوحيد الذي يقوم بصياغة المراسلات الرسمية بين دولة الامام يحيى وسائر الدول ، كما أن القاضي عبد الكريم كان بالنسبة الي المجاهد احمد المطاع يعتبر استاذاً في كثير من الأشياء . وقد سمع جماعة من أصدقاء القاضي عبد الكريم وسمعوا القاضي عبدالكريم وهو يتكلم أمام بعض أصدقائه من بينهم أحمد المطاع والحاج عبدالله سنين أحد زملاء الحاج محمد المحلوى وأحد الذين فهموا سياسة الامام يحيى وأبعادها قبل أن يفهم منها غيرهم ، سمعوه وهو يقول ان

مولانا الامام لا يضيقون بشيء مثلما يضيقون بمن وهبتهم الأقدار مواهب عقلية وأدبية ولا يستريحون لشيء مثلما يستريحون للنائمين والمستسلمين والمقلدين ، وكثيراً ما يسددون ضرباتهم على ذوي المواهب حتى يخمدوها ويخضعوها لسياستهم الخاصة . وهكذا يذكرنا ببعض أبيات لشاعر اليمن وثائرها الأستاذ محمد محمود الزبيري لا أذكر منها الآن الا بيتا واحداً وهو :

ان من يقتل الخصائص في الانسان	اجرأ من سافكي الدماء

حوار بين الشهيد أحمد المطاع وأولاد الامام يحيى وهم علي وابراهيم واسماعيل .

كنت أنا والأخ المجاهد الشهيد أحمد بن أحمد المطاع ونحن في طريقنا من مقر عمله ، لجنة التأليف في بئر العزب ، الى بيوتنا في صنعاء . وعندما وصلنا الى فتحة الغيل الأسود في باب السبح رأينا في طريقنا أولاد الإمام المذكورين الثلاثة وهم نازلون من صنعاء راكبين على الخيل في طريقهم الى قصورهم ببئر العزب . وعندما شاهدوا احمد المطاع وقفوا بخيلهم وأوقفوا المطاع وقال علي بن الإمام : « نريد أن نعرف ما في نفسك علينا يا مطاع ، ولماذا تجفونا وتقاطعنا وكأننا لا نتعارف ؟ » فقال أحمد المطاع : « نتمنّى أن نلتقي ونتحدّث بما في نفوسنا ولكن الحديث من فوق الخيل وفي الطريق لا يصح . » وقد نزل الثلاثة من على خيلهم وانحازوا مع أحمد المطاع وراء الغيل الى جانب السور ، وتحدثوا وهم قائمون على أقدامهم وكنت قريباً منهم أسمع ما يدور من الحديث . وقد واصلنا المشي بعد أن ذهب أولاد الامام وكلمني أحمد المطاع مؤكداً أنهم عاتبون على الجفاء ، وعدم اللقاء ولو حتى وقت المقيل . وأنه قد ردّ عليهم بأنه لو كان في اجتماعهم خير للشعب ولهم لما بخل بالزيارة ولتردد اليهم كثيراً ، ولكن التشاؤم قد بلغ الغاية قائلا لهم بانكم لا تقبلون النصيحة ولا تتأثرون بالعتاب ، فسألوه ما فعلنا وماذا نصنع ؟ فقال لهم أقل ما يجب عليكم هو اقناع والدكم الإمام يحيى أن يتفقد الجائعين الذين يموتون في الشوارع بالمال الذي لهم حق فيه ويقدم حتى القليل الذي يعود على

الشعب بالنقع ، والى متى سيظل يجمع الملايين ويخزنها من كدّ الشعب المظلوم الجائع ؟ وأكد لهم أن والدهم سيجني عليهم وعلى مستقبلهم ويتحملون مخلفاته الثقيلة المتعبة والتي ليس لمعالجتها حل، قولوا لوالدكم يرحمكم ويرحم الشعب الذي ولآه وأعطاه كل ما عنده . وقد أجاب علي بن الإمام بتأثر وحماس ، وأقسم على نفسه أنه سيذهب مع أخويه الى والدهم ويصارحونه بالواقع ويطالبونه بالعمل على انقاذ الشعب وانقاذهم وإقناعه بانفاق مليون واحد من الملايين لإنقاذ الذين استطاعوا أن يهربوا من معظم المناطق اليمنية هروباً من الموت بسبب الجوع ويصلوا الى صنعاء من أجل إنقاذهم وإعطائهم لقمة العيش ، واذا بهم يتساقطون في الشوارع والمساجد وأمام أبواب المنازل موتا من الجوع وعلى مرأى ومسمع من الإمام يحيى الذي هو الإمام والراعي وهو المسئول عن رعيته دون أن تثيره هذه المناظر المؤلمة أو تحرك من عاطفته ، بل كان يفرح لممات المواطنين سواء في بيوتهم أو في الطرقات وداخل صنعاء ، وكان يقول لمن ينبهه أو يلفت نظره الى هذه الكارثة التي أماتت الآلاف إن هذه هي رحمة من الله فمن مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق .

وأذكر أن بعض الكتّاب المشهورين عربياً انتقد الامام يحيى تلك الشخصية العنيدة التي تحمل قلباً لا يلين ولا تنفذ الى جوانبه أية وسيلة من وسائل اللين والرحمة ، أذكر أن الكاتب يقول : يوجد بين الملوك والرؤساء من يردّ على المطالبة بانقاذ رعيته الذين تجتاحهم المجاعة بالموت على أن هذا الموت هو رحمة من الله يختارها لعباده ، ليقنع الناس عن مسئوليته فيما يجب عليه وهو وجود لقمة العيش . وكانت الحبوب مئات الآلاف من الأقداح تملأ الأنبار والمخازن والشون ومئات الملايين من النقد الفضي يملأ القصور في صنعاء، وفي تعز وفي حجة ، وكانت في ذلك الحين تصدر الحبوب الى الخارج لبيعها كتجارة باسم الإمام وباسم أولاده .

وقد مضت ثلاثة أيام على اللقاء والحوار الذي جرى بين الشهيد أحمد المطاع والثلاثة الأولاد أبناء الإمام يحيى، فإذا بابراهيم ابن الامام رحمه الله صبيحة اليوم الرابع يفاجىء أحمد المطاع بزيارته الى منزله واخبر المطاع : بانا

زرنا والدنا الامام بعد سماحه لنا وشرحنا له أحوال الناس وما بلغت اليه حالة الوفيات بأسباب الجوع والحبوب موجودة وما يجب عمله للشعب الذي سلّم له زمام أمره وطلبناهم أن يرحمونا ويرحموا الشعب الذي لم يقدم له أقل ما يجب من حقوقه في مدة الثلاثين عاماً . وقال ابراهيم اننا قلنا له إنا نلمس من الناس الاشمئزاز والانطواء والكراهية للجميع ، وكنا ننتظر أن ننجح في إقناع الامام حتى ولو ببعض الشيء لكنه صاح بنا وأخرجنا مطرودين واتهمنا بالغفول والسذاجة وأنا نريد أن نشجع الناس ونعينهم على التخلص من الجميع وقال : (اليمنيون اذا شبعوا باقوا واذا تعلموا « عنكصوا » أي مرقوا خلّوهم على ما هم عليه اسلم لكم والله ما يمهلوكم ساعة) ثم قال ابراهيم : وقد خرجنا نجر أذيال الخيبة ، مؤكداً وقد حلف الأيمان أنه لا شرف له بالعيش والبقاء داخل اليمن حتى يأذن الله بالفرج ، ومن حينه بدأ يفكر بالخروج .

هذا وكلمة يحيى لأولاده بقي ابراهيم يرددها في المجالس ، وكذا علي بن الإمام حتى انتشرت واشتهرت وسمعها الكثير . ولتصميم سيف الحق ابراهيم على مغادرة اليمن قصة . فقد هيأ نفسه للسفر واستطاع ان يحصل على الموافقة من والده للسفر الى اسمرة للعلاج . وفي اسمرة التقى بالآلاف من اليمنيين الذين هربوا من فقر اليمن المفروض من الامام يحيى وتجشموا الغربة سنين طويلة باحثين عن اعمال تساعدهم على الحصول على لقمة العيش لهم ولأسرهم التي تركوها في اليمن واغتربوا من اجلها . وقد كان المنظر مخجلاً ومخزياً ومثيراً ، فكم من مواطن يمني قد تزوج وأنجب في المهجر وكم أناس تركوا أسرهم في اليمن وكانوا يترددون لزيارتهم بعد مضي السنين ويجدون في الخروج والعودة صعوبة . وكم كان المنظر المحزن والمخزي الذي أثار سيف الحق ابراهيم حيث وجد من الشعب عشرات الآلاف من اليمنيين منهم قد تزوجوا ومنهم بدون زواج ، وقد أقاموا في المدن كأسمرة وأديس أبابا وكثير من الريف في الحبشة .

ولقد أدرك أن السبب لهذه الهجرة كان مظالم والده وعرف أن المهاجرين والمغتربين في كثير من الأقطار كانوا أضعاف أضعاف ما رأى .

وعقب وصوله الى عدن تجمهر اليمنيون حوله وفرحوا بمقدمه لأنّ فراره من والده قد يمكن أن يخفف من مظالم الأمام وأولاده ، خاصة وقد بدأ يواصل الامام يحيى وولده ولي العهد أحمد بالرسائل الى تعز عن سوء أوضاع اليمنيين المهاجرين الذين هاجروا هروباً من وحشية ما يعاملون به من ظلم وغرم لعساكر الإمام وعكفة الامام وأولاد الامام ، ولكن يحيى لم يأبه ولم يبال . واستمر ابراهيم مع الأحرار يناضل ويكتبون الحقائق عن الامام يحيى وأولاده ويوزعون المنشورات ويكتبون في الصحف حتى جاءت ثورة عام ١٩٤٨ م .

وإذا كان المناضلون الأحرار قد صبروا لكل ما تعرضوا له من السجون والتشرد وخراب البيوت من الطاغية وولي عهده فان الطاغية وسيوفه كانوا يزدادون غروراً وعتوّاً ونفوراً وتألهاً وبطشاً . وقد يئس الأحرار من أي تغيير يقوم به الطاغية حتى ولو القليل من ذلك نتيجة لسوء تحكمهم وسوء طباعهم أو يقدمون ولو اليسير من الاصلاح للشعب ، وكان الأحرار المصلحون يتبادلون الآراء من صنعاء الى تعز واب وحتى عدن ، وأجمعوا على ضرورة التخلص من الحكم السرطاني مهما كانت التضحية ، كما توصلوا بالنسبة للخلف الذي يخلف الطاغية يحيى . فالمستنيرون والعارفون والكملاء والعقلاء من الرجال يعتبرون قلة ، وهنا الأكثرية من العامة والمقلّدين والمخدوعين قد لا يتجاوبون مع الدعوة الى تغيير الإمامة بغير الامامة في ذلك الوقت ، وان تغيير الإمامة بغير الإمامة مستحيل ويحتاج الى الوقت والتوعية والاستعداد ، وان التغيير في ذلك الوقت هو الأولى على أن يدخل في الإمامة الجديدة الشورى والدستور والنظام الإداري والوزاري . وكان المناضلون والمجربون والمراقبون والعارفون لأسرة بيت حميد الدين وأسرة بيت الوزير يعرفون أيضاً أن بيت الوزير كانوا الشخصية الثانية بعد الإمام يحيى . في الأبهة والمعنوية ، وكانت أهم المناطق تحت إمرتهم وإن كانوا موظفين لدى الإمام فإن الامام يحيى قد استبعدهم من المناصب الكبيرة وأحل أولاده محلّهم حتى شقّ على بيت الوزير ذلك الأمر ، ثم لم يكتف بإبعادهم فشجّع أولاده وغير أولاده على تتبع عثراتهم والعمل على امتهانهم ، فأجمع الأحرار المصلحون على أن أسرة بيت الوزير هي الأسرة

المنازعة والمكلومة . وعلى هذا كانت تعقد الاجتماعات واللقاءات في منزل احمد المطاع ومنزل العزى صالح السنيدار ومنزلي في الأبهر وفي منزل العلامة حسين الكبسي الذي كان يحضره الفضيل الورتلاني المشارك بآرائه والذي هو من ضمن المؤسسين للشركة ومن الموافقين في الأخير على التخلص من يحيى وابنه احمد وأيضاً في منزل علي محمد عبدالله السنيدار ومنزل عبدالله حسن السنيدار . وقد كان يحضر بعض الاجتماع محمد حسين الزهيري ، وبجانب من ذكرنا كان يحضر أحمد محمد الشامي ومحي الدين العنسي وكل زملائه وأحمد المفعش وجمال جميل العراقي ومحمد حسن غالب وأخوه مجاهد حسن غالب وأحمد مثنى وأحمد الجرموزي وحسين عنبه . ولا ننسى المشاركين والمتحمسين أمثال القاضي علي بن علي السمان والقاضي حسين الزهيري وكذا محمد مكي زكريا في الحديدة ، وهؤلاء الثلاثة كانوا من ضمن المسجونين في ثورة ٤٨ والمستمرين في قضية النضال . ولا ننسى أنه كان يتم الاجتماع أحياناً في بيت حسين الحبشي كما كان أول اجتماع للأحرار المصلحين من أجل تأسيس شركة في منزل حسين الكبسي ثم في منزل حسن عبد القادر . وكان كل التجار الذي ساهموا من صنعاء وتعز والحديدة أمثال الخادم غالب يعتبرون ثواراً لموافقتهم على الخطة ومساهمتهم بالمال لتأسيس الشركة . هذا وكل اللقاءات تؤكد على التخلص من الأمام يحيى وابنه أحمد وان يكون من بيت الوزير عبدالله بن أحمد الوزير إماماً . وقد كان يتم في الاجتماعات المراسلة الى الأحرار الموجودين في اب والحديدة وتعز وعدن ، وكان أهم شرط يقدمه المشايخ الأحرار هو التخلص من أحمد ، وقد تم التوقيع على التخلص من يحيى وابنه أحمد ونصب عبدالله بن احمد الوزير اماما شورويا ودستوريا من كثير من العلماء والعسكريين والمشايخ . وأذكر هنا استطراداً الصفيّ احمد الجرموزي ، فقد ساهم وبقي في سجن حجة بضعة شهور ، ومثله زيد عقبات ، كما تم الاتفاق على اقناع عبدالله بن أحمد الوزير من الاحرار ومن آل الوزير بالذات علي عبدالله الوزير وابنه عبدالله علي ، وكان القاضي اسماعيل الأكوع هو الذي ينقل الآراء والرسائل الى القاضي عبدالرحمن الإرياني والشيخ حسن الدعيس والقاضي محمد الأكوع ، ومن خلالهم كانوا ينقلونها الى بقية

الأحرار في اب وتعز وعدن . وتم بعد تبادل الآراء والرسائل التنفيذ والقضاء على الامام يحيى بأيدي مجموعة يمنية صادقة في ولائها لله وللوطن بعد التفاهم فيما بينها وبين عبدالله الوزير ، وأصبح عبدالله بن أحمد الوزير إماماً شرعياً ودستورياً شوروياً بحسب ما جاء الدستور المدروس المتكامل عقب اذاعته اليمين الدستورية تنفيذ ما جاء في الدستور وتطبيق كل أبوابه . لا ننس أن الرئيس جمال جميل العراقي قد وضع لقيام الثورة مخططاً عسكرياً شاركه فيه العسكريون البارزون حينذاك وهم كثيرون ومنهم الأخ المشير عبد الله السلال والأخ الفريق حسن العمري الذين قاموا مع غيرهم بدورهم المعروف وهذا المخطط يلتقي مع مخطط المدنيين في كثير من الواجبات .

وقد أذيع خبر تولي عبدالله بن أحمد الوزير وتوالت برقيات التهاني والتأييد من كل الألوية والنواحي وهكذا كانت نهاية الامام يحيى ومعه الظلم والتحجر والشعوذة والكابوس الخانق . وقد قام عبدالله بن أحمد الوزير بأعماله وحوله الكثير من الأحرار المدنيين والعسكريين وطلبة المدرسة الحربية والمدرسة العلمية وكثير من المشايخ وكبار التجار مؤيدين ومرتاحين لثمرة صبر طويل ذاقوا فيه العناء والتعب والتخلف أكثر مما يقال ويذكر .

لكن عمر إمامة عبدالله بن أحمد الوزير لم يتجاوز الثلاثة أسابيع . وقد كانت هذه الفترة الوجيزة بين مقتل يحيى وفشل ثورة الدستور حافلة بالمخاطر والأخطاء . فنجاة أحمد من الكمين المعدّ له خارج تعز كان حينذاك محل استغراب معناه أنه مع خاصته وأصدقائه قد تخلصوا من الكمين بالوسائل والحيل . ثم لا ننسى أن أنصار أحمد وأصدقائه منتشرون بين تعز والحديدة ، لهذا لم تعترضه في الطريق أية مقاومة بل كان يقابل بالترحيب والتأييد حتى وصل حجة التي يعتبرها مقره ونكتته . ويعتبر أهل حجة الجنود والأنصار ، وقد استقر هناك واطمأن على أصدقائه وولاة أبيه الموجودين في الألوية والنواحي وعلى القبائل الذين خدعهم وزودهم وأباح لهم المدن والقرى ، بينما الامام عبدالله بن أحمد الوزير وقيادته قد اعتمدت على الأحرار والرؤساء مدنيين وعسكريين وعلى القبائل المعروفين والموغورين من الإمام وأولاده دون أن يقوم

بالتغيير والقبض على المسئولين في الألوية والنواحي . فقد ترك أمراء الامام وأولاده في أماكنهم . ولا شك أن المبرّر هو ضيق الفترة والمفاجآت الجديدة .

ولقد كانت قيادة عبدالله الوزير اكثر معرفة لشئون القبائل وبعض المشايخ ، وكان يستطيع أن يلعب الدور المقنع بالوسائل التي يراها ويحول الجميع الى مجموعة موالية للعهد الجديد ، ولكنه لم يحدث أي مبادرة ، وقد يكون السبب موضيق الوقت ، وقد كانت هذه أموراً أساسية وضرورية يجب استخدامها سواء نجا أحمد أم لم ينج بحسب ما أشرنا . كذلك كان جمع أولاد الامام يحيى الى القصر - مقر قيادة الإمام الجديد - من الخطأ ، فهناك وجدوا الأحباب والأصحاب عسكريين ومدنيين مثلما كانوا في صنعاء وخارجها . وقد انتقد المفكرون هذا حينذاك .

هذه بعض أسباب الفشل ومؤشراته فالتحرك والسرعة التي كان يجب أن تقوم بها قيادة الإمام عبدالله أخذ زمام المبادرة فيها أحمد .

وما ان وصل أحمد الى حجة حتى أخذ يعمل بحزم ويعطي من يعرف تأثره للعطاء ، ويضلّل على العامة والمغفلين وما اكثرهم بأن الدستوريين قد قتلوا أباه واخوته وأن الدستوريين كفار وفساق والإمام الدستوري كافر وهكذا اذاعهم بالكفر والفسق امام الجهال والمغفلين مدعياً ان الدستوريين سيخربون اليمن ويدخلون النصارى . وهذه الدعاية انطلت على من أشرنا ، بالإضافة الى أنه قد قبض على المال والسلاح وحرك ولاته والأصدقاء في المدن والمراكز وقاموا بنشاط في التخريب والتحريف للحقائق والاساءة بسمعة الثورة والثوار . وقد حول الثورة الى صالحه وجعلها كارثة على اليمن واليمنيين ودخلت فيها الأحقاد . وكان من له غرض في آخر انتقم منه وحوله الى دستوري يهان ويسجن ويغرم ، وفقد الشعب عقله وتكاثر عدد اليمنيين قتلى في المدن والقرى ينهب بعضهم بعضاً ويغرّرون بالثوار وكأنهم ليسوا منهم ويصفقون على كل من قتل منهم ، كل هذا من أجل يحيى الذي لم يرحم واحداً من اليمنيين ومن أجل نصرة ابنه أحمد الذي أساء الى الشعب في حياة أبيه وسخر من الشعب وأهانه وأذله من بعده .

بعد فشل الثورة ، نُهبت بيوت صنعاء ومتاجرها وبعض مساجدها ، وكان ان اختفيت عن الأنظار عند أحد الجيران المرحوم أحمد حسين الهمداني ، وبقيت أياماً قليلة كانت تزورني خلالها شقيقتي فاطمة رحمها الله التي كانت تكبرني في السن ، وكانت تتردّد علي كل يوم في بيت الهمداني ، وأخيرا جاءت ومعها العجوز فاطمة السيانية أم الضابط الشهيد احمد السياني وهي من سيان سنحان ، ومعها الستارة وملابس المرأة ، وقالت لي أختي فاطمة بدلاً من أن تبقى محبوساً داخل المكان ولا تخرج الى الحمام الا بمخاطرة فالأفضل من ذلك أن تذهب مع فاطمة السيانية لابساً ستارة امرأة حتى توصلك الى المحل الذي يتوفر فيه الأمان ، سواء في سنحان أو غيره اما البقاء في صنعاء فما هو الا استسلام للموت . وفعلا وافقت على رأي أختي وخرجت مع المذكورة فاطمة السيانية متنكراً بستارة المرأة . وكان أملنا نحن الثلاثة أن الأرياف التي تبعد عن صنعاء لا توجد فيها المراقبة التي تواجه في الطريق كل من يمشي عليها . وقد مضينا في السير باتجاه حزيز واعترضنا في الطريق بعض القبائل وقال قائل لنا : (سلبكن يا نساء يفديكن) ومدّ يده الى التورة التي تحملها المرأة على رأسها والتي يوجد فيها لقمة العيش وخمسون ريالا . وقد احتجت المرأة العجوز أم أحمد السياني على مثل هذا التصرف الوحشي وانا نطقت بكلمة فعرف الناهبون من صوتي أنني رجل فقالوا « كنك رجال » فقلت نعم فقال لماذا تخفي نفسك بالستارة . قلت أردنا أن تحترمونا وتتركونا من النهب كالنساء ولكنكم لم تفعلوا ، فقال أحدهم غيرنا لا يكتفي بالنهب وسيأخذك الى مقام الإمام . فاذهب انت والعجوز . فواصلنا السفر حتى وصلنا الى قرية حزيز ، واستقبلنا اهل حزيز يسألون عن الحالة في الساعة الأخيرة في صنعاء ، فتلعثمت أم أحمد السياني وعجزت عن الردّ ، وانا ساكت ، فتوهموا أننا هاربان ثم طلبوا مني الكلام ، فتكلمت بصوتي وفتحت وجهي فقالوا : فلان ؟ وأسموني باسمي « عبد السلام صبره قاتل الإمام » وأخذوني وتركوا العجوز أم أحمد السياني التي عرفوا انها من سنحان ، وألزموني بالتحرك معهم بعد أن ربطوا اليدين وقلت لهم بصراحة : كل ما حصل هو سهل ولكن عدالة الله تمهل ولا تهمل الظالمين وأنهم لن يستمروا

في ظلمهم إلى النهاية ، والنهاية معروفة . وكان رجل واحد من بيت الشاوش من أهل حزيز قد ظهر على وجهه الم بأنه يعرفني وأنا أعرفه ، وطلبتهم السماح بخلع الستارة ، فأبوا إلا ذلك الشخص المتألم الذي لم يستطع أن يقنعهم . وقد وصلنا إلى باب اليمن يستقبلنا الألاف من عامة الناس يزفّوننا بالشتم والصراخ وبالتعزيز والدردحة ، حتى أوصلونا إلى دار السعادة . وبقيت منتظراً مع الناس حتى خرج الحسن من باب الدار يستقبلني استقبال الشامت الفارح ، ثم أمر بطلوعي الى القلعة مروراً بشوارع صنعاء على الأقدام بين الشتم واللعن واللكم والتعزير حتى وصلت القلعة .

وقد كنت طول المسافة ، حينما ذهبت إلى حزيز وعدت إلى صنعاء ، وأنا أمشي على قدمي أحمل من الايمان والرضا ما جعلني لا أبالي ولا أخاف من كل ما وقع بي وكنت أتذكر كلمة الرسول الأعظم صلوات الله عليه (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) وكنت أحمد الله على ما أجد في نفسي من هذا الاحساس بالمعاني الروحية التي لا فضل فيها لأحد الا لله سبحانه ، وكنت أردد ذلك الدعاء المأثور « واقسم لنا من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا » وما ان دخلت القلعة حتى أمروا أن يكبلوني بقيدين من الوزن الثقيل ، وقد التقيت حينذاك بالمرحوم العلامة علي يحيى عقبات والقاضي الصفي الجرافي وعامل صنعاء حسين عبد القادر وبالرجل الضابط الطيب الصابر أحمد ناصر الشعاني وبمن سبقني من الإخوان الضباط الذي يرئسهم محيي الدين العنسي وجماعته ، ومن بينهم السلال والعمري ، وبعدد غير قليل من طلبة المدرسة العلمية . ولم يلبثوا أن أطلعوني ، ونحن لا نملك غير زنة واحدة تسد العورة ، الى وادي القصر حيث كان هناك سيوف الاسلام . وقد أمر سيوف الاسلام ومن معهم من الحاضرين من الموجودين العوام وأهل الحرف في الأسواق أن يضربونا بالعصيّ ويرجمونا بالحجارة حتى سالت الدماء من رؤوسنا وأجسامنا ثم نقلونا على سيارة حمالة وطافوا بنا على أسواق صنعاء وشوارعها ، ونحن على السيارة قائمون على أقدامنا . وكانوا يوقفون السيارة أمام بيت كل واحد منا ليعرضونا على الأهل والأولاد والجيران ليشاهدوا ذلك المنظر الوحشي وما وقع علينا من الضرب والتعزير .

وقد هان علينا كل ذلك الا هذا الموقف الذي يصوّر ما في نفسية يحيى ومن بعده أولاده من خبث وانتقام .

وبعد ثلاثة أيام دعينا الى خارج سجن القلعة ووضعوا على أيدينا المغالق المضغوطة لتجرح أكفنا كما وضعوا القيود على أرجلنا . وقد واجهنا خارج السجن عامة الناس حيث أوسعونا باللعن والشتم والرجم واللكم قبل أن نركب السيارة التي سيسفرنا عليها الى حجة . خرجنا جميعاً من صنعاء، وقلوبنا عامرة بالصبر والإيمان ومررنا بمدينة عمران ، ولا ننسى أننا وجدنا في عمران من ابناء المشايخ من خفف عنا نوعاً من ذلك العذاب ونظروا الينا بعين العطف والرضا وأعطونا الأكل وكانوا يطعموننا اياه بأيديهم ، وقد ارتحنا لهذه البادرة التي فيها أخلاق وإنسانية ، وتمنينا لو كان الأخرون يحملون شيئاً من هذه الإنسانية ولو قد ترتّب على الاحسان الينا في عمران حبس بعض من استقبلونا وواسونا من ابناء المشايخ في عمران . ثم واصلنا السير من عمران الى حجة وكنا نقطع تلك الطريق الوعرة الخربة والضيقة والتي فيها المرتفعات المخيفة حتى كان يفضل كل واحد منا ان تنقلب السيارة ونسقط من رؤوس تلك الجبال رأساً على عقب لكي تنتهي حياتنا ونستريح من ذلك العذاب . وقد وصلنا حجة وأوقفونا بالقيود والمغالق ليرانا الذين أعدّوا لاستقبالنا من الناس وأولاد الإمام الذين كانوا يشاهدون الأسرى من نافذة قصر سعدان . وكان قد نقل الكثير من السجناء الى سجن نافع ما عدا إمام الدستور عبدالله الوزير وآل بيت الوزير فقد أبقوهم في « القاهرة » . وقد تلقينا في سجن نافع الرهيب من خبث السجانين وغلظتهم ووحشيتهم ما لا يخطر على البال . فمنذ وصولنا لم يعاملونا معاملة الإنسان للانسان بل معاملة الوحش المستعار والمزود بكل وسائل الجرح والبهدلة والامتهان . وقد صبّوا علينا الكثير من الكلام المؤذي والقاسي ، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يلقون بالواحد منا الى الأرض بكل قوة وغلظة ، ويضيقون على الأقدام القيود الحديدية والمراود ، والسك هو أخبثها ، كما ان هذا السجن الذي رجمونا فيه ما كنا نتصور أنه يوجد في الدنيا مثله وليست فيه وسيلة من وسائل الصحة ولا حتى شربة الماء النظيف أو وجود الحمام العادي الذي يقوم مثله

في أضعف الأحياء المتخلفة ، ولم نلق الحصيرة التي تحول بيننا وبين تراب السجن الذي كان عرفه يؤذي الأنوف إلا بعد فترة .

وكانت بعض أماكن السجن كالمدافن ، فكنا لا نرى الشمس طيلة النهار إلا ساعة واحدة وقت الظهر ، وكنا نتوسد الحجارة ونأكل الكدم اليابسة على الماء العكر . واعتقد أنني لا أستطيع أن أصوّر سجن نافع على وضعه كما صوره غيري من الإخوان المعتقلين . إنه ذلك السجن الذي مات داخل جدرانه ثلاث من أهل الزرانيق وتركت جثثهم الميتة والهامدة في بعض الأماكن مركونة لمدة طويلة ، وما تم نقلها إلا بعد وصولنا . وهذا طبعاً سجن نافع الأسفل الذي كان نصيبي أن أعيش فيه . ومما تجدر الاشارة اليه أن الحراس كانوا يخرجون المسجونين الواحد تلو الأخر للاعدام ، ولا أذكر ان واحداً من الشهداء قد قابل الاعدام بأي فزع أو جزع ، بل على العكس من ذلك ، كان كل واحد يلبي صوت الإعدام ويخرج بنفس راضية مطمئنة . وبذلك الإيمان الشجاع استطاعوا ان يتحدوا القاتل والسجان ويحتقروا القتل مؤمنين بما عند الله من فضيلة الاستشهاد ، شاعرين في نفسهم بالسعادة الروحية وبأن أرواحهم هي البزرة لتلك الشجرة التي ستخلفهم ، وأن دماءهم هي الفداء لتلك الروح التي ستحترق أمامها الأشواك والثعابين . وقد تحقق ما كان وصدق الله العظيم القائل : ﴿ ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ﴾ .

بقينا في سجن نافع ثلاثة أعوام . وقد ظهر في بعض جداره شرخ فانتهزنا الفرصة لنخرج من هذا السجن الذي هو قبر الأحياء ، وطالبنا نائب حجة المرحوم عبد الملك الشهاري المتوكل وذلك بالإسراع في إصلاح « نافع » قبل أن نموت تحت أنقاضه . وقد وعد بعرض الموضوع على الإمام أحمد ، ولما تأخرت العملية اتفق بعض المساجين أن يجمعوا بعض الملابس الممزقة ويطلوها بالقار ويشعلوها ويقذفوها الى الهواء ليلاً ، احتجاجا على عدم الاهتمام بالإصلاح . وقد أزعجهم اشعالنا للنار ، ووصل النائب في اليوم التالي فرأى التشقق في جدار سجن نافع ، وقلنا له وهو على سطح السجن إنه اشرف لنا من ان نموت تحت الأنقاض أن نموت بالسيف . والنائب بدوره لم يقصر ، وقد اتصل بالامام برقيا مؤكداً على ضرورة الإصلاح وبدلاً من ذلك جاء المخرج اذ

نقلونا الى سجن قاهرة حجة والمنصورة حتى يتم الاصلاح . وقد كانت الموافقة على ذلك من الامام على برقية نائب حجة .

من الأشياء المضحكة أن كبير السجانين وأخطرهم ، وهو ناصر علي جرامة ، كان لايكره شيئا مثلما يكره خروجنا من نافع لأنه مسيطر ومستفيد ماديا ومعنويا . وكان يستريح لإصدار الأوامر ومضاعفة القيود لمن يريد ويخففها على من يريد ، الى غير ذلك من نزعات الشهوات الحشراتية التى لا تستريح الا بالإيذاء . وقد سمعنا ناصر علي عند خروجنا من باب سجن نافع وهو يصيح بأعلى صوته وقلبه مفعم بالألم قائلاً : « والله ما في نافع ما في عيني يعلم الله كيف آخرتها والله جزعوا وجزعوها » ثم انتقلنا مقيدين بالقيود مشاة على الأقدام الى سجن قاهرة حجة حيث أوصلونا وأجلسونا في مكان بقرة الإمام . وقد جلسنا في مكان البقرة أربعة أعوام ، ورغم أنها لا تختلف عن سجون بيت حميد الدين من حيث عدم الرعاية الصحية فهي بالنسبة الى سجن نافع تعتبر جنة ، نظرا الى ارتفاعها الذي كان يساعدنا على مشاهدة الجبال المحيطة بها ونستنشق الهواء وقد توزعنا في مكان البقرة على المداود وأحلنا المداود الى مقاعد للجلوس ومراقد للنوم .

لم نفاجأ في القاهرة بما كنا نفاجأ به في سجن نافع عن طريق بعض الحراس في البلاغات الارهابية بانه سيتم اعدام ثلاثة من السجناء : فتارة كانوا يكتمون الأسماء وتارة كانوا يتكلمون عنها . ولعلهم في نافع كانوا مكلفين من قبل الإمام إمعاناً في التعذيب النفسي وزيادة في الخوف القاتل . على أن الجميع وبلسان واحد كانوا يردون على مثل هذه التحديات بقولهم : يا مرحبا بلقاء الله وأهلاً وسهلاً بشرف الشهادة !

كان مدير سجن نافع النقيب علي الحاشدي يدخل أحياناً على السجناء . وقد دخل الى مكاننا الخاص الذي كان يضمنا مع الأخ المرحوم محمد أحمد المطاع ، ومحمد الحلبي المسن مأمور الضبط واحمد ناصر القردعي وآخرين . وقال لنا إن الجن الموظفين عند الإمام يخبرونه بكل ما عندكم وبكل ما تكتمونه في انفسكم ، فاحذروا أن تكتموا أشياء تؤلم الإمام .

وفي السنين الأخيرة من أعوام السجن في القاهرة ، كان يتردد الينا بعض من يعتمد الإمام اليهم ويظهرون لنا استياءهم لتشدّد الإمام على المعتقلين ، في الوقت الذي يجب أن يكون رحيماً . ونحن نعرف أن الجواسيس كانوا ينقلون الى الإمام كل ما كان يدور ، وكانوا بهذه الأساليب يذكّرون بقول الشاعر اليمني وثائرها الأستاذ محمد محمود الزبيري :

ومذبذبين تردداً وتلوناً   لعنتهم الحسنات والآثام
قلنا ارفعوا الأسواط عن أجسادكم   قالوا لنا لوم الإمام أثام
تالله ما بهم الإمام وانما   ولعوا بسوط المستبدّ وهاموا
واذا ثوت بين الضلوع بهائم   قويت على حمل العصا الأجسام

وقد سمع بعضهم يوماً ، وهو أهونهم شراً ، ونحن نردد قول الزبيري :

ان الأنين الذي كنا نردّده   سراً غدا صيحة تصغي لها الأمم
والحق يبدأ في آهات مكتئب   وينتهي في زئير ملؤه نقمُ

وقد قال هذا الجاسوس : والله ان الزبيري سيد الشعراء وقائدهم الى الجنة .

كنا ، ونحن في السجن ولطول سنيه وكثرت شهوره وأيامه ، نفاجأ في كثير من الأحيان بوصول بعض أولادنا الصغار الذين كانوا يهربون على امهاتهم ، وكانت تحصل مشقّة في دخولهم وضمّهم الينا الا بعد أخذ ورد تبدأ بمراجعة نائب حجة وتنتهي بموافقة الإمام . وقد كنا نرتاح لوجودهم معنا رغم ما نعانيه من أزمات حرصاً على تعليمهم . وقد أفدناهم في السجن ثقافيا ، واستفاد أولاد السجناء وكثيرون غيرهم ، وقد كان الأساتذة لهؤلاء الشباب أمثال الأستاذ أحمد المروني وعبدالله السلال وعلي الغفري ومحمد حسن غالب والأستاذ احمد الشامي والأستاذ محمد الفسيل ، وكان كل واحد من هؤلاء الأساتذة يدرّس الأولاد في حدود اختصاصه .

وبالرغم من المآسي التي كنا نواجهها داخل جدران هذا السجن الذي أعد بأقصى قدر من اللؤم والحقد فانه قد تحول الى مدرسة تضم نوابغ الفقهاء في

التفسير والحديث والنحو والأدب .

ولا ننسى أن الولد الدكتور عبد العزيز المقالح ، وكان في حجة طالباً ، كان يوافينا بالأخبار اليومية محلياً وعربياً وعالمياً ، وكان له دوره في تسهيل دخول بعض الصحف عن طريق من أصبحوا منا والينا من شباب الحرس .

ان المناضلين الأحرار بعد فشل ٤٨ منهم من قتل كإمام الدستور عبدالله الوزير ومجموعة من أسرة بيت الوزير ومحي الدين العنسي واحمد المطاع وزيد الموشكي واحمد الحورش ومحمد صالح المسمري والشيخ عبد الوهاب نعمان وحسين الكبسي وحسن صالح الشايف ومحمد أبو رأس وأخيه عبدالله أبو رأس ومحسن هارون وبعض أولاده ومحمد قائد الحسيني وآخرين من أسرته وعلي ناصر القردعي وعزيز يعني وسنهوب والعنجبة وعلي العتمي ومحمد ريحان ومحمد شائع سري والخادم غالب الوجيه وآخرين أعدموا في صنعاء وتعز ثم أحمد ناصر القردعي . ومنهم من لم يقتلهم الإمام وهم في نظره من الخطيرين فأبقاهم في سجون حجة ، وكم هناك من سجناء في صنعاء وتعز والحديدة وبقية المراكز . وكم من سجناء خارج الوطن وهم يتصارعون مع أمواج الغربة التي تقذف بهم من محل الى آخر ومن قطر الى قطر ويعيشون الضائقة من العيش تاركين لأهلهم يعيشون المآسي .

إن فشل الثورة قد أودى بأرواح لا يحصى عدّها . وقد هدم من المنازل في المدن والقرى ما لا يحصى ايضا وأتلف أموالاً كثيرة بكل أنواعها . والأهم أن فشل ثورة ١٩٤٨ م قد أفشل خططاً نضالية للمصلحين الأحرار وذلك في الثلاثينات حتى الخمسينات . على أن المصلحين ما كانوا يسعون وراء مصالحهم الشخصية بل على العكس فقد كان منهم من يضحي بمصلحته الشخصية ويضحي بحياته وبجاهه وماله من أجل المصلحة العليا للشعب ، ومن أجل أن يعيش الشعب كريما .

وبعد أن قضى الطاغية احمد على الثورة ، قسا على الأحرار بالقتل والنهب والسجن والتشريد وتشجيع الغوغاء من أنصاره واعوانه على تكفير وتفسيق الأحرار المصلحين وحتى على مضايقة النساء والأطفال الذين ينتسبون الى

الدستوريين الكفرة . ومما لا شك فيه انه قد ارتاح كثيراً لمقتل والده ، فقد انتظر الحكم طويلاً ولو جعل في الظاهر امام المغفلين ومن تنطلي عليهم الحيل والخديعة من دم أبيه قميص عثمان . وبعد الفشل اعتبر الطاغية نفسه انه المنتصر الحقيقي ، وقد اتاح لأعوانه ومحبّيه ان يصفوا الأحرار بأيديهم اكثر مما يصفي هو بنفسه بالسيف ، وإن كل ما فعله الأعوان والمحبون والأنصار لم يعتبر في جماله على ما يقال بالمثل ، وقد سخر بالكثير ويعتبر نفسه من الشجعان ويحفظ لنفسه من الشعوذة والدعاية اكثر مما كان يدعي والده . فهو يسمي نفسه احمد الياهوت ، احمد ياجناه ، وانه يحكم الجن والجن جنوده ، ويروج مثل هذه الدعاية بكل صلابة ويقول إنه مصرف لا يخترق جسمه السلاح أو الرصاص . وحتى حرسه وعكفته ، وبكل ذل وخوف ، يصدقون مثل هذه الشعوذة وكل هذه الدعايات والخرافات ، مع كبريائه ، جعلته يتعاظم على إخوته ، سواء الذين كانوا في القصر وعملوا على قبض الوزير والأحرار أو الذين دخلوا قادة لنهب صنعاء ، كما كان يتعاظم ويزدري بالقادة الآخرين والذين انتشروا للخراب والنهب في اكثر مناطق اليمن كريمة والعدين ويعدان وإب . وقد اعتبر انه كل شيء ، والفضل يعود له في إفشال الثورة وابقاء الحكم الحميدي عليه وعلى بقية الأسرة . وقد هز هذا الاحتقار والإهمال والتعاظم نفوس مناصريه ، وبدأ كل السيوف يحسّون ويلمسون أن وضعهم مع احمد يختلف عن وضعهم أيام أبيهم يحيى رغم هيمنته وفرصته . فقد هبطت معنوياتهم وستهبط بطبيعة الحال معنويات من يرتبط بهم ويكنون لهم الولاء ، وخاصة الحسن وعبدالله ، فهما أكثر حساسية واكثر طموحاً . اما موقف الأحرار في الداخل والخارج فقد اعتبروا ما وقع بعد الفشل درساً وبداية اليقظة والفهم والتصحيح . فمن ارتكب خطأ لا بد وأن يرجع الى ضميره ، والمناصر لا بد وان يحسب للعواقب ، وأنه يعمل مع الطاغية ، ذلك الشخص الذي يعمل دائماً من أجل أن يكون إماما فقط وسيقضي على الأقارب والمحبين وعلى أي شيء يعارض مصلحته الشخصية واستعلاءه على العرش . وقد بدأ الأحرار يلاحظون أن التطور من حول اليمن يفرض نفسه على الشعوب ، ولا بد من أن يجد طريقاً لينفذ منها حتماً الى البلاد رغم ما يوجد من السور والجسور المانعة . وقد عاود

الاحرار نشاطهم من جديد بعزيمة لا تلين ، وتجاوزوا كارثة الفشل بكل مآسيها ، وتناسوا كل ما وقع من مصادرة للأرواح والبيوت والممتلكات ، وتناسوا حتى السجون التي يعيشون فيها والتشرد الذي يقاسونه ، ويعتبرون ان ما كان من بعض اليمنيين المخدوعين تجاه اليمنيين الأحرار الذين ينشدون المصلحة والخير للشعب اليمني انما هو من قبيل ما يقول الشاعر :

إذا احتربت يوما وسالت دماؤها ... تذكرت القربى فسالت دموعها

وانه ليس عدواً لليمنيين جمعاء بعد يحيى غير الطاغية احمد واخوانه ، وها هي بشائر الخلاف قد نشبت بين الامام أحمد وإخوته ، ويعتبر الإخوة أن أحمد قد هضمهم في المناصب المعنوية وخاصة الحسن وعبدالله وكل واحد من الاثنين يريد على الأقل أن يكون هو الشخص الثاني بعد الإمام احمد . وقد أصبح الإمام في نظر إخوته عدواً . ويعتبر الإمام أحمد أنه بعد إفشاله للثورة قد أعاد لهم الحياة من جديد وأنه لا يقطع فيهم الجميل .

يضاف الى ذلك انه قد أغاظ معظم السيوف ان لم يكن كلهم ان يكون ولي العهد هو محمد البدر ابن الامام أحمد الذي لا يزال صغير السن بالنسبة اليهم ، وكل واحد يدعي أنه الأولى بولاية العهد ، وخاصة الحسن وعبدالله . ومن أجل هذه القضايا ، تحرك الحسن وجماعته واتصلوا بالإمام بالمشافهة ، وعن طريق المراسلة الشعرية والنثرية ، لإقناعه بمكانة الحسن ، وأن يكون هو الشخص الثاني بعد الإمام ، ومن باب أولى ولاية العهد . وقد أثر هذا على الإمام فجعله يشمئز وينحاز الى ابنه محمد البدر اكثر. وقد عرف الناس وفي المقدمة الأحرار الموجودون في السجون وخارجها ما يجري في الساحة من احتقار للحسن ومن يسير في فلكه . وقد اجمعت آراء الأحرار على ان محمد البدر هو الشخص المقبول بالنسبة لعمه الحسن ، وأنه خير من عمه كما أجمعوا أن ولاية العهد هي السلاح الذي سيحول الأسرة الى الصراع والتطاحن ، وأن شق العصا بين الأسرة ليس بالأمر السهل . فلا بد أن يبرز البدر بجماعته ، ومعه أبوه ، ولا بد من أن يعمل الطرف الثاني بعناد وادّعاء وطموح ، ولا بد من أن تظهر نتائج أهمها نشر

الضغينة والبغضاء في صفوف الأسرة واستعداد كل طرف ان يعمل ضد الآخر بدون تراجع ولا عودة الى التفاهم بعد التمزق . وقد أصبح كل سيف يضغط على الإمام إما بالموافقة على مطالبه بما يريد مقابل بقائه أو بالحنق والفرار إلى خارج البلد .

أما الاحرار فقد اصبحوا في الواقع الطرف الثالث ، وليس أمامهم من عمل غير النجاح السياسي الذي سيلتهم الطغاة ويحمي الأحرار ، وان العمل السياسي الناجح يكمن في مساندة ولاية العهد للبدر محمد الذي سيقف معه ابوه أحمد وأتباعه . وعلى هذا فقد تضافروا جميعاً وفيهم السجناء المعتقلون في حجة . وفعلاً لما سمع الإمام وابنه محمد البدر بتأييد الأحرار ، أسرع بالإفراج عن المجموعة الأولى من المعتقلين الأستاذ أحمد محمد نعمان والقاضي عبد الرحمن الارياني والقاضي عبدالله عبد الإله الأغبري ، وذلك لنشر التأييد لولاية العهد علناً لمحمد البدر وأخذ البيعة له من المواطنين علماء ومدنيين وعسكريين. ومن حينذاك اشتد العراك وأثار ثائرة السيوف إخوة الإمام رغبة الإمام وتنبيه ابنه لولاية العرش أو العهد الذي يصغرهم في السن والتجارب والوجاهة وخاصة الحسن وعبدالله اللذين يعتبر كل واحد منهما انه بدرجة الامام أحمد . وقد ظلّوا في دوامة الارباك والتوتر والتطاحن ، وبذلك فقد توفق الأحرار في ما رأوا ونجحوا بما عملوا دون أي تضحية وخدموا بما فعلوا مصلحة الشعب . وقد هبّ الشعب من مدنيين وعسكريين مرحبين ومؤيدين هذه العملية التي بها تم الانشقاق وبذر الخلاف والتي سيكون بها في الأخير التخلص من الأسرة التي لم ترحم من الشعب أحداً ، وقد أذاقت الجميع سوء العذاب وأصبح الناس يتدارسون ويتذكّرون ما ارتكبه حكم بيت حميد الدين من مآسٍ ومظالم وتفرقة واحتقار ، وكيف كانوا بسياستهم اللعينة يسلطون الناس على بعضهم البعض ويغرقونهم في الفتن ، وقد انتشر هذا الفهم وهذا الوعي في صفوف جميع الفئات وخاصة القوات المسلحة .

ومما يجدر التنبيه اليه انه قد سبق ما كان يتوقع بين الأسرة وأتباعها من التطاحن المرتقب بين طرفيها انقلاب عام ٥٥ بقيادة البطل أحمد يحيى الثلايا الذي حرّك الجيش لمحاصرة قصور الامام يحيى بتعز وضرب القصر الذي يسكنه الطاغية احمد بمختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة . وقد كان حينذاك

عبدالله بن الامام يحيى موجوداً ، ووجوده في اليمن وفي تعز لا يؤكد او ينفي ارتباطه بامريكا ، كما أن نصبه للإمامة بدلا عن احمد قد يقطع الطريق على الحسن وعلى البدر محمد دون وصولهما الى الإمامة . وقد أجمع الكثير من المدنيين والعسكريين اجماعاً يمنياً لا تبعية فيه الى أي جهة ، وذلك بنصب عبدالله بن الامام يحيى مؤقتاً بدلا عن أخيه الامام أحمد ، وقد وافق عبدالله وأقنع الامام أحمد بنصب أخيه بدلاً عنه لكن احمد من حينه راوغ وتنازل تنازلاً مكتوباً وللتهدئة وهو في نفسه يعتبر أن التنازل غير شرعي .

وقد كان رأي الكثير من الأحرار على اختلاف فئاتهم لزوم القضاء على الامام أحمد ، وأن القضاء عليه قضاء على مشاكله التي لا يُعرف بغيرها ، لكن عبدالله والعباس قليلاً معهما كانوا يعارضون القضاء على أحمد لأن ذلك قد يضاعف من المشاكل ، وأن أحمد قد أصبح مريضاً ومسناً ولا يستطيع أن يعمل في حالته تلك شيئاً، وقد صمم على أن يبقى الإمام حيا كعادته وكحالته في القصر وبجانب الخزينة والحركة والحرس والعكفة ومع الأصدقاء والأتباع . وقد اطمأن الطاغية احمد وتناوم وركز نفسه للانقضاض ، وكان يراسل ابنه محمد البدر الى حجة للاستعداد والتأهب ، واستطاع بأساليبه أن يقضي على الانقلاب وعلى فريق من الثائرين ولم يجد أمامه مقاومة توقفه عند حده . وفعلا قضى على الانقلاب وبعد ذلك لم يراع حقاً ولا ذمة ، فلم يكتف بالسجن لمن لم يقتله بل قتل القائد البطل احمد الثلايا وأخويه عبدالله والعباس ومجموعة كريمة من الأحرار علماء وضباطاً ومشايخ . وقد قتل الغماري احد انصار احمد يحي الثلايا وهو الحماسي المرافق للقائد احمد الثلايا دفاعا عنه . وقد استشهد الحماسي في سبيل الوفاء والوطن . هذا وقد نجا من القتل المناضل القاضي عبد الرحمن الإرياني بعد جهد بذله كثير من العلماء ومن حرس الإمام وبمراجعة كثيرة من البدر والأستاذ احمد محمد نعمان ، كما نجا من القتل المغلوط المقدم حسين الغفاري ، واذا كان قد زج بكثير في السجون فقد تشرد الكثير خوفاً من بطشه . إلا أن المسجونين بحجة كان قد أفرج عنهم ولي العهد البدر محمد ولو عارضه أبوه أحمد، لكنه جبرا لخاطر ابنه أقره على ذلك .

ومن المعروف أن الطاغية أحمد في ثورة ٤٨ احتسى نشوة النصر حتى ثمل لأن معظم المواطنين مطبوعون على الجمود والغفلة والشعوذة . اما انتفاضة الوحشي في ٥٥ فهو يختلف عن عهد ثورة ٤٨ . فقد احتسى من حينه العلقم وشعر بمرارة الموت واعتبر الانقضاض هو النذير الأول للعاصفة المدمرة حيث وجد الأسرة من حوله تتآكل والمواطنين يفيقون . وقد استيقظوا من الغفلة وعرفوا كيف تحكم الشعوب وما يجب على الشعب ان يعمله ضد الظالمين من الحكام . فقد ظلوا يفتشون أوراق الامامة الحميدية وعرفوا ما تعرّض له الشعب من قتل وسجن وتشرد وفقر وجهل ومرض وسخرية وابتذال ، وعرفوا أن الشعوب تعيش الحياة والحكم وكيفما كانت الحياة والحكم ، الا انها أفضل بكثير عما يعيشه الشعب اليمني الذي مسخته الإمامة من آدميته وحريته وكرامته . ولما وصل اليه الشعب من وعي وقناعة فقد تصاعدت في وجدانه الغيرة وصمّم على النضال ، وقد وجه ضرباته المتوالية على أطلال الإمامة المتداعية ، وظهرت مجموعة في إب من الشباب الواعي الذي يرفض الظلم وينشد للشعب الحرية والتطور ، أذكر من هؤلاء الشباب عبد العزيز الحبيشي ومحمد منصور الصنعاني ومحمد علي الربادي ومحمد عبود باسلامة وعبد الحفيظ بهران . وقد كان نصيبهم سجن القلعة بنتيجة مطالبة العدل والاصلاح .

تجدر الاشارة الى انه وجد في الفترة ما بين عام ٥٥ وعام ٦٢ جماعة من الأحرار المهتمين بالقضية الوطنية ، أمثال المرحوم الشهيد عبدالله بن محمد الإرياني ومعه مجموعة من الشباب امثال الأستاذ علي عبدالله المطري وعلي سيف الخولاني والمرحوم لطف الزبيري والأستاذ المرحوم علي بن علي الأنسي الذي تعين محافظاً لصنعاء بعد قيام الثورة. وكنا نجتمع في كثير من الأحيان في منزلي مع الشهيد حميد الأحمر ومع الشيخ سنان أبو لحوم ومع المرحوم الشهيد علي بن علي الرويشان الذي كان له الدور الكبير مع زملائه المشايخ في نشر الوعي والحماس بين المشايخ . ولا ننسى أن مشايخ خولان أمثال علي علي الرويشان وعبد الولي القيري وأولاد عمه كان لهم دورهم في إشعال نار التمرد في خولان ، ولا ننسى الموقف الصادق والجاد لأمين عبد الواسع نعمان وسواء من أمثال الحاج عبدالله سنين والقاضي أحمد الخطابي والقاضي حسين

احمد السياغي وأولاد الحاج احمد السياغي محمد وأخويه الشهيدين يحيى وحمود . ومن باب الشيء بالشيء، يذكر هناك مواقف وطنية صادقة قام بأدوارها المناضل العلامة الصفي احمد عبدالرحمن محبوب الذي كان من جملة المعتقلين في ثورة ٤٨ م وكان العلامة الأديب والخطيب علي يحيى عقبات طيلة ما عرفناه قبل ٤٨ في صنعاء وبعد ٤٨ ونحن في سجن نافع بحجة كان لا يذكر الامام يحيى ويذكر معه ابنه احمد الا ويضيق ذرعاً وبالخاصة الامام يحيى فقد كان يراقبه الحاكم والمستفيد المستأثر والبخيل والجشع والحاقد على كل شيء، وكان في كل المناسبات يخاطب الامام يحيى وابنه أحمد غيابياً بقول امير الشعراء شوقي :

ان ملكت النفوس فابغ رضاها … فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر … فكيف الخلائق العقلاء
يحسب الظالمون ان سيسودون … وان لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائر مثلما جاروا … وللدهر مثلهم أهواء

وقد سجنه الإمام يحيى أكثر من مرة ، وكان أكثر من يدافع عنه الفاضل والصادق قاسم بن حسين العزي أبو طالب ناظر الأوقاف وحينها قابل الإمام من أجل الإفراج عن الخطيب عقبات سأله عن أسباب الحبس فأجابه الإمام بالمبرّر للحبس وهو الاثارة بين الزيدي والسني ، فرد عليه قاسم العزي وهو الرجل الصادق والذي ينطبق عليه الحديث الشريف القائل (المؤمن غر كريم) هل سمعتم انتم بأذنكم ما ينسب إليه أو سمعتم ممن تعتمدون عليه ؟ فقال له الإمام يا أخ قاسم أنت جواد مع تعرفش مغازي الشياطين مع هذا سنطلقه من أجلك يا أخ قاسم وقل له يكن شيعياً بالأولين والآخرين .

أما المناضل العالم والأديب الشهيد زيد الموشكي فمواقفه الوطنية الشجاعة اشهر من أن تذكر وهي مسجلة في أكثر من كتاب وكذا الشهيد المناضل الشيخ عبد الوهاب نعمان ، الذي تعرض للسجون العديدة في المدة الطويلة ، وقد كان يقسم الأيمان أنه لا يبغي من وراء نضاله الطويل الذي تعرض من أجله لما

ذكر من السجون والغرم والهوان غير أن يرى الشعب المضطهد والمحروم وقد خرج من هذا السجن الكئيب وأصبح يعيش كما تعيش سائر الشعوب تحت حكم ديمقراطي شوروي .

ولا ننسى أنه كان يوجد من بين تجار صغار والحديدة وتعز واب الكثير من الثوار الذين ساهموا بالأموال والأنفس في مقاومة الظلم والطغيان وتعرضوا من اجل ذلك لشتى العقوبات حيث تعرضت اموالهم كلها للنهب وتعرضوا هم نفوسهم للسجون والتعذيب والتشريد والقتل ، وهم أمثال المناضل الشهيد الخادم غالب الوجيه ومحمد مكي زكريا والعزي صالح السنيدار والشهيد علي محمد عبدالله السنيدار الذي استشهد في ثورة (٢٦ سبتمبر - أيلول) والمناضل عبدالله بن حسن السنيدار والمناضل الشيخ حازم الحروي ومحمد حسين الزهيري . وقد استمر من سلم من القتل يواصل النضال الى آخر اللحظات ومن اعظم المناضلين الشهيد احمد حمود المقعش وله زملاء كثيرون كانوا يشاركونه في العمل الوظيفي في الشعبة العسكرية وفي العمل الوطني ، أمثال المرحوم علي الشرعي وأخيه غالب وطه مصطفى وعبد الكريم الغالي واحمد عبدالله الشاطبي . وفي مقدمة الجميع الأخ محمد حسن غالب وحسين بن عبدالله الأكوع وكل طلبة المدرسة العلمية وطلبة المدرسة الحربية الذين تعرضوا لأنواع الاضطهاد بالسجون وبالأعمال الشاقة ، وهم كثيرون ، والشهيد محمد السعيدي والحاج محمد القادري وقد تسجلت أسماؤهم في كتب أخرى تغني عن الإعادة . إن المناضلين والثوار اليمنيين كثيرون وقد يكون المجهولون اليمنيون اكثر من المعروفين سواء في المدن صنعاء وتعز وإب والحديدة أو خارجها . فليس مثل الشعب اليمني أي شعب آخر قد اكتوى بنار الفقر والجوع والتخلف والمرض والنعرات المقيتة وأي شخص يجب عليه انصاف المكافحين والمناضلين يصعب عليه استيفاء العدد . ولن تخونني ذاكرتي عن نسيان مثل ناشر عبدالرحمن العريقي رحمه الله فقد كان ناشر ثورة مستقلة بنفسه لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال أو لسان وكله صراخ وهجوم على شبح الظلم الحميدي ، وكان ونحن في السجن يحلل النهاية وشر المصير للأسرة الحاكمة كما لو تنبأ

وكأنه يرى بعينه سوء المصير والأنقراض النهائي للحكم الظالم . . .

كما ان نضالاً كبيراً قد برز في هذه الفترة خارج البلد قام به الأستاذ الزبيري ونعمان وجماعة آخرون من المناضلين امثال عبدالله عبد الوهاب نعمان والأستاذ محسن العيني والأستاذ محمد الرعدي والأستاذ جغمان . ومن هؤلاء المجاهد المثابر والمضحي الأستاذ عبدالله الحكيمي الذي استمر في أحلك الظروف وهو يواصل جهاده رحمه الله .

ومن هؤلاء الأخ الفريق حسن العمري الذي كان من أقطاب الحركة في هذه الفترة ، والذي لم يأل جهداً في القيام بالواجب الوطني حتى الساعات الأخيرة ، اما الإخوة الضباط امثال عبداللطيف ضيف الله والأخ عبدالله جزيلان وامثالهما فهم مع العسكريين ومن المشايخ الأبطال الثائرين ، مشايخ ذو محمد وذو حسين وفي مقدمتهم الأخ المناضل المرحوم أمين حسن أبو راس وعلي ناجي الشايف والأخ عبدالله دارس الذين صمدوا قبل الثورة وولوا بعدها مدافعين ومناضلين من أجل الثورة .

وهناك مجموعة من حاشد وخولان وبرط ونهم وبعدان وغير ذلك من المناطق تعلن عن سخطها وتمردها وتطالب بالقضاء على الحكم الفردي الوحشي العفن . ورغم أنه (أي الامام أحمد) قد قتل بعضاً من المشايخ أمثال الشيخ حسين ناصر الأحمر وابنه حميد وعبد اللطيف بن قائد بن راجح ، وبعد أن أرعد وأبرق وتوعد الشعب في خطابه المحسوس بعد أن عاد من إيطاليا ، وكان يقول هذا « الفرس وهذا الميدان » ومن « كذب جرب » الى غير ذلك من عنترياته المتأججة والكاذبة واستصحابه لحالته التي كان يدجل بها على الشعب من أنه ما زال هو الفارس المقدام وأن الشعب هو حارسه الذليل والمغلوب على أمره ، فقد استهان الشعب بتلك الجعجعة وبذلك الادعاء . وبعد ان اكتشف الإمام على حقيقته لم ينثن عن غرضه وأصر على السير في النضال حتى ينتقم لكرامة الشعب بالقضاء على مثل هذه الأسرة اللئيمة التي قدم لها الشعب كل شيء ولم تعمل للشعب أي شيء غير الدمار وفرض التخلف والاستعلاء .

وها هو البطل سعيد حسن فارع ، الذي كان يلقب بإبليس ، قد سعى

لمجابهة الطاغية احمد بالموت والقضاء عليه لكي يتنفس الشعب من كابوس الإمام ومن وطأته الثقيلة ولكن امر سعيد حسن فارع اكتشف وقبض عليه وعلى ما في حوزته من الأسلحة وذلك في منطقة السخنة حيث كان يقيم الإمام وقد زج بسعيد حسن في سجن حجة وتعرض للتعذيب ولكنه لم يفض بشيء من الأسرار حتى فرّ من السجن مع بعض السجناء . ولم ينج من مطاردة الإمام بعد فراره حتى قتل . وقد سولت للإمام نفسه على أثر محاولة اغتياله بسجن بعض الأحرار امثال الشيخ أمين عبد الواسع نعمان بحجة ارتباطه به . وقد رافق سعيد حسن فارع للقيام بهذه المهمة رجال من تعز ومن حاشد وخولان ومن مراد وارحب ، وقد فر المرافقون من السخنة بعد القبض على سعيد حسن هاربين من بطش الإمام وسجنه . وكان سعيد حسن فارع من الأحرار المخلصين للقضية الوطنية والمرتبطين بالأحرار في صنعاء وتعز والحديدة وعدن والقاهرة .

ويرتبط بموضوع سجن الشهيد سعيد حسن فارع اعتقال الزميل الوطني الثائر محمد الفسيل الذي ألقت السلطات السعودية القبض عليه في جدة بطلب من الإمام أحمد ، وتم إرساله بالطائرة اليمنية الوحيدة في ذلك الوقت الى السخنة ومنها الى سجن حجة ليكون رفيقاً للشهيد سعيد حسن فارع في سجنه بنافع بعد أن عاش الأستاذ الفسيل سبع سنوات كاملة في سجن نافع وقاهرة حجة .

وبهذه المناسبة ، قرأت ما كتبه الأخ المناضل عبد الغني مطهر في كتابه « يوم ولد اليمن مجده » وعجبت لما ذكره عن الأخ المناضل المقدم محمد عبد الواسع نعمان ، وأننا اتصلنا بالسفير السعودي « العبيكان » وسلمناه رسالة إلى الملك سعود نطلب فيها المساندة لإحداث تغيير في اليمن بموافقة من السعودية وهو كلام غير صحيح ، ولا يمت إلى الحقيقة بصلة . والمرة الوحيدة التي قابلت فيها السفير السعودي المذكور كانت مع المرحوم عبدالله حمران إلى سجن الإمام ، وطلبنا منه أن يبلغ حكومته بأن تتصل بالإمام حتى لا يتسرع في إعدام الأخ محمد الفسيل ، فقد كان الإمام شديد الحقد عليه بسبب صلابة مواقفه وبسبب كتابه المشهور « الرجل الشاذ » .

إن الإمام وقد هزته الأحداث وأدبته الأيام واستيقظ الناس وتركه الكثير من الناس ، بدأ يتحول الى انسان ، فلا هو « الباهوت » ولا « أحمد ياجناه » ولا « مصرف لا يخترق جسمه السلاح » واصبح يعيش الخوف والذعر اكثر من الآخرين ويستوحش لأنه أساء إلى الآخرين .

إن الإمام والأسرة والشيعة والأتباع أصبحوا في حيص بيص يدفعون ضريبة الظلم والتأله والتخلف والغرور ، وقد عرفوا ان الشعب قد نفض الغبار من على عينيه ووجّه نظراته المتنقمة الى من سامه سوء العذاب . لقد اصبح المواطنون في المدن والمراكز والنواحي يكرهون الحكم الإمامي ويلعنون الوضع الإمامي . وكان الجميع يريدون الخلاص من حكم قد أمات في الشعب الحرية والكرامة والتطور وأغرقه في الجهل والفقر والمرض ورماه في السجون .

وها هي الأحداث تتوالى بتقارب وسرعة ، فها هو اللقية والعلفي والهندوانة قد عرفوا بوصول الامام الى مستشفى الحديدة ، وقد انتظروا وصوله وأعدّوا انفسهم إعداداً شجاعاً للقضاء عليه ولو ضحوا بنفوسهم . وفعلا لما وصل الإمام الى المستشفى ودخل بعض أجنحته أطفأوا الإضاءة في المستشفى ولحقوا به بسرعة وأمطروه وابلا من رصاصات مسدساتهم ، فخر على أثر وقوعها صريعا على الأرض مضرجا بالدم الذي ينزف من أكثر من مكان في جسده ، وداسوا عليه بالأقدام متأكدين من نهايته وانصرفوا بعد ذلك ولكن الامام كان يتماوت خادعا لهم ولم يمت .

وقد أجريت له كل الاسعافات الأولية ، وحين عرف الأبطال نجاة الإمام كانت المحنة . فقد قتل العلفي نفسه هروباً من البهدلة والتعذيب ، وتم القبض على اللقية والهندوانة في داخل مدينة الحديدة ، وتم سجن عدد قليل كانوا متهمين بارتباطهم بالعلفي واللقية أمثال الشهيد محمد الرعيني والأستاذ حسين المقدمي ومحمد رفعت وحميد القماسي وآخرين . وقد تعرض الهندوانة واللقية في السجن الى معاملة قاسية وتعذيب وحشي رهيب ولكنهما كانا شجاعين فقد

صبرا على كل ما وقع عليهما وخاصة اللقية المعروف بالنضال المتواصل والوفاء الوطني حيث عاش فترة طويلة وعنده الكثير من المعلومات والوثائق والأسرار لكثير من الأحرار الوطنيين . لهذا فقد اختصّوه بزيادة التعذيب للضغط عليه واخذ الاعتراف والأسرار منه بالقوة ، غير أنه مع كل ما تعرض له لم يفض بسر ولم يفه باسم زميل ، وكان شجاعا باعترافه بالاقدام على اغتيال الامام ومؤمناً بشرف التضحية ، وكذلك الهندوانة الذي لم يكن بقل شجاعة وتصميماً عن زميله اللقية وقد قتلوهما وصلبوهما وأراحوهما من التعذيب الخبيث .

وأذكر هنا ـ اننا قبل الثورة بأشهر اجتمعنا في ضواحي منطقة بدعان القريبة من طريق الحديدة ـ صنعاء وقد ضم الاجتماع عدداً من الزملاء من بينهم الأخ المشير عبدالله السلال والأخ عبدالله الضبي والأخ حسن العمر والشيخ محمد علي عثمان والأخ عبد الغني مطهر والأخ علي محمد سعيد وآخرين لا أذكرهم الآن وقد تناول النقاش في هذا الاجتماع الأوضاع وما وصلت إليه البلاد، وبعد التدارس تم الاتفاق على القيام بالتخطيط للثورة. وهذا الاجتماع تم في منزل الأخ العقيد عبدالله الضبي ليلاً حضره كل الذين اجتمعوا في بدعان وكان بين الحاضرين الأخ حسين عنبه .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أذكر الدور الذي قام به الأخ الأستاذ عبد الملك الطيب والأخ الأستاذ محمد عبد الكريم الصباحي اللذان بذلا جهداً كبيراً في إعداد المنشورات وتوزيعها قبل الثورة ، وفي نشر الوعي بين الشبان وفي أوساط القبائل . كذا لا انسى الدور الوطني الثوري الذي قام به الأستاذ أحمد المروني والأستاذان عبد العزيز المقالح وعبد الوهاب جحاف فقد ساهموا بكل ايمان وإخلاص ، وقبل الثورة مباشرة أوكلت اليهم مهمة صعبة وهي الإذاعة وتوعية حاميتها ، وكان لهم مواقف شجاعة وفضل كبير في تعبئة الضباط والطلاب أولاً ثم في الساعات الأولى للثورة وإيقاظ الشعب وتوعيته .

ومن ذكرياتي التي لا أنساها أن جماعة من كبار مذيعي القاهرة وصوت العرب ومن صحفييها قد وصلوا الى صنعاء عقب ثورة سبتمبر (أيلول) بشهر أو أكثر، كما أذكر أنهم في اليوم الذي وصلوا فيه طلبوا من الأخ الرئيس المشير

عبدالله السلال مقابلة صحفية وتم ذلك في القصر الجمهوري ثم بعد ذلك طلبوا مني مقابلة . وتم ذلك في اليوم نفسه . وفي ما أذكره أنهم وجهوا الي سؤالاً يقولون فيه متى بدأ التفكير في القيام بالثورة ضد حكم بيت حميد الدين فأجبت عليهم أن النضال ومطالبة الحاكمين بالإصلاح وتغيير الأوضاع بدأ من الثلاثينات ولما لم يجد المناضلون تجاوباً بل وجد العكس من ذلك ، السجون والنفي والتشريد ، بدأوا ينقدون الأوضاع ،يحذرون الحاكمين من الاستمرار . وبعد ان وصلوا الى درجة اليأس فكروا في الثورة واستمر الصراع وما تعاقب عليه من الاغتيالات والاعدامات حتى انتهى بثورة سبتمبر (أيلول) المجيدة .

ثم وجهوا اليّ سؤالا آخر : ما هي الأدوار البارزة والرئيسية التي قام بها الدكتور عبد الرحمن البيضاني في التحضير لثورة اليمن والإعداد لها ؟ فقلت إننا ما عرفنا الدكتور عبد الرحمن البيضاني ولا سمعنا عنه إلا في الأشهر الأخيرة قبل الثورة . وسمعنا الأخ المناضل عبد الغني مطهر ، أحد تجار تعز وهو يتحدث عنه ، حين قال : يوجد في القاهرة الدكتور عبد الرحمن البيضاني وهو من أصل يمني ، وعنده الاستعداد للقيام بدور إعلامي يهاجم فيه الحكم في اليمن والحاكمين . وقلنا كما يقول المثل اليمني « حيا الله بالمليحة من أين ما جاءت » . ولم يمض أكثر من أسبوعين حتى سمعناه يتحدث من « صوت العرب » في القاهرة ويكتب في صحيفة « روز اليوسف » ولم نكن نستريح الى بعض ما نسمع وما نقرأ له ونستريح الى البعض الآخر . وكان الشهيد المناضل الأستاذ محمد محمود الزبيري ، وهو في القاهرة يحذّر من في الداخل من أن ينخدعوا بما يسمعون عن البيضاني ويشير الى أن البيضاني يعمل في الخفاء لجهات غريبة . . .

ملاحظة :

من يتأمل ويقارن بين انقلاب عام ٥٥ وبين الهجوم أو الحدث التاريخي الذي قام به اللقية والعلفي والهندوانة يحكم على الطاغية أحمد بالجبن واللؤم والفجور في الخصومة ، وذلك في الانقلاب الذي قاده البطل أحمد الثلايا . وبعد أن صبّوا على قصر الإمام الرصاص بأنواعه المختلفة وحاصروه ونصبوا بعده

أخاه عبدالله إماماً ، كان الخلاف البارد بين من يريد التخلص من الإمام ومن يريد الإبقاء على حياته . فقد أبقوه أخيراً في قصره حياً يتمتع بما يتمتع به مع كل أسرته وحاشيته بحسب العادة . ومع هذا فقد دبر الامام أحمد الانقضاض على الثوار ولم يرحم الذين أبقوا على حياته ، فقتل بلا خجل ولا وجل مجموعة كبيرة من الأخيار كما سجن مجموعة كبيرة وشرّد الكثيرين . والسبب أن شجاعته ومعنوياته مستفادة من غيره وليست أصيلة فيه . ولكن وضع الامام بعد الحدث التاريخي الذي تبناه الأبطال الثلاثة اللقية والعلفي والهندوانة وبعد أن ضربوه بالرصاص وأهين وداسوه بالأقدام ، وعرف بان معظم الشعب قد ارتاح إما علناً أو سراً ، جبن من التوسع للانتقام وحصر الانتقام والتعذيب والقتل على المباشرين فقط والذين ضحوا بحياتهم من أجل تكريم الشعب .

أجل ، إن أعزّ ما لقيه الإمام في نظر الشعب هو بقاؤه حياً لمدة عام ونصف عام ، فكان يقتل في كل يوم ويصرخ من الإهانة ودوسه بالأقدام ، كل يوم ويتعذب ويعذبه ضميره ، وكأن الأمام كان يردّد المثل « الجزاء من جنس العمل » كل يوم كان يتمنى الموت ليرتاح مما يلاقي من عذاب المرض بسبب الرصاص المزروع في معظم جسمه ، حتى لقد اصبح التطبيب وما فيه من تركيز وعناية لايفيه ولا يخفف من حدة المرض ، فضلا عن طرد المرض من جسمه ، بل كان التطبيب يمدّ من حياته ليزداد مرضا وقلقاً ، وتردّد على ذاكرته ما لم يعرف في الماضي ، فقد صار حبيس الجدران مربوطاً في رجليه وفي إحدى يديه الى سرير طبي مرتفع خاص وملائم لوضعيته الجسمية والمرضية . إن الأطباء من هنا وهناك وبرغم ما بذلوا قد يئسوا من عودة الصحة الى جسم الإمام المتداعي والممزق . وقد أزعج الإمام أن الحاشية والخدم والمحبين عرفوا أنه لا أصل للشعوذة والأساليب التي كان يمارسها ويخدع بها المغفلين ، واتضح من الواقع والحقيقة أنه لا شعوذة ولا محبّون ولا عبيد ولا خدم يستطيع بعضها أو كلها ان تبقيه جالساً على هيئة قعوده التي كان يعتادها ، أو ترجع له حتى البسمة العادية ، فضلا عن عودة ما كان يدعيه من الخيلاء والغرور .

إن الامام قد قتل الكثير من أفراد الشعب وكان يصفي حياة من يقتل

بسرعة ، لكنه هو قتل ببطء طيلة الأيام الكثيرة والشهور العديدة .

ولقد بتر الامام اياديَ وأرجلاً أو ربطها بالمغالق الخشبية أو الحديدية أو بالحبال بالقسوة والغلظة ، ولكن رباط الإمام وعلى تلك الوضعية فيها العبرة والعظة ولو كان الرباط طبياً ومن طراز جديد .

ان الهول والأنين والبكاء والصراخ من الإمام أمام الأسرة المالكة والحاشية والخدم كان يعتبر نسيماً أو نغماً يخترق بيوت أسر الشهداء والمشردين والسجناء والمظلومين والمكلومين. إن الإمام احمد كان يحمل نفسه أكبر من إنسان أو فوق بني الانسان وكان يهيل على شخصيته ما لا يجوز من الأبهة والشعوذة ، ولكن بعد التي واللتيا تحول الى الإنسان الطبيعي وقد يكون أصغر وأبسط من الإنسان لانه يعيش القلق والخوف ويحس بما قد ارتكب من جرائم بحق الشعب الى حد انه اهتز ، وهو مهزوز العقل من الأصل ، حتى ترك الحكم وما في القصور من أموال للنساء وحق الأوامر والادارة كانت بيد النساء وهكذا فإن عدالة الله تمهل ولا تهمل وان العدل يعمّر والجور يدمّر :

وكل بنيان قوم لا يقوم على   دعائم العدل من ركنيه منصدع

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تُجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ، ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أوّل مرةٍ وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطع بينكم وضلَّ عنكم ما كنتم تزعُمون ﴾ (سورة الأنعام) .

هذا وما زالت مثابرة الأحرار مستمرة وظلّوا مصممين على التخلص من الإمامة ، مقتنعين ان هذا هو وحده الذي يخدم مصلحة الشعب وان وعي الناس قد تصاعد كما أشرنا ، ولا ننسى في هذه الفترة تجمع طلاب المدارس في صنعاء وتجاوب الطلاب في تعز حيث قاموا بمظاهرة صاخبة مدوية كلها ضد حكم الإمامة المتحجر وسوء تصرفها في الشعب ومطالبته بالاصلاح والتعليم

والتطور ، وهذا مما قد زاد الإمام فوق خوفه خوفاً وحسب حسابه لتلك المظاهرة للتجمعات الطلابية الكبيرة وقد أمر بإلقاء القبض على من استطاعوا القبض عليه في المدن وزجوا بهم في السجون ثما فرّ الكثير من قبضتهم .

اما القوات المسلحة ، وخاصة الشباب المتخرجون من الكليات الحربية والطيران والشرطة وصف ضباط ، فقد كانوا متسلحين بالوعي وعلى اتصال بالأحرار المدنيين وغيرهم في صنعاء وتعز . وقد كان هناك مخطط لمهاجمة المشلول احمد من مجموعة من الضباط الموجودين في تعز والمستعدين لتنفيذ المهمة بحسب الاتفاق مع زملائهم الموجودين في صنعاء . إلا أن المفكرين من المدنيين والعسكريين وبعض المشايخ والذين قد مروا بعدة مراحل من التجارب دعوا الى التأجيل المؤقت والدراسة ، وعرفوا بعد التدارس أن اهم أسباب الفشل هو التدخل من الآخرين من خارج البلد ، سواء كان ذلك من الجنوب أو الشمال ، وأكدوا بضرورة وجود النصير المساعد الذي سيحمي ثورة الشعب من أي تدخل خارجي ، هذا وعلى ذكر ضرورة وجود المساعد والحماية للثورة ، وهي الثورة الختامية للشعب ، نستطرد أو نذكر كل قارىء ومتابع من الشباب لتاريخ الشعب بأن كل الثورات التي قامت في الشعب اليمني بكل تحركاتها ومسمياتها ومختلف حجمها يمنية التخطيط والتفكير ، وكل الأحرار المصلحين والمباشرين والمسجونين والمشردين والمشاركين من مات منهم أو بقي حياً يمنيون .

والغريب الذي يستنكر له أن هناك من يتفلسف ويهرف بما لا يعرف ويحرف الحقائق ويوزّع نضال اليمنيين وجهدهم وما قدموه من ضحايا الى هنا وهناك ، وينسبه الى الآخرين من غير اليمنيين . فحذار للقارىء أن تنطلي عليه مثل تلك الأكاذيب أو تخدعه تلك السطور التي يتعب كاتبها في الحبك والتنميق ، وهو كذب وافتراء لا يجوز لمن عنده ضمير ويحمل أمانة الكتابة ان يحرف قضايا تاريخية على مزاجه وعلى ما يريد وهو وراء الحلفة ويبعد من المشاركة ولا يستقي في كتابته الخبر الصادق من الأحرار المهتمين العارفين والمشاركين في القضية الوطنية ويضلّل الآخرين خاصة الشباب الذين لا يعرفون القضية ولا

زاموا عهد الطاغية احمد ، فضلاً عن عهد والده الامام يحيى ، وسواء كان هذا التحريف بقصد التخريب أو بدون قصد وعلى طريق الحدس والتخمين والفلسفة .

وأخيراً نتكلم عن ثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) الظافرة والخالدة بجهاد وجهود اليمنيين الذين قاوموا الظلم والاستبداد والاستعلاء من حين بزوغه والذين قدموا الأرواح الكثيرة رخيصة ورووا بدمائهم الأرض وشجرة الحرية اليمنية التي لم تذهب رغم طول المدة وتكرار النضال هباء وسدى ، بل قد تكللت بنجاح الثورة السبتمبرية التي قضت على الحكم العفن ومخلفاته الى الأبد ، وأصبح الشعب ينعم بالثورة وبمنجزات الثورة الكثيرة ومنها على سبيل المثال التعليم الذي كان ضيقاً ومحصوراً في عهد الامامة على فئات في بعض المدن ، وكانت المدارس هي المساجد في أماكن محدودة أو مدارس قد أنشئت وعددها لا يتجاوز عدد أصابع اليد ، وللعلم ما كانت اقامة المدارس أو التعليم في المساجد عن رغبة صادقة من الإمام ولكنها كانت حينذاك دعاية الشكل سياسية المحتوى ، اما المدارس في الحاضر فهي منتشرة في طول البلاد وعرضها ، وهذا العلم هو نور وحق من حقوق المواطنين بدون تمييز أو احتكار جاء مع الثورة وأهدافها .

أما في حقل الصحة فقد كان الإمام يفرض التمائم والكيّ وما يعتاده الناس من الأعشاب ويحتكر الطب والعلاج لنفسه ولأسرته ومحبيه . ولم يبن في هذا السبيل اي عمارة عدا ما تركه الأتراك او ما بناه من مصحات في بعض المدن الرئيسية ، قاصدا بذلك التغطية . ولم يكن يستطيع الوصول الى مثل هذه المصحات المعدودة والخالية الا من استطاع اليها سبيلاً من الوجهاء والمقربين والقادرين وهم أقلية قليلة ، بينما الأكثرية يعانون المرض والموت . غير أن الثورة قد جاءت بالعدد الكثير من المستشفيات والمصحات والأطباء ، واعتبرت العلاج حقاً من حقوق الشعب ، وقد يسفر الى الخارج من استعصى علاجه في الداخل ، وقد كان هذا من المستحيل في أيام الإمام ولا يعرف مثله أبناء الجيل عن عهد الإمام .

أما المواصلات ، فقد كانت الإمامة تسعى لأن يظل اليمني يمشي على رجليه أو راكباً على الحمار أو الجمل اذا كان يمتلكهما ، بحيث تقضي على اللقاء والتجمع وما قد ينجم عنهما من تعارف لهذا لا تجتمع قرية بقرية أخرى أو عزلة بعزلة أخرى إلا بمشاكل ، ومن الصعب ان تلتقي ناحية بناحية أخرى أو محافظة بمحافظة أخرى . لهذا كانت الجفوة قائمة بين المواطنين .

لكن الثورة جاءت لتقضي على مثل هذه الجفوة واصبحت المواصلات البرية والبحرية والجوية تجمع بين الإخوة اليمنيين في الساعات التي كانت تقطع في أيام الإمام بالأيام والشهور .

كذا القوات المسلحة . فالجيل ما كان يعرف كيف كان الجيش النظامي الجائع الجاهل الحافي والذي كانت تقطع مرتباته القليلة مقابل قيمة الخصيرة والملابس الملونة والرديئة ، وكان يرجمه الإمام في التنافيذ فوق الشعب .

وقد كان الجيش الدفاعي اسماً بلا جسم ، قاصداً تغريم المواطنين بأنهم يجندون في كل المراكز بالقوة ويرمي بهم في العرضي لفترة ثم يتركونهم يطلبون بدلا عنهم من الآخرين ، وليس لذلك من مغزى غير التغريم والإلهاء والإذلال .

وكذا الجيش البراني ، الذي كان يجعل منهم عرائف وأفراد ويدفع لهم صرف من الطعام وشيء رمزي من النقود ويركز على الخلاف فيما بينهم وبين الجيش النظامي في المراكز .

وهكذا لم يكن باقياً مع الإمام في الأخير غير الجرمل يسلح به حرسه الخاص وعكفته وحرس أولاده . أما معظم الجيش فانه كان مسلحاً بما تركه الأتراك (كالموزر والبشلي والسك وكذا الأسلحة الثقيلة التي كانت اسلحة عتيقة وبالية) وما اشتراه في الأخير من ايطاليا من اسلحة ثقيلة كانت معدودة ومخزونة . والحاصل أنه ما كان يوجد مثله جيش في التخلف والجهل والعراء في أي شعب من الشعوب حتى المتخلفة والفقيرة . والمعروف الآن كيف اصبح الجيش تدريباً وتعليماً وتسليحاً وتنظيماً وغذاء وكساء وكفاية براً وبحراً وجواً .

كم نحن اليوم سعداء ومرتاحو البال والضمير بوجود الثورة والنظام الجمهوري ، ونرجو أن تنمو وتكبر ثورة الشعب وتنفذ أهدافها كاملة ويشمل خيرها جميع أفراد الشعب وينعم بالأمن والعدل والتطور والازدهار ، وألا تبقى أية شائبة من شوائب العهد المباد ومثالبه وأي شيء من مخلفاته التي تسيء الى الثورة أو النظام الجمهوري أو يستفيد منه أعداء الثورة ومن يحن الى العهد المنقرض الذي لن يعود .

هذا ما استطعت كتابته بجهد المقلّ وإني ما لبيت الطلب ووافقت على الكتابة إلا من أجل ما كان عندي من علم حول القضية ، وأعتبر أن في نشره براءة للذمة وتعريفاً للآخرين . ولا يجوز كتمان ما كنت عارفاً به ، بل ينبغي على المرء ان يقدم في سبيل الاصلاح ما لا يجوز فيه الادعاء والتزييف وحب الظهور .

وبالنسبة لثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) الخالدة فهناك تنظيم للضباط ومنهم من قتل أو مات في مواقف الشرف والتضحية والنضال ، ومنهم الأحياء الموجودون الذين نتمنى لهم العون والعافية ، وهم كثيرون وحريصون وأمناء وعارفون ما احتوى عليه التنظيم من الاعداد والأسرار كما يعرفون من كان منضماً وموجوداً في التنظيم ومن كان خارجاً وبعيداً عن التنظيم .

ونرجو الله مخلصين ان يكفينا دواعي الهوى وان يجعل التوفيق لنا قائداً والعقل لنا مرشداً وأن يحقق آمالنا في ابنائنا ويتولاهم بعونه وعنايته وان يحقق على أيديهم ما نرجوه لبلادنا من خير وسعادة ومن عزة وكرامة .

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

الخاتمة

لقد كان الحافز للكتابة الأمانة التي اعتبرها ذمة في عنقي ، وسأظل أكتب خاصة عندما أقرأ الخلط الغريب والعجيب من بعض الأقلام . وسواء كان الخلط مقصوداً أو غير مقصود فان فيه البعد كل البعد عن القضايا التاريخية

والمصيرية للشعب اليمني . وقد تحول مثل هذه الأقلام عواصف الشعب الهادرة والغاضبة بالأحداث والانتفاضات والثورة وقتل الكثير من اليمنيين وتعذيب الكثير في السجون وكل ما قدمه اليمنيون من بذل وفداء في الأرواح والأعراض والأموال في عهد الإمامة التي كانت تحتفظ لنفسها بالهالة والقداسة التي ما انزل الله بها من سلطان وتعتبر نفسها كل شيء وفوق كل شيء . وما سواهم اصغر من كل شيء أو ليسو بشيء ، وان الداعي للخير والاصلاح والتطوير مغامر يستهدف من الشرور كل شيء وحتى التصفية من الحياة . ان مثل هذه الأقلام التي تسخر من الشعب اليمني وتهزل بتضحياته وثورانه وثواره وتوزع كل جهوده على غير اليمنيين . وعلى دول أخرى هي أكبر دافع للكتابة كحفاظ على القضية اليمنية وتأريخ القضية اليمنية وجهود ابناء اليمن . إنه لم يمر على النضال اليمني الا عشرات السنين ومن بعد الثلاثينات والكثير ممن قدموا أو استشهدوا ما زال الكثير من المشاركين وغيرهم احياء يعرفون القضية اليمنية مع الإمامة الحميدية التي جثمت على الشعب اليمني بكوابيس الظلم والظلام والتخلف في كل مرافق الحياة . .

لقد كنت منتظراً أن أقرأ ما سيكتبه الآخرون من أبحاث تاريخية للقضية اليمنية مع الإمامة الكهنوتية الحميدية ، وعندهم المعرفة التامة من البداية حتى النهاية وهم يملكون الطاقة والكفاءة للكتابة ، ولكنهم تأخروا وليسوا بمعذورين عن التأخير وخاصة وهم يقرأون ما يُكتب من مزايدات وأخطاء وأغلاط وذلك عن التحركات والتضحيات اليمنية وكنت أنا حريصاً على الصوت لما أشرت اليه من عوامل الصحة كما اني كنت الحريص على كتمان الحديث عن دوري أو دور من شاركوا في مناهضة الحكم الإمامي . وأعتبر أن ما عمله وقدمه أي يمني مخلص في ولائه لوطنه ما هو إلا واجب عليه أو هو من أهم الواجبات الدينية والدنيوية وليس له أن يطلب من وراء ما قدمه لا جزاء ولا شكورا بأكثر من أن يكون العمل خالصاً لوجه الله سبحانه ومن اجل صالح الشعب الذي نكب بأسوأ حكم .

وفي الختام أكرر رجائي لمن يكتب عن القضية اليمنية أن يتحرى الأمانة

والصدق ويبتعد عن الأنانية والمزايدة كما أرجو للقارىء وخاصة من أولادنا الشباب الطامحين أن يكونوا على بصيرة مما يقرأون ولا سيما الذين لم يعرفوا عهد الإمام يحيى ولا عهد الإمام احمد وأصبحوا من جيل الثورة السبتمبرية. إن عليهم أن يبحثوا حتى يصلوا الى صدق ما يروى عن القضية اليمنية ، معتمدين على طاقاتهم العقلية المتحررة من أمراض التعصب والتقليد الأعمى وما زلنا نأمل من بعض الاخوان المشاركين والفاهمين للقضية اليمنية ان يكتبوا باستيفاء واسهاب ليعرف القراء القضية كاملة غير منقوصة وغير مغلوطة . . .

رسالة من الأستاذ محمد محمود الزبيري

إلى القاضي عبدالسلام صبره وزملائه الأحرار قبل قيام الثورة بعام واحد

صنعاء ٢٠/٦/١٩٦٢

إخواني الأعزاء أبقاكم الله

من طبيعتي عدم الميل إلى المراسلة إلا عند الضرورة القصوى، وعندما يحدث شيء كبير يجب التفاهم عليه. ولست أجهل أهمية المراسلة والاتصال، ولكني رجل شديد الحذر شديد الاحتياط، وأخشى دائماً عليكم أنتم من المراسلات الطائشة التي للبس من ورائها طائل، وأنا طوال هذه المدة لم أكتب إليكم شيئاً بصفتي الشخصية لسببين: أولا لأنني كنت متعاوناً مع الجماعة ولا أجد لنفسي طريقاً خاصاً للاتصال ولست مطمئناً الى طريق الآخرين في أسلوب الاتصال، وثانياً لأنه لم يحدث تطوّر هام يستلزم المراسلة الخاصة، ولك الرسائل التي وصلت إلي منكم، كنت أعمل بما فيها حرفياً، وأقدّسها تقديساً، وأحاول أن أحقق رغبتكم وآمالكم وأحصل على كل مطالبكم ولكني لا أنجح ولا أجد في الأمر جديداً. والموقف منذ كان الشرفي عندنا حتى اليوم هو نفس الموقف، وكل الذي جربناه، وكل المحاولات التي حاولها هو، لا يزال كما كان لم يطرأ عليه تغيير. من أجل ذلك كنت أرى أنه لا لزوم للمخاطرة برسائل تعرّضكم للضرر وليس فيها جديد.

إنني كنت أعرف مطالبكم وما تريدونه عند حدوث التطورات المتعددة، وكنت دائما أعاود المحاولات والمطالبات باسمكم، ولا أظفر بشيء جديد غير الكلام الذي سمعه الشرفي بنفسه.

ذلك هو ما حصل في الماضي، ثم تطور الأمر تطوراً خطيراً.

جاء عبدالرحمن البيضاني الذي عرفناه دائماً من الأذناب الأذلاء، أول ما عرفته

بعد عام ٤٨ وسمعت عنه وأنا في باكستان وهو يعقد المؤتمرات الصحفية لحساب الإمام ويبرر ذبح الأحرار ويرميهم بالخيانة، ونحن الأحرار في الداخل والخارج نكابد الأهوال والآلام وظل كذلك ذنباً مخادعاً عشر سنوات تقريباً.

جاء هذا الرجل من المانيا فجأة وقد أصبح من الأحرار الكبار ومن الأبطال وصار يتحدث عن بطولاته المزعومة الخيالية وكانت الفكرة الوحيدة التي ينادي بها هي ثورة القحطانية ضد الهاشمية لأنه يعرف ان لها انصارا متحمسين يمكن أن يخدعهم.

وقد خامرني الشك في موقفه لأني أعرفه مهرجاً ومخادعاً ولا يمكن الثقة به وكل حذر هو من أجلكم ومن أجل القضية. أما نحن في الخارج فلن يضرنا شيء حتى ولو تعاونا مع الأبالسة.

إن الناس يعرفون عني أنني جواد طيب القلب وعرضة للانخداع. والحقيقة أني أشد الناس حذرا وقد رفضت التعاون مع البيضاني إلا في حدود المجاملات والأعمال العامة. وأخيراً رأيت الجميع وقد وافقوا على رأيي وقرروا عدم التعاون مع هذا الرجل الخطير وقررنا بالاجماع ابعاده عن جماعتنا وحاول مراراً ان يقنعنا بالتعاون فكررنا الرفض وأصررنا عليه والقصة بيننا وبينه طويلة جداً.

عندما تعاونا معه في البداية تعاوناً شطحياً كان شرطي الوحيد أن يكون الانصال بالداخل من اختصاصي وحدي ولي حق تقرير الخطة السرية للمراسلة والتخطيط، وكان غرضي من ذلك هو صيانة أسماء الأحرار وأسرارهم وابعادها عن مخاطر البحث الجماعي وكشفها لعدد كبير من الأشخاص ووضعها في ملفات.

ولكن البيضاني راح من وراء ظهري وتفاهم مع بعض الإخوان قبل أن يتصلوا بأحرار الداخل دون علمي ثم اختلفوا بعد ذلك وخادعوا البيضاني بكتابة كلامه في شفرة مزيفة، كل ذلك كان دون علمي ثم عرفت الحكاية بعد ذلك وعاتبت الجميع واتفق الجميع بعد الغاء الاتحاد الفيدرالي وابعاث الأمل في عون الجمهورية - اتفقنا جميعاً على التخلص من البيضاني نهائياً.

ولكن البيضاني بمظاهر الفخفخة الفارغة والأبهة ولقدرته على التظاهر والخداع استطاع أن يخدع بعض المسؤولين الكبار في الجمهورية العربية وهم لا يعرفون عن قضية اليمن شيئاً ثم أعلن ثورة القحطانية ضد الهاشمية ليخدع الشعب ويخدعكم

أنتم ويتصل بكم منفرداً ثم يخدع المسؤولين في القاهرة ويوهمهم انه أصبح قائد الحركة وأن الرجال المهمّين يتصلون به وحده ويثقون به ولا يثقون بنا، وهكذا سلسلة من الخداع والحيل والمناورة حتى أصبح بالفعل ماسكاً بأزمة القضية مطلعاً على أخطر الأسرار والأسماء وصار هو المرجع الأول والأخير.

فهل يجوز أن يتحول جهاد كل الأحرار منذ أكثر من عشرين عاما نهباً مباحا لهذا الذنب الإمامي العريق؟

وهل يجوز أن يصبر مثل هذا الشخص قائدا مؤتمناً على الرقاب والدماء والتخطيط وتراث الأحرار ورصيد الأحرار وشرف الأحرار بينما نكون نحن مبعدين عن ذلك مكتوماً عنا كل شيء بينما يتحول جاسوس الإمام الى قائد للحركة الثورية...؟

لقد أصبح البيضاني هو الزعيم الأوحد حتى ان بعض الرسائل التي ترسلونها أو يرسلها الى واحد من اليمن الينا بواسطة بعض الموظفين المصريين لا تسلم الينا بل تسلم اليه، إلى الزعيم البيضاني الأوحد.

إن البيضاني أغراكم بفكرة القحطانية وأنتم لا تتصورون ما وراءها. إن الأحرار سيدفعون ثمنها غالياً. فإن البيضاني لا يقصد بها إلا تمزيق القوة الوطنية في اليمن الأعلى ثم يعتمد بعد ذلك على إثارة العصبية بين الشافعية والزيدية. وباعتباره من القسم الشافعي ولأنه لا يملك رصيدا في الحركة الوطنية فيكتل حوله قوة شافعية يعتمد عليها للقضاء على كبار الأحرار في اليمن الأعلى بصورة خاصة لأن اكثرية الأحرار البارزين من هناك. ومن السهل عليه الخلاص من عمان وبذلك يصبح هو الزعيم الأوحد بحق. ونحن والله لا ننافسه في زعامة ولا في منصب ولا جاه ولكن نعرف أن الرجل يشعر بالنقص عندما يقارن بين نفسه وبين قادة الأحرار الذين لهم رصيد وطني عظيم ولهم شعبية عند الجماهير. وبسبب ذلك ولأن له نفوذه الكبير عند بعض المسؤولين المصريين فيكون همّه الأول التخلص من الأحرار الكبار جميعاً حتى يخلو له الجو وحده. فهل تقبلون أن يصبح مصيرنا جميعاً بعد كل العناء والعذاب والتشرد هو أن نتشرد من بلادنا من جديد أو نصبح تحت رحمة هذا الرجل عبيداً أذلاء؟ إن هذا هو المصير الذي نحس به، فنحن نعرف ما لا تعرفون.

إنه يقول للمسؤولين بأن الأحرار جميعاً يؤيدونه في الداخل وحده ولا نعرف ماذا حصل: هل اتصل بكم فعلاً وهل اختصصتموه بالتأييد وهل اعتبرتموه ممثلكم الاوحد عند الجمهورية وهل حذرتموه من اطلاعنا على أي شيء؟

انا لا ندري ما هي الحقيقة ولكن الذي نعرفه وندريه هو انه أصبح المسيطر على حركة الاتصال بالداخل وعلى كل شيء.

فإن كنتم أنتم قد رضيتم لهذا الرجل ان يصنع كل الذي صنع وتفاهمتم معه حقاً من وراء ظهرنا فأنا يعلم الله ما قاطعته ولا حذرت الآخرين منه إلا خوفاً عليكم وحرصاً على أسراركم، ولأني اعرف الرجل معرفة حقيقية ولم أشأ ان أتحمل مسؤولية تقديم رجل لأمانة القضية وانا لا أثق به.

ولكن إذا كنتم قد فعلتموها ولم تحسبوا لكرامتي حساباً وأنا هنا منذ عشر سنوات أمرّغ وجهي في التراب من أجل مساعدتكم على القيام بالحركة فأنا لا أعتب عليكم ولا ألومكم فأنتم أحرار تستطيعون أن تعملوا مابدا لكم، وكل ما أريده منكم ان تصارحوني بالحقيقة سريعاً.

وإن كنتم لم تعرفوا ما حصل فكل رجائي بحق الأخوة المقدسة بيننا ان تستردوا اعتباري وتبيضوا وجهي وتحتجوا لدى المسؤولين المصريين على وضعهم مصير القضية في يد رجل دخيل على القضية وتكتمهم عنا بصورة تجرح كرامتنا وتظلم تاريخنا وتجحد حقنا ومركزنا في قضية بلادنا.

إنني اعتبر نفسي واحداً منكم، فكما أنني لا اقبل أن استبدل عنكم محمد علي زباره الجعلي فكذلك لا أعتقد انكم تستبدلون بنا شخصا كالبيضاني وأضرابه.

وهل تقبلون مثلاً اهمال سنان ومحسن وامثالهما من المخلصين الصادقين وتمكن النكرات المنكرات في مصير القضية؟..

لقد طلبنا سنان للحضور الينا من عدن وظل هنا مدة طويلة ولم يحصل على نتيجة ثم سافر لبنان في خيبة الأمل، وكنت أنا أعذر الجمهورية لأنها حرة في اختيار عدم التدخل ولكنه لما تبين لي ان الأمور كلها أصبحت في يد البيضاني وانه يقوم بنشاط عجيب اندهشت جداً وتألمت، لأن معنى ذلك هو الغاء كل ثقة بنا جميعاً وإهدار لكرامتنا بل ان المعنى قد يكون أخطر من ذلك كله وهو الضيق بالأحرار البارزين وتدعيم الشخصيات التافهة النكرة. ولن يقف الأمر عند هذا الحد بل انه

سيتطور الى حد ان نتعرض في المستقبل للاضطهاد جميعا. وهذا نذير خطير لنا إذا لم نثبت وجودنا منذ الآن.

وكل ما نحتاج إليه هو الاحتجاج والإصرار على حقكم في اختيار من يمثلكم في الخارج دون تهاون. تصوروا أن أبو زيد لا يقبل أن يتصل بنا ولا ان يجتمع بنا وانه كان يهرب من الشيخ سنان وفي الوقت نفسه لا يمل من زيارة البيضاني ولا يقطع أمرا دونه. ان الطيور على اشكالها تقع.

بقيت مسألة أخرى لعلها في نفوسكم وهي ما تسمعونه من شكوى ضد الأستاذ نعمان وقد يقال لكم إننا وإياه جبهة ممتزجة والحقيقة أن الأستاذ نعمان في هذه الأيام لم يعد له نشاط في القضية أصلاً وانه مشغول بشؤون الطلبة وكلية بلقيس. وليس بيني وبينه غير الصداقة الشخصية والحفاظ على تراث الحركة في الماضي ولكنا فيما عدا ذلك كل منا أصبح في واد مختلف وقد أصبح هذا الواقع مفهوماً بيننا وكل منا راض بموقفه. ومع ذلك فالبيضاني لا يساوي قلامة ظفر نعمان من حيث مكانته وتاريخه وأهميته. فالعجب كل العجب لمن ينكرون التعاون مع نعمان ويتعاونون مع البيضاني.

ملاحق

أسئلة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الدراسات والبحوث اليمني
ندوة توثيق تاريخ الثورة اليمنية

« التاريخ أمانة والأمانة أشفقت
من حملها الجبال »

استمارة أسئلة رقم (٣)

أسئلة للمشاركين في ثورة
٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢

معلومات شخصية أولية :

الإسم كاملا ________ تاريخ ومكان الولادة ________
القرية ________ اللواء ________ محل الاقامة حاليا ________
الأقامة عام ١٩٦٢ ________ مصدر معيشة العائلة حينذاك ________
الحالة الاجتماعية في ذلك الحين ________ التعليم ومكانه ________
المهنة ________
الأعمال السابقة ________
العمل الحالي ________

نرجو من الآباء والإخوة الذين شاركوا في أحداث ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ بجانب تنظيم الضباط الأحرار التكرم بتسجيل معلوماتهم ودورهم من خلال الإجابة على الأسئلة في هذه الاستمارة .

س ١ ـ كيف بدأ وعيكم بفساد النظام الإمامي ، وما هي العوامل والأحداث التي أسهمت في تكوين هذا الوعي ؟

س ٢ ـ كيف ومتى بدأ اتصالكم بالحركة الوطنية اليمنية ، ومن هم الأشخاص الذين تمّ الارتباط بهم في العمل الوطني ؟

س ٣ ـ هل شاركتم في الإعداد لثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ ؟ وهل لكم أيّ دور في صياغة أهدافها ؟ (مع ذكر الزملاء الذين اشتركتم معهم في الإعداد للثورة) .

س ٤ ـ ما هي المصادر السياسية والفكرية التي تأثرت بها ثورة ٢٦ سبتمبر في نظركم ؟

س ٥ ـ هل كانت لكم علاقة بتنظيم الضباط الأحرار ، ومن هم الأشخاص الذين كانوا يشكّلون حلقة الإتصال بينكم وبين تنظيم الضباط المذكور ؟

س ٦ ـ هل وجدت أي علاقات بينكم وبين تنظيمات أو جماعات سياسية أخرى قبل الثورة غير تنظيم الضباط الأحرار ؟

س ٧ ـ كيف كنتم تتصورون الحكم البديل لنظام الإمامة قبل الثورة ؟

س ٨ ـ ما هي معلوماتكم عن الظروف العامة المحيطة بالعمل الوطني قبل الثورة من حيث :

- وضع الجيش وحجمه وتسليحه وتدربه وعلاقته بالسلطة والشعب .
- الصراعات داخل الأسرة الحاكمة .
- موقف القبائل من السلطة الحاكمة .
- المدارس وأنواعها وعدد الطلاب ومستواهم الاجتماعي .
- الخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى .
- الادارة والقضاء ونظام الضرائب والجباية .

- التنافيذ ونظام الرهائن وأوضاع السجون .
- الانتاج المحلي والنشاط التجاري .
- علاقة الإمامة بالأنظمة العربية المحيطة وغيرها .

س ٩ ـ أين كنتم عند قيام الثورة وما هو الدور الذي حدد لكم في عملية تنفيذ الثورة ؟

س١٠ ـ هل تم تنفيذ الثورة حسب الخطّة التي وضعت ؟ أم وجدت ظروف اخرى أدّت الى التعديل في عملية التنفيذ ؟

س١١ ـ ما هي المواقف الحاسمة والحرجة في نظركم عشية تنفيذ الثورة وكيف تم معالجة هذه المواقف ؟

س١٢ ـ ما هي القوى التي شاركت في تنفيذ الثورة (من العسكريين ، والعلماء ، والقبائل ، والتجار ، والمثقفين ، وغيرهم) ؟

س١٣ ـ هل لديكم أي معلومات حول علاقة ثوار ٢٦ سبتمبر بقيادة الثورة المصرية في مرحلة الإعداد للثورة ، وكيف كانت تتم هذه العلاقة ؟

س١٤ ـ هل وجدت أي علاقة من جهات أخرى غير مصر في مرحلة الإعداد للثورة ؟

س١٥ ـ كيف تم تشكيل مجلس قيادة الثورة ؟ وما هي ظروف تشكيله ؟

س١٦ ـ من هي القوى التي كانت مؤثرة على القرار السياسي في الأيام الأولى للثورة . . تنظيم الضباط الأحرار ، أم مجلس قيادة الثورة ، أم هناك قوى أخرى ؟

س١٧ ـ ما هي العوامل التي دفعت الى اتخاذ قرار دعوة القوات المصرية لدعم الثورة اليمنية ؟ وكيف تم ذلك ؟

س١٨ ـ كيف تم تشكيل الحرس الوطني وما هو دوره ؟

س١٩ ـ كيف كانت أوضاع الجيش اليمني وقوات الأمن قبل وصول القوات المصرية وبعد الثورة مباشرة ؟

س٢٠ ـ هل تذكر أسماء الشهداء وظروف استشهادهم ومواقفهم في مرحلة قيام الثورة وفترة الدفاع عنها ؟

س٢١ ـ هل استمرّ دور القائمين بالثورة ، وما هي الظروف الجديدة التي أدّت الى ظهور قيادات سياسية أخرى أو مشاركة في مرحلة الدفاع عن الثورة ؟

س٢٢ ـ ما هي معرفتكم بدور القوى التي دافعت عن الثورة والجمهورية منذ قيامها حتى حصار السبعين يوماً ؟ (من أبناء الشعب اليمني بشطريه) .

س٢٣ ـ ما هي المعارك والأدوار السياسية التي شاركتم فيها شخصياً ، دفاعاً عن الثورة منذ قيامها حتى حصار السبعين يوماً ؟

س٢٤ ـ هل لديكم معلومات عن الفئات السياسية التي حاربت ثورة ٢٦ سبتمبر ؟ وما هي الأساليب التي اتبعت من قبل القوى المعادية للثورة في تضليل أبناء الشعب اليمني ؟

س٢٥ ـ هل وُجدت فئات سياسية حاربت الثورة بقناعة عقائدية منها ؟

س٢٦ ـ ما هي معرفتكم بالدور الذي لعبته القوى الخارجية المعادية في دعم العمليات المضادة للثورة (عسكرياً وسياسياً) ؟

س٢٧ ـ ما هي الخلافات السياسية التي نشأت داخل الصف الجمهوري ؟ (مع ذكر أسبابها ومظاهرها) .

س٢٨ ـ كيف تقيّمون دعم الثورة المصرية للثورة اليمنية ؟ (الايجابيات والسلبيات إن وجدت على المستوى السياسي والعسكري) .

س٢٩ ـ كيف كان وضع القوات المسلحة اليمنية والأمن أثناء وجود القوات المصرية في اليمن ، وبعد عودتها الى مصر عام ١٩٦٧ ؟ وما الدور الذي قامت به القوات المسلحة اليمنية والأمن وقوات الشعب في

الاستعداد لصدّ الهجمة المعادية للنظام الجمهوري في مرحلة حصار العاصمة صنعاء ؟

س٣٠ ـ ما هي معلوماتكم عن مؤتمرات خمر وعمران وحرض وغيرها من المؤتمرات التي عُقدت بعد الثورة ؟ وما هو تقييمكم الشخصي لهذه المؤتمرات ودورها ؟

س٣١ ـ ما هي معلوماتكم عن المظاهرات الشعبية في صنعاء يوم ٣ أكتوبر عام ١٩٦٧ ، احتجاجاً على اللجنة الثلاثية ؟

س٣٢ ـ ما هو تأثير ثورة ٢٦ سبتمبر في نظركم على قيام الثورة المسلحة في الشطر الجنوبي من الوطن ؟ (على المستوى السياسي والعسكري) .

س٣٣ ـ كيف كنتم تتصوّرون وحدة الكيان السياسي اليمني للشطرين قبل وبعد قيام الثورة ؟ وهل وجدت أي علاقة بين التنظيمات السياسية التي تكونت في الشمال وتلك التي وجدت في الشطر الجنوبي من الوطن ؟

س٣٤ ـ هل لديكم وثائق أو مذكرات شخصية عن تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ الثورة ؟

س٣٥ ـ اذا كانت الأسئلة السابقة لا تغطي المعلومات التي لديك حول أحداث الثورة وتاريخها نرجو كتابة ما لديك من اضافات تحت عنوان :

معلومات وملاحظات اضافية .

ملحوظة :

الاستمارة التي سبق توزيعها في ندوة تاريخ الثورة اليمنية اعتبرت كمشروع ، وقد أعدّت هذه الاستمارة بعد التعديل .

استمارة استبيان رقم (١)

أسئلة للمشاركين في ثورة ١٩٤٨
وحركة انقلاب عام ١٩٥٥

كمعلومات شخصية أولية :

الاسم كاملاً :__________تاريخ ومكان الولادة :__________

القرية__________اللواء__________محل الاقامة حاليا__________

الاقامة ١٩٤٨__________محل الاقامة عام ١٩٥٥__________

مصدر رزق العائلة حينذاك__________

عمل الأب والإخوة الكبار في حينه__________

الحالة الاجتماعية في ذلك الحين ______ التعليم ومكانه ______

المهنة ______ الأعمال السابقة ______

____

العمل الحالي__________

بدايات الوعي الوطني: يتشكّل المناضلون من خلال تجاربهم النضالية ، ويزداد وعيهم بقضيتهم من خلال تأثيرهم وتأثُّرهم بمسيرة الحركة الوطنية . وباعتباركم أحد المشاركين في الحركة الوطنية ضد الطغيان الإمامي نودّ أن تسجّلوا معلوماتكم في ضوء الإجابة على الأسئلة التالية :

س ١ ـ كيف بدأ وعيكم بفساد أوضاع النظام الإمامي ؟

س ٢ ـ ما هي أهم العوامل والأحداث التي أسهمت في تكوين وعيكم الوطني ؟

س ٣ ـ هل يمكن أن تذكروا لنا أهم الكتب والمصادر الثقافية الأخرى التي تأثّرتم بها في البداية ؟

س ٤ ـ كيف كنتم تحصلون على هذه الكتب والوسائل الثقافية الأخرى كالمجلّات والصحف ؟

س ٥ ـ من هم الأشخاص الذين لعبوا دوراً رئيسياً في تكوين وعيكم الوطني في البداية ؟

س ٦ ـ هل كان هناك أفراد آخرون يشاركونكم اهتماماتكم الوطنية من الأصدقاء والأقارب ، وكيف ؟

الارتباط بالحركة الوطنية :

س ٧ ـ كيف تحوّل وعيكم بفساد أوضاع الإمامة الى نشاط عملي لمعارضتها وتغييرها؟

س ٨ ـ متى بدأ اتصالكم بالحركة الوطنية ، وأين ؟

س ٩ ـ من هم الأشخاص الذين اتصلتم بالحركة الوطنية عن طريقهم سواء من الأصدقاء أو الأقارب وغيرهم ؟

س١٠ ـ هل كانت لكم أي صلة بتنظيمات أو جمعيات سريّة تدعو للاصلاح من داخل النظام الإمامي ؟

س ١١ـ كيف نشأت تلك الجمعيات والتنظيمات الأولى ؟ وما هي أهدافها ؟

س١٢ ـ أين تكوّنت هذه الجمعيات والتنظيمات ، وهل تذكر أسماء المؤسسين والأدوار التي قاموا بها ؟ وكيف تمّ انتقال بعض الأحرار الى عدن ؟

س١٣ ـ هل لديكم أي معلومات عن نشأة حركة الأحرار (المعارضة) ومن هم الأشخاص والجماعات الذين أسهموا في تكوينها (من العلماء والقبائل والتجار والعسكريين وغيرهم ؟)

س١٤ ـ ما هو دوركم الشخصي في تكوين حركة الأحرار ونشاطها ؟ وما هي المراحل التنظيمية التي مرّت بها الحركة حتى تكوين حزب الأحرار ؟

س١٥ ـ هل وجدت أيّ علاقة بين حزب الأحرار والتنظيمات السياسية الأخرى التي كانت موجودة في عدن ؟

الأهداف والمصادر الفكرية :

س١٦ ـ هل لديكم معلومات عن أهداف حركة الأحرار حين تكوينها ، وهل كانت هذه الأهداف مكتوبة ؟

س١٧ ـ كيف كنتم تفهمون شخصياً أهداف الحركة ونشاطها السياسي ؟

س١٨ ـ هل توفّرت في نظركم الوحدة الفكرية والسياسية في أوساط حركة الاحرار ، وهل وجدت أي تيارات أو انقسامات داخل الحركة ؟

س١٩ ـ ما هي المصادر الفكرية والسياسية التي تأثّرت بها حركة الأحرار اليمنيين خلال مراحلها المختلفة (من المدارس الفكرية ، والمصادر الدينية ، والتجارب السياسية وغيرها) ؟

س٢٠ ـ متى بدأت فكرة الجمهورية في تفكير الأحرار اليمنيين ؟

ظروف تكوين حركة الأحرار وعلاقاتها :

س٢١ ـ ما هي الظروف التاريخية التي نشأت فيها حركة الأحرار من حيث :

ـ وضع الجيش وحجمه وتسليحه وتدريبه وعلاقته بالسلطة ، والشعب .

ـ الصراعات التي بدأت تنشأ داخل الأسرة الحاكمة .

ـ ـ موقف القبائل من السلطة الإمامية .

ـ المدارس وأنواعها وعدد الطلاب ومستواهم الاجتماعي .

ـ الخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى .

ـ الانتاج المحلي والنشاط التجاري .

ـ الإدارة والقضاء ونظام الضرائب والجباية .

ـ التنافيذ ونظام الرهائن وأوضاع السجون .

ـ علاقة الإمامة بالانظمة العربية المحيطة وغيرها .

س٢٢ ـ هل لديكم أي معلومات أو وثائق عن العلاقة بين حزب الأحرار اليمنيين

الذي تكوّن في عدن وبين محاولات التنظيمات السرية الأخرى التي نشأت في شمال الوطن ؟

س٢٣ ـ هل لديكم معلومات أو وثائق عن وجود عملية تنسيق مباشرة أو غير مباشرة بين نظام الإمامة وسلطات الاستعمار البريطاني في عدن حينئذ لتفتيت حركة المعارضة من حيث :

ـ التخوّف من نموها كحركة يمنية موحدة .

ـ إعاقة أي إمكانية لوحدتها الفكرية والسياسية .

ـ ممارسة بعض الضغوط السياسية الخاصة لتحقيق مصالح كل من الطرفين المذكورين .

ثورة ٤٨ وظروف الفشل :

س٢٤ ـ أين كنتم عند قيام ثورة ١٩٤٨ ؟ وما هو الدور الذي قمتم به أثناء الثورة ؟

س٢٥ ـ هل تتذكرون الظروف التي أدّت الى نشر الميثاق المقدس قبل قيام ثورة ١٩٤٨ ؟ وما هي ردود الأفعال التي حدثت في صنعاء (من جانب السلطة الإمامية من ناحية ، والأحرار من ناحية أخرى) ؟

س٢٦ ـ هل تتذكرون الصورة العامة لمجرى أحداث ثورة ١٩٤٨ منذ قيامها حتى انهيارها ، وما هي العوامل الذاتية والموضوعية للفشل في نظركم ؟ (مع ذكر ردود الفعل على مستوى سلطة الأئمة ـ على مستوى الحركة الوطنية ـ وعلى المستوى الشعبي بصورة عامة) .

س٢٧ ـ ما هي معلوماتكم عند أحداث نهب مدينة صنعاء بعد فشل ثورة ١٩٤٨ ؟ وهل تعرّضت مدن أو مراكز أخرى لأحداث مماثلة ؟

س٢٨ ـ ما هي معرفتكم الشخصية بالشهداء قبل وأثناء ثورة ١٩٤٨ ؟ (توضيح ظروف استشهادهم والمزايا التي كانوا يتمتّعون بها ، ومواقفهم) .

س٢٩ ـ هل تتذكرون أي معلومات عن الأحرار الذين تعرّضوا للسجن قبل وبعد فشل ثورة ١٩٤٨ ؟

س٣٠ ـ هل هناك صورة في أذهانكم عن فترة السجن بعد فشل ثورة ١٩٤٨ ، وما هي التطورات السياسية والفكرية التي كوّنها الأحرار عن التجربة في فترة السجن ؟

س٣١ ـ هل وجدت أيّ علاقات بين الأحرار في السجون وبقية الوطنيين خارج السجن بعد فشل ثورة ١٩٤٨ ، وما مدى تأثير هذه العلاقة على استمرار العمل الوطني ؟

س٣٢ ـ ما هو الأثر الذي تركته ثورة ١٩٤٨ على مسيرة الحركة الوطنية حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ م ؟

س٣٣ ـ هل نشأت تنظيمات أو تجمعات سياسية جديدة للمعارضة بعد فشل ثورة ١٩٤٨ ، وأين ؟ وما هي أهداف ونشاطات تلك التنظيمات ؟ وهل لديكم معلومات عن قيادة التنظيمات المذكورة وتشكيلاتها ؟ وما هو دوركم الشخصي فيها ؟

حركة انقلاب عام ١٩٥٥ ، والانتفاضات القبلية :

س٣٤ ـ إذا كنتم من المشاركين في حركة انقلاب عام ١٩٥٥ فهل لديكم معلومات أو وثائق عن مراحل الإعداد لهذه الحركة وأهدافها ؟

س٣٥ ـ كيف حدثت حركة انقلاب عام ١٩٥٥ ؟ وما هي الجماعات المشاركة في تنفيذ الحركة ؟ (من العسكريين ، العلماء ، القبائل ، والتجار ، والسياسيين وغيرهم) ، وما هو دوركم الشخصي في الحركة ؟

س٣٦ ـ ما هي معرفتكم الشخصية بالأحرار الذي استشهدوا بعد حركة ١٩٥٥ ؟ (مع ذكر ظروف استشهادهم ومواقفهم) .

س٣٧ ـ ما هي عوامل الضعف والفشل التي رافقت حركة انقلاب عام ١٩٥٥ ؟

وما هو تقييمكم الشخصي للحركة ؟

س٣٨ ـ هل أثرت تجربة حركة انقلاب عام ١٩٥٥ في تطوير أهداف ووسائل الحركة الوطنية اليمنية حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ؟

س٣٩ ـ ما هي العوامل والمؤثرات المحلية والعربية الأخرى التي أثرت على اتجاه الحركة الوطنية اليمنية بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٦٢ ؟

س٤٠ ـ ما هي معلوماتكم وعلاقاتكم بالأحداث الآتية قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ :

- انتفاضة قبائل حاشد عام ١٩٥٩ .
- انتفاضة قبائل خولان ونهم .
- محاولة اللقية والعلفي والهندوانة لاغتيال الامام أحمد عام ١٩٦١ .
- حادثة حسن سعيد فارع .
- المظاهرات الطلابية قبل قيام الثورة .
- أي انتفاضات قبلية أو أعمال فدائية أخرى . . تذكر .

س٤١ ـ ما هي الأحداث والمراحل الحاسمة في تاريخ نضالكم على المستوى الشخصي من ناحية وعلى مستوى تاريخ النضال العام (مع ايضاح المبررات) ؟

س٤٢ ـ هل لديكم وثائق مكتوبة أو مذكرات شخصية حول تاريخ الحركة الوطنية وتاريخ الثورة ؟

س٤٣ ـ اذا كانت الأسئلة السابقة لا تغطي المعلومات التي لديكم حول تاريخ ثورة ١٩٤٨ وحركة ١٩٥٥ والانتفاضات القبلية والطلابية ، نرجو كتابة ما لديك من إضافات تحت عنوان :

معلومات وملاحظات اضافية .

ملحوظة :

الاستمارة التي سبق توزيعها في ندوة تاريخ الثورة اليمنية اعتبرت كمشروع وقد أعدت هذه الاستمارة بعد التعديل .

يونيو ١٩٨٤ م .

الجمهورية العربية اليمنية
مكتب
القائد العام ورئيس الوزراء

الأخ الكريم الوفي السيد الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة الأفخم
تحية تقدير وحب وإخاء

لقد كنت بعثت إلى سيادتكم برقية بواسطة السفارة العربية بصنعاء مشيراً إلى بعض ما أثاره الدكتور عبدالرحمن البيضاني من مشاكل التي أوشكت أن تفقد كيان الثورة مباشرة، نتيجة الكثير من التصرفات غير المسؤولة ولا تقدير للمسؤولية والظروف التي تمر بها البلاد في ضغط الرجعية الحرجة ومن تعب الحركة السافرة والشرسة مع قوى الرجعية والاستعمار ..

ونظراً لأن الموقف نتيجة ذلك قد بلغ الدرجة التي لا يمكن معها التغاضي بعدما قد تحملناه من صبر كاد أن يؤدي بالبلاد إلى هوة سحيقة، وأن يكن للرجعية من تحقيق أغراضها بضرب الثورة وإعادة البلاد إلى الظلام من جديد والتربع على عرش الملك البغيض، فقد وجدتني مضطراً وللأسف الشديد إلى اتخاذ الخطوة التي لا بد منها تجنباً لما يأتي به الغير محمود وتداركاً لسلامة الوضع من الانهيار وتصدع الصفوف وذلك بأبعاد الأخ البيضاني عن الميدان حرصاً على سلامة البلاد و... سلامة هو نفسه، واسمحوا لي يا سيادة الأخ أن أوجز لكم بعض النقاط التي أدت إلى اتخاذ مثل هذا القرار :

١ - : حاول الرجل منذ الأيام الأولى للثورة أن يعمل على تركيز شخصيته بتكتل جماعات وقوى من حوله وإعطائها الكثير من فرص الظهور والمناصب مما أدى إلى زعزعة الوحدة الوطنية وتخلخل الصفوف وارتباك حركة السير الثوري ..

٢ - : عندما ظهرت بعض المشاكل مع القبائل حاول أن يستغل الصلاحيات التي أعطيت له باتخاذ إجراءات وتصرفات أدت إلى توسع هذه المشاكل وتعقيدها مما كلف الدولة الجهد الكبير مادياً ومعنوياً لمواجهة وإيقاف كمشكلات هزلات ..

٣ - : عمل الرجل على العبث في صفوف القبائل وذلك باستمالة بعض المشايخ من مناطق مختلفة وأغدق عليهم الكثير من النفقات والسلاح والعربيات من ميزانية الدولة الأمر الذي دفع المشايخ الآخرين إلى النقمة والحقد على الثورة وعلى رجالها ومن ثم معاداتها ومعاداة النظام الجمهوري ..

٤ - : رغبة في تركيز شخصيته عمد دون تقدير للمسؤولية إعلان رفع مستوى المعاشات لعموم موظفي الدولة والقوات المسلحة إلى درجة لم تكن متوقعة من قبل الموظفين أنفسهم، في حين أثار استغراب الموظفين الذين يعرفون أن ميزانية الدولة لا تتحمل مثل هذه المسؤوليات الأمر الذي جعلهم يشعرون أن الثورة

رسالة المشير السلال الى الرئيس عبدالناصر

وحكومتنا تعمل بدون خوف ولا تقدير للمسؤولية ، مما أوجد لديهم نوعاً من اليأس وعدم التماسك .. ثم بالتالي عندما أدرك الرجل استنزاف ما تبقى في خزينة الدولة عمد إلى تغطية هذا الوضع بفرض ضرائب كثيرة على المستهلكين مما أثار سخط واستياء الرأي العام ،

٥ — : نتيجة لما أحس به الرجل من سخط الرأي العام عليه كنتيجة لتصرفاته من الظلم وانعدام المؤيدين والمساندين له عدى من كانت لهم أغراض ومصالح يستغلونها من ورائه ، عمد إلى تدعيم مركزه بوسائل غير شريفة ولا وطنية كإثارة النزعة الطائفية وذلك بتفسيره بين من يسميهم بالشوافع بأن السخط الموجه إليه إنما هو لمجرد كونه (شافعي) وأن هذا الشعور موجه ضد كل الشوافع وأن حكومة الثورة تعمل كما يقول على إضعاف مركز الشوافع وتقوية مركز الزيود ، وأن على الشوافع أن يتكتلوا ضد هذا الخطر الذي يهدد كيانهم ، وحتى لم يتورع من استخدام مثل هذه النغمة في مجلس الوزراء نفسه وبين الوزراء أنفسهم .. ومن جهة ثانية حاول أن يستخدم النغمة العنصرية موعزاً إلى فئة أخرى من المجتمع أن هذا السخط الموجه نحوه إنما هو نتيجة كونه قحطانياً ولأنه كان يهاجم الهاشميين في أقواله ومقالاته ..

٦ — : لقد عمد الرجل إلى العبث بالجهاز الإداري للدولة وذلك بإبعاد موظفين من وظائفهم أو تنزيل البعض من درجاتهم ليضع مكانهم أشخاصاً من أنصاره ومن يسخرون أنفسهم لخدمة أغراضه ، فكانت النتيجة وجود فوضى إدارية كبيرة عطلت انتظام سير العمل في الجهاز الحكومي ..

ونتيجة لكل هذه التصرفات وكثير غيرها لا يتسع المجال هنا لسردها واجهت حكومة الثورة الكثير من المشاكل والمتاعب مع القبائل والمدنيين والموظفين ، كما تحملت المضاعفات الكثيرة في الموقف العسكري ، كما عانت وتعاني انهياراً وعجزاً في الوضع الاقتصادي وصراعاً طائفياً وعنصرياً من شأنه أن يضعف الشعب وقوات الثورة على اختلاف فئاتها ، ونظراً لكل ما تقدم ولاعتقادي العميق بأنكم أول من يحرص على سلامة وكيان هذا البلد وانتصار أهداف الثورة ، وبأنكم لا يمكن أن ترضوا بأي حال من الأحوال بالتضحية بمصير هذا البلد وثورته من أجل شخص أو أشخاص مهما كانوا .. ولأنه لا مجال لاحتمال المزيد من مضاعفات هذه المشاكل وتعقيدها .

كان القرار بإبعاد الرجل بصورة شخصية آملاً أن تتولوا أنتم من جهتكم إبلاغ الأخ العزيز نتيجة البقية ..

وبهذه المناسبة لا أكتمكم أن الموقف العسكري يتطلب منا تعزيزات ، فإننا نواجه في هذه الأيام أصعب مشاكلنا ، تتطلب منا المزيد من القوات والمزيد من الاستعدادات لمواجهة هذا الموقف الحرج ؛ وستعرفون حضرتكم ، رسالة بعد البيضاء فيها أرجو أن تقرروا ما فيها عن الموقف العسكري فقط هو الحقيقة ؛ أما بالنسبة لشخصياً فرجائي أن تهتموا بهذه الرسالة التي يحملها العميد محمد الجرموزي ،

والحق أيها الأخ الكريم أنني شخصياً والشعب العربي في اليمن لا يمكن أن ننسى لسيادتكم ولحكومتكم ولشعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيق موقفكم ومساندتكم العظيمة وجهودكم الكبيرة إلى جانب ثورتنا وتضحياتكم الجسام في سبيل نصرة الحق والعدل والحرية وتحقيقها في بلادنا وفي سبيل العروبة جمعاء .. كما أن التاريخ لن ينسى لكم هذه المواقف المجيدة المشرفة والتي ستظل دائماً رمزاً للوفاء والكرم والبطولة ،

ختاماً يا سيادة الأخ ورغبة مني في إنشاء وتوثيق علاقاتي الأخوية الشخصية بكم أرجو أن تكلفوا لوضع مفتاح شفرة خاصة تكون بيني وبينكم ويتم عن طريقها الاتصال المباشر بيننا ، ورجائي أن ترسلوها مختومة إلى الأخ العميد محمد الجرموزي مع أطيب الشكر والحب والثناء ..

والله أرجو أن يمدكم بعمر مديد ونصر مؤزر وصحة طيبة وأن يشد بكم ساعد العروبة وينصر بكم كل مناضل من أجل حقه وحريته ودمتم ٢٢/٨/١٣٨٢م

أخوكم

عبدالله السلال
رئيس الجمهورية العربية اليمنية
والقائد العام للقوات المسلحة

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

سيادة الأخ الرئيس عبدالله السلال

رئيس الجمهورية العربية اليمنية ـ صنعاء

أحييكم أطيب تحية ، راجيا من الله أن تكونوا فى أحسن حال ، وبعد

لقد اجتمعت بالسيد الدكتور عبدالرحمن البيضانى الذى حمل الىّ رسالتكم وبالنقيب حمود بيدر عضو مكتب العمليات العسكرية ، ولقد استعرضت معهم وجهات نظركم ، وانى على ثقة من انكم تعلمون تمام العلم أن الاوضاع فى الجمهورية العربية اليمنية تستأثر بفائق اهتمامى لأننى أقدر أننا لسنا مسئولين فقط أمام الشعب العربى فى اليمن أو فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى سائر أجزاء الوطن العربى ، وانما تمتد مسئوليتنا عبر التاريخ الى الأجيال القادمه من بعدنا ، والتى ستعرف أن المرحلة التى نمر فيها الآن هى مركز التحول فى التاريخ العربى كله ، وستحكم على تصرفاتنا وكل حركة منا بقدر ماتحققه هذه التصرفات من أثر على النضال الخالد للشعب العربى وعلى الأهداف التى آمنا وارتبطنا بها .

لقد حقق الشعب العربى فى اليمن ، بثورته على الرجعيه ، قفزة رائعة فى طريق النضال الطويل ، لذلك آلينا على أنفسنا ـ منذ اللحظة الأولى التى قامت فيها هذه الثورة ـ أن نحافظ بكل مانملك من جهد على هذه القفزة وأن نحول دون عودة عجلة التاريخ الى الوراء . ومن أجل هذا وضعت الجمهورية العربية المتحدة كل امكانياتها لمساندة شعب اليمن ، ووقف أبناؤها جنبا الى جنب مع اشقائهم فى اليمن يبذلون ارواحهم ودماءهم لتحقيق النصر والحرية للقومية العربية وللقضاء على الرجعية وأعوان الاستعمار وأذنابه .

(يتبع)

جواب الرئيس عبدالناصر

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

وانى أود أن أؤكد لكم أن الناحية العسكريه فى معركة اليمن لاتشغل بالى بقدر ماتشغله الناحية السياسيه منها .

ان المعركة العسكرية واضحة المعالم ، والهدف فيها محدد ، وهى وان طال أمدها الا أن النصر فيها باذن الله الى جانبنا ، وقبل وصول وفدكم بيومين صدرت الأوامر بتحريك قوات جديدة اليكم ، وتحركت هذه القوات بالفعل تسبقها تعليمات المشير عبدالحكيم عامر لاعادة توزيع كافة القوات فى اليمن ، بحيث أصبحت كفتنا راجحه فى الميدان فى مواجهة أى احتمال ، تحقيقا لتعهدنا السابق بمسئوليتنا عن المعركة العسكرية .

وهكذا ترون أن المعركة العسكريه لاتشكل أية خطورة على الموقف فى اليمن وانما الخطورة الجديه تكمن فى الموقف الداخلى وحده . ان اعداء الثورة الآن لايأملون فى انتصارهم العسكرى ، بل لا أغالى اذا قلت أنهم يعلمون انهم يخوضون معركة عسكرية خاسره ولكنهم يطيلون فى أمدها متطلعين الى حدوث مايأملونه من انشقاق داخلى ، الأمر الذى يبدو بكل وضوح من اذاعاتهم ومن اطلاعهم على كل دقائق اختلافاتكم الداخلية ويتخذون منها مادة لبلبلة الأفكار حول استقرار الأوضاع فى الجمهورية العربية اليمنية .

وفى تقديرى أن حماية الثورة فى اليمن واستمرار بقائها يجب أن يكون الهدف الأول دون أى اعتبار آخر . ولن يكون ذلك سهلا بل لن يتأتى الا اذا أصبح الشعب كله فى الداخل يمثل ارادة واحده ويتجه الى هدف واحد يسانده جيش يمنى قوى يحمى أهداف الثورة ويصون مكاسب الشعب .

(يتبع)

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

وليس ممكنا - في رأيي - أن تتحقق وحدة الشعب مالم تتحقق الوحدة الفكرية والروحية بين قادته ، فان مجرد قيام خلاف أو انقسام بين أشخاص القادة لأمور شخصية - أو حتى عقائدية - سرعان ما ينعكس أمره على وحدة الأمة ويؤدي الى التفرقة والانقسام وضياع الثورة . وهذه هي الفرصة التي يتحينها عدو الثورة فلا تتيحوها له .

انها الآن مسئوليتكم الكبرى أمام الشعب العربي وأمام التاريخ ، دعم الثورة وتثبيتها على أساس سليم . لأن انتصار الثورة اليمنية هو بلا شك نصر للشعب العربي في كل مكان ، وهو نصر للقومية العربية وتدعيم لكيانها .

ونحن من أجل هذه الغاية ، وضعنا كل امكانياتنا بحكم لانجاح ثورة اليمن وتحقيق أهداف شعب اليمن ، الا أننا لانريد أن يكون لنا دخل في أموركم الداخلية ، ولقد حرصت على ابلاغكم ذلك من أول وهلة ويهمني الآن ان أعود فأؤكد لكم ذلك ، وعلى هذا الأساس ما أن وصلتني رسالتكم - التي حملها الى العميد محمد بن محمد الجرموزي والخاصة بالدكتور البيضاني - حتى كلفت السيد أنور السادات بتبليغ مضمونه الى الدكتور البيضاني .

ان خط سياستنا الأساسي أننا بكل امكانياتنا مع ارادة الشعب لتحقيق أهدافه وفي هذا السبيل لانقف وراء شخص أو أشخاص بأي حال من الاحوال ، وانما نحن وراء المبادئ والأهداف التي رفعناها والتي آلينا على أنفسنا أن ندعمها ونحارب

(يتبع)

الجمهورية العربية المتحدة
الرئيس

من أجلها ، وان أبناءنا الذين يخوضون المعركة العسكرية الآن في اليمن يعلمون انهم يدافعون من ثورة اليمن وعن ارادة شعب اليمن وعن أهداف شعب اليمن ويعلمون ان انتصار الثورة اليمنية هو انتصار لنا وللقومية العربية .

أسأل الله أن يوفقكم في تحمل مسئولياتكم وأن يعينكم على مقدراتكم وأن يكتب لنا النصر في كفاحنا المشترك لتحقيق أهداف الشعب العربي وحماية العروبة وقوميتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

القاهرة في ٢٣ يناير سنة ١٩٦٣

فكافحه الاحرار والزعيم وظل كذلك ابنا بارا عشر سنوات تقريبا
جاء هذا الرجل الان الينا فجأة وقدم مع الاحرار الكبار من الاقطار وصار
يتحدث عن الطرق التي تزعمه الخيانية وكانت الفكرة الوحيدة التي تثار الآن هي
ثورة القحطانية هذا الاشيء لانه يعرف ان لا انقاذ الا بتحسين [illegible]
وقد خارت السلطة في موقفه لانه فرفضه [illegible] وتأكيدا للشقة به
وكلامه [illegible] احبكم من اهل القضية الا من في الخارج فلم يتعرفنا حتى
ولم يتعاونا مع الوزنا [illegible]

انه ان [illegible] انني هو ادمل النهب وفرصة للانخداع والتغرير
اشدان [illegible] وقد رفضت التعاون مع البيضاني الآن هو وربالخصوص الولايات
العامة واخيرا [illegible] الجميع وقد اتفقوا على رأيي وقرروا عدم التعاون مع
هذا الرجل الخطير وقررنا بالاجماع ابعاده عن جامعتنا وحاول فرأنا ان
يتقنعنا بالتعاون فكررنا الرفض لما ررنا فيه [illegible] بيننا وبينه طريقه
جدا

هذا تعاوننا معه في السابقة تعاونا سطحيا كان يشترط الوحي ان يكون
الاتفاق بالداخل من حظر اختصاصه وحده ولم يتقرر الخطة السرية
للاسلحة والتخطيط وكان نرجو منه ذلك هو حصانة اسماء الاحرار واسرارهم
وابعادها عن مخاطر التسحب السابق وكشفوا للعهد وكبير منا كشخص [illegible]
ولكن البيضاني راجع [illegible] ظاهرة وتعاطى مع [illegible]
فلما تشجعوا باحرار الداخل دون علم ثم اختلفوا بعد ذلك وخادعوا البيضاني
تحت بيانه ثم اتقروا ربيه كلما اشتكى دون علم ثم عرفت الحكاية بعد ذلك
وما شئت الجميع واتفقوا الجميع بعد الفنا الاوتاد والغيث له وانبعاث الامل في الثورة
اتفقنا جميعا على التخلص من البيضاني نهائيا [illegible]
ولكن البيضاني لما قام العنصر التاريخية والقدرته على التظاهر والخداع استطاع
ان يخدع المسؤولين الكبار في الجمهورية العربية وهم لا يدرون تاريخه الذي شيئا
ثم اعلن ثورة القحطانية هذا الاشيء ليخدع الشعب ويخدعكم أنتم ويستغل بكم
منفردا ثم يخدع المسؤولين في القاهرة ويوهمهم انه اصبح قائد الحركة وانا الرجال [اليمنيين]
تصدرنه مع وحدة ونثقون به ولا يثقون بنا وهكذا سلسلة من الخداع

صفحة من رساله الزبيري الى القاضي صبره وزملائه

الولد العزيز الاديب الكبير والباحث المنصف المقتدر الدكتور عبد العزيز
المقالح حفظه الله   والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وفاءً بالوعد اليكم نص البيعة بولاية العهد للبدر لافتا
النظر الى انا صدرناها بالادلة على مشروعية ولاية العهد وهو
ما يرفضه المذهب الزيدي الذي كان يتعصب الامام احمد
لمخالفته بغية تشجيعه على المضي في تنفيذ الخطة مع اعتقادنا
بان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك الأمر شورى بين المسلمين
وقبل أن أسجل نص البيعة انبه قبلها ما وجدته مسجلاً
في آخرها وهو ما لم اسجله في الردود الأولى إذ كنت قد أُنسيته
وهو انه بعد ان أمر الامام بارسال البيعة اليه ليكف عن العمل
لتأييدها وصل السيف الحسن ووصل قبله مجموعة من سيدات
الأسرة يولولن ويبكين لان الدستوريين الذين قتلوا الامام
يحيى ما قصدوا الا الفتنة وتمزيق الأسرة ولما قال الحسن انه قد
منعنا عن الخوض في الموضوع واخذ البيعة ورقاً فقال الأمير
الحسن ولكنهم لا يزالون يطلقون عليه صفة ولاية العهد في
كلامهم ومحرراتهم وكان احمد الشامي قد رفع قصيدة يقول
فيها مخاطباً للبدر:

إذا لم تكن أنت الخليفة بعده   وفاءً وشكراً بالجزاء محتما

صفحة من رسالة القاضي الإرياني الى الدكتور عبدالعزيز المقالح

من كل خطوة يخطونها، فهذا اذا لم يكن اليأس قد اصاب بعضهم وقضى على
الأمل في نفوسهم، وجعلهم يسلمون بالأمر الواقع رغم ارادتهم. ولكن الجذوة
الوطنية التي كانت تتفاعل في اعماقهم وتوقظهم في بعض الأوقات حتى يستيقظون [illegible]
الثورة فاندفعوا يؤدون الواجب بكل عزيمة وصدق واخلاص وهم مبهورون وغير
مصدقين بأنهم يعيشون الحلم الذي عاشوه ولاقوا من اجله الكثير، وانا اعذر هؤلاء الذين
لم يجربوا، لأن الذي لم يعش في سجون الأئمة ولاسيما سجن نافع بحجة ولم يعرف زنازينه
المضغوطة الشداد ولو فترة قصيرة، لايمكن ان يقدر ما نزل بهؤلاء من ويلات، وعلى
كل حال، بينما تصيب الشدائد بعض الرجال فتزيدهم قوة وصلابة وعنادا واصرارا
فان البعض الآخر من هؤلاء الرجال بحكم الضعف البشري ترتسم هذه الشدائد
في مخيلاتهم وتسيطر بين فترة واخرى فتزيدهم عزلة وخوفا الى الواقع الأليم
هذا وقبل ان اختتم رسالتي اليك يادكتور يامن بقيت على عهدك ووعدك مع الأحرار
احب ان ابلغك وانبه القارئ بأنني وقد تشرفت بقيادة ثورة سبتمبر المجيدة، فانني
كنت اول رئيس للجمهورية بعد حكم الأئمة الذي استمر مئات السنين مقرونا بالمذهب والعقيدة
الدينية ومرتبطا بآل البيت الذي استغله بعض هؤلاء الأئمة واباحوا لأنفسهم كل ما يمكنهم
به تثبيتا من تخريب ونهب واستباحة واقتراف. ومن عرف الإمام يحيى حميد الدين وشحه وبخله
وما اقترفه في حق شعبنا من الجور والظلم والشدة والقسوة والوحشية، وكذلك من عرف
ابنه الإمام احمد الذي كان مولعا بسفك الدماء والمذابح الرهيبة في حق الأحرار
والثوار، ومن قرأ كتاب ابن الأمير وعصره وهو ذلك العالم الفاضل الجليل
وكيف وصف الأئمة في عهده وما اقترفوه في حق هذا الشعب فانه سوف يوافقني
ويتفق معي على ان البعض من هؤلاء الأئمة كانوا سوطا وعذابا ونقمة على المحكومين
وعلى الأئمة الذين حاولوا ان يصلحوا احوال العباد والبلاد ولكنهم ذهبوا ضحية هؤلاء
القساة العتاة.
هذا ولا يغيب عن بالكم وبال القارئ اللبيب، بأنه بعد ان تطورت المعركة
الحربية بين الجمهوريين والخارجين عليهم، ثم وصول الجيش المصري وقياداته الذين
قبلوا نجدتنا والوقوف الى جانبنا وخضنا معهم اشرف المعارك البطولية، كان
يوجد بين هؤلاء الأبطال كما يوجد في كل شعب افراد موتورون وحاقدون

صفحة من رسالة المشير السلال الى الدكتور عبدالعزيز المقالح

الجمهورية العربية اليمنية

[illegible]

التاريخ ______
الرقم ______
الموضوع ______
المرفقات ______

بالشفرة من المشير للجمهورية المتحدة

سيادة الأخ الرئيس جمال عبدالناصر
تحية جمهورية وبعد بلغتني من المخابرات العربية بصنعاء
معلومات خطيرة [illegible]
ان البيضاني يتصل بالرجعيين [illegible]
ويدفعهم للاتصال بالسعودية والأجنبية [illegible]
على الانفصال [illegible] بأنه سيكون [illegible]
سلطة الجنوب حتى اخذ الرجعيون [illegible]
[illegible] الجمهورية الضعيفة والتنكيل [illegible]
[illegible] ثبت من بعد ان البيضاني
يتصل ببعض الوزراء ويحاول خلق المشاكل
ولكني لم اصدق حتى تلقيت تقارير من المخابرات
العربية [illegible] وهذا [illegible]
[illegible] على علم [illegible] هذا الحاقد [illegible]
[illegible] وطنه [illegible] اخوكم
[illegible]
رئيس الجمهورية اليمنية

٢٦٢

صورة برقية من المشير السلال الى الرئيس عبدالناصر

[illegible] الشفرة اللاسلكي مستعجل

رئيس الجمهورية القائد العام صنعاء ، حياكم الله

ثبت عندنا أن الدكتور البيضاني اتصل بآل الرصاص للقيام
بأعمال تخريبية وأخذ ما يوجد من أموال الدولة من مركز ناحية السوادية
وناحية الطفة ومركز الصومعة من حبوب وسلاح وقد نقلوا بعض
ذلك إلى مقرهم مسورة وهم يتجمعون هناك ويكاتبوا
لبعض القبائل المجاورة لهم كما اتصلوا بشريف بيحان
ووصل إلى بيحان ابن الرصاص علي بن حسين وعاد ومعه سلاح
ويخططون للانطلاق من ثلاث مناطق هي ناطع ومسورة
والطفة ليقطعوا الطريق على البيضاء [illegible] أملهم وقد
اتصلنا بمشائخ آل حميقان وهم ضد الرصاص ويشكون قوة مؤيدين
الثورة والجمهورية وإنا نتابع حركاتهم باستمرار وقد زودنا بعض
المراكز بما أمكن من القوة والجنود ولا شك أن [illegible] يخططون لعمل تخريبي في مناطق
البيضاء كما نزود لبعض مناطق حرب بالسلاح ونعد كما إرسال حملة
إلى [illegible] ضريبة وجهزنا رسائل إلى كافة قبائل الطفة والسوادية بأن
[illegible] الاستعداد لكل الموقف [illegible] والحماس عند الجميع ممتاز
وكتبت للمعلومية والسلام عليكم

أمير لواء البيضاء

[illegible] جمادى [illegible]

وزير الإعلام

صورة برقية من الأستاذ علي الأحدي وزير الإعلام الى المشير السلال



الأخ الرئيس القائد الأمين العام المقدم علي عبدالله صالح يفتتح ندوة التوثيق الموسعة



المشير السلال في ندوة التوثيق مع عدد من المشاركين

الرئيسان السابقان المشير عبدالله السلال والقاضي عبدالرحمن الأرياني والدكتور المقالح في ندوة التوثيق



المشير السلال في ندوة التوثيق الموسعة



عبدالسلام صبره في ندوة التوثيق

المشير عبدالله السلال القاضي عبدالرحمن الأرياني القاضي عبدالسلام صبره بندوة التوثيق الموسعة

(تعريفات)

من رموز الحركة الوطنية

« المشير عبدالله السلال »

- من مواليد ١٩١٨
- من أسرة متوسطة الحال كالكثير من أبناء اليمن .
- دخل مدرسة الأيتام ، وأكمل دراسته فيها .
- التحق بالمدرسة الثانوية بالحديدة ، واستمر في الحديدة مع زميله أحمد الحورش ، ولم تطل بهما المدة ، فقد حدثت الحرب اليمنية السعودية مما دعا أكثر الطلبة الى التوجّه نحو صنعاء . وهنالك التحق المشير بالصفّ الثاني الثانوي الذي فتح في مدرسة الأيتام حيث استمر المنهج الذي كان يدرس في الحديدة حتى سنة ١٩٣٦ ، ثم اختير عضواً في البعثة التعليمية ، ومنها توجه الى العراق حيث التحق مع زملائه الفريق العمري واحمد المروني واحمد طاهر ومحمد الريدي بمدرسة (سلاح الاشارة) . وبعد سنتين في العراق تسلّم الشهادة العسكرية برتبة ملازم ثانٍ وعاد مع زملائه الى صنعاء في مطلع ١٩٣٧ م حيث عُيِّن رئيساً ومدرباً لحرس الإمام يحيى ، واستمر فيها لمدة سنة ، ثم نُقل الى سلاح الاشارة في الجيش المظفر وخلال السنتين كان قد اشتغل بالعمل الوطني مع زميليه البراق والمروني ، حتى اذا انكشف امرهم زُجّ بهم في سجن القلعة فقضوا هناك قرابة ثمانية أشهر ، بدعوى نشرهم أفكاراً غريبة ، لا سيما وانهم كانوا يحاضرون ويشتركون في التدريس في المدارس الثلاث القائمة

آنذاك (الأيتام ، الاصلاح ، الاشارة) . وبعد إطلاقه من السجن عاد فعمل في الجيش ، حتى إذا كان عام ١٩٤٠ زُجّ به مرة ثانية في سجن القلعة مع مجموعة كبيرة من الأحرار ، منهم زملاؤه الحورش ، ومحيي الدين العنسي ، وأحمد المروني والبراق ، بتهمة مناهضة الحكم وإلقاء منشورات محرّضة ضد حكم الإمام يحيى . وبعد أربعة أشهر أطلق سراحه ليلتحق مرة ثانية بالجيش الذي استمر فيه حتى قيام ١٩٤٨ حيث تم اعتقاله مع بقية الأحرار الوطنيين فقضى سبع سنوات خرج بعدها من السجن مع زملائه ، وتوجّه الى صنعاء وبقي مدة بلا عمل . ثم عَيّنه البدر رئيساً لحرسه واستمر حتى دُعي الى الحديدة ليعمل فيها مدبراً لميناء الحديدة ، واستمر الى عام ١٩٦١ عندما نقل الى صنعاء ليعمل رئيساً لحرس البدر ، حتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) ، وأصبح أوّل رئيس للجمهورية العربية حتى قيام حركة ٥ نوفمبر « تشرين الثاني) ٦٧ م . . .

« القاضي العلامة عبدالرحمن بن يحيى الإرياني » رئيس المجلس الجمهوري

- ولد في جمادي الأولى ١٣٢٨ هـ/ حزيران ١٩١٠ في حصن ريمان المطل على هجرة أريان في بني سيف العالي ، ناحية القفر ، محافظة إب . درس على يد العلامة عبد الواسع بن محمد الإرياني ، وقد قرأ عليه القرآن ومبادىء العلوم الدينية واللغوية والبلاغية والمنطقية . ثم درس على والده في مختلف العلوم ، ولما أقيمت المدرسة العلمية عام ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦ م . التحق بها وأخذ على شيوخها ، ومنهم القاضي عبدالله بن محمد السرحي ، والسيد أحمد بن علي الكحلاني ، والعلامة أحمد عبدالله الكبسي ، وعلي محمد قصة ، والعلامة عبد الخالق الأمير ، والقاضي أحمد العمري ، والأساتذة لطف الفسيل ، وحسين عبد الواسع الواسعي وغيرهم . . ولم تكن مناهج المدرسة تختلف عن مناهج الدراسة في الجوامع والهُجَر ، ثم درس على والده في أريان ثم في صنعاء ، حيث كان يعقد حلقة تدريس في جامع الفليحي يدرس فيها كتب السنّة وشروحها لمجتهدي اليمن كالوزير والمقبلي والجلال والأمير الشوكاني .

والده هو يحيى بن محمد بن عبدالله الإرياني - عالم مجتهد يعمل بالدليل

ويندب طلابه إلى الاجتهاد، تولى القضاء في إب ١٣٣٧ هـ . وهو تاريخ دخول الإمام يحيى صنعاء واستيلائه على البلاد، وبدأ انسحاب الأتراك من اليمن في أعقاب الحرب العالمية الأولى في ١٩١٨ م وانفصل عن القضاء في إب ١٣٤٦ هـ . وفي عام ١٣٤٩ استدعاه الإمام الى صنعاء وعيّنه عضواً في الاستئناف ، ثم عيّنه رئيساً للمحكمة الاستئنافية العليا حيث تقلّد هذا المنصب زهاء اثنتي عشرة سنة حتى وفاته رحمه الله في أواخر عام ١٣٦٢ هـ .

عُيّن حاكماً في قضاء النادرة ، في ١٣٥٥ وهو في السابعة والعشرين من عمره ، ثم عيّن في قضاء العدين . وفي عام ١٣٦٣ هـ اعتقل مع من اعتقلوا . وبعد إطلاق سراحه من معتقل حجة عام ١٣٧٤ هـ عُيّن عضواً في الهيئة الشرعية نائباً لرئيسها العلامة زبارة . ولما تشكلت أول حكومة في عهد الإمام أحمد برئاسة ولي عهده عُيّن وزيراً للدولة، وقد ظل عمله الأساسي في الهيئة الشرعية ، وكان منصبه كوزير للدولة شرفياً .

اعتقل في ١٩٤٨ م وسيق مشياً على الأقدام مقيّداً بالأغلال من إب الى القاعدة مع بقية الأحرار ، ثم سيق الى سجن حجّة وبقي في السجن لمدة سبعة أعوام ، عانى فيها من آلام السجن والمرض الكثير . إلا أنه ظل وبقية الأحرار على اتصال بروافد الحركة الوطنية في عدن . شارك بانتفاضة ١٩٥٥ م وحكم عليه بالإعدام ونجا بأعجوبة نظراً لكون نشاطه صار معروفاً بعد فشل حركة ١٩٤٨ م . شارك مع بقية أحرار ١٩٤٨ م في مساندة ثورة سبتمبر (أيلول) وعُيّن في حكومة الثورة وزيراً للعدل ، ثم تدرّج في عدة مناصب من وزارة العدل إلى عضو في قيادة الثورة الى رئيس المجلس التنفيذي الى نائب لرئيسه وعضو في المجلس الجمهوري الى نائب لرئيس الجمهورية .

في ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) انتخب رئيساً للمجلس الجمهوري حيث ظل فيه الى ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ . وفي هذا اليوم قدّم استقالته الى مجلس الشورى وغادر صنعاء ثم إلى دمشق كبادرة اختيارية لترك اليمن . . وقد غادر صنعاء إلى دمشق في وداع رسمي من قبل رئيس مجلس القيادة ورئيس الوزراء

والوزراء ، كما استقبل في دمشق باستقبال رسمي ، وما زال في دمشق الى الآن .

حقق الكثير من كتب التراث ومن ضمنها كتاب « ترجيع الأطيار » الذي قام بتحقيقه مع الوالد المرحوم عبد الإله الأغبري وهما في سجن حجّة ، وأصدر ملحمة في سجون حجة ، إضافة الى كثير من المؤلفات والتحقيقات منها الأبحاث المسددة في فنون متعددة ، ورسائل التوحيد .

« القاضي عبد السلام محمد صبره »

ولد في صنعاء عام ١٩١٢ من أسرة متوسطة .

درس في « معلامة » الأبهر ، ثم في معلامة توفيق وفي مكتب بئر العزب ، وفي مكتب الفليحي ، ثم انتقل الى جامع صنعاء .

من أساتذته العلامة عبدالله كباس والقاضي علي بن حسن المغربي ، درس في مختلف فروع المعرفة التي كانت تدرس آنذاك ، التفسير ، الحديث ، الفقه ، النحو والصرف ، البلاغة ، وكلّ ما يتصل بعلوم وآداب العربية والتشريع . ومن أساتذته العلامة احمد حسين الطرماح . وقد قرأ بامعان مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ومحمود بن اسماعيل الأمير ، والمقبلي والجلال والوزير ، وكلهم مجدّدون مجتهدون وعلى جانب كبير من التحرّر الفكري والمذهبي .

كان والده مرجعاً علمياً لجميع زملائه من اليمنيين ، وتضم مكتبته نفائس المعارف العامة . وكان يجيد عدة لغات منها التركية والفارسية والفرنسية ، ويجيد خط المسند الحميري ويتقن ترجمته . وقد درس (أي والده) على يد أحد الأتراك المنفيين لمدة اثني عشر عاماً . وكان يربّي أولاده على رفض التعصب والتقليد .

ويشير القاضي عبد السلام في مذكراته وفي بعض أحاديثه إلى أن الفضل في فتح عيون جيله من أبطال ١٩٤٨ يعود الى الشهيد المناضل أحمد المطاع

والمرحوم القاضي عبدالله العزب والى دورهما النضالي والتثقيفي .

وقد عمل منذ البدء في بلدية صنعاء، وتدرّج حتى أصبح رئيساً لها ، إضافة الى قيامه بعمل وكيل عاملها . وارتبط في نضاله لمقارعة غول الإمامة بكثير من مؤسسي حركة المعارضة السياسية ، ومنهم المحلوى والدعيس ورفاقهم الأحرار الذين كانوا يناضلون لخلاص اليمن من ليل الكابوس الامامي ، ومن طغيانه وخرافاته وبطشه .

ومع رفاقه الأحرار تعرّض مراراً للاعتقال والعسف ، فقد اعتقل في ١٩٤٤ في سجن الطاغية يحيى ، وزار مراراً مع الرعيل الأول من الأحرار سجون ابنه الجلاد أحمد ، وسجن عقب فشل حركة ١٩٤٨ ، و١٩٥٥ .

ولا ينسى القاضي عبدالسلام محمد صبره ان يشيد بدور زوجته وأبنائه الذين دفعوا ثمن مواقف والدهم في عهد الإمامة الظالمة .

بعد ١٩٥٥ خرج من سجن حجة ، وعمل رئيساً للبلدية في صنعاء وظل حتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٢ .

وبعد مآسي ٤٨ و٥٥ و١٩٦١ واستشهاد البطلين العلفي واللقية ، ظلّ المناضل صبره من أبرز المناضلين في مملكة (جزر واق الواق) ، ومثّل بصلابته ومبدئيته وصموده المثل العظيم للمناضل الوطني ، كما مثّل همزة الوصل بين قيادة حزب الأحرار والحركة الوطنية في الداخل . وكان الأب الروحي لتنظيم الضباط الأحرار الذين فجّروا ثورة السادس والعشرين من سبتمبر (أيلول) المجيدة .

وكان المرجع لكل رجالات الحركة الوطنية ، فلقد لعب دوراً عظيماً بخبرته وصلابته وصلاته الواسعة بجماهير شعبنا ومختلف قطاعاته وفئاته في رفد تنظيم الضباط الأحرار وفي الإسهام الجدي في إنضاج تجربتهم الثورة الرائعة .

ومهما يكن ، فقد كان المناضل صبره النافذة التي يطلّ منها المناضلون على تأريخ حركتنا الوطنية التي كان واحداً من ابرز رجالاتها المخلصين . وقد

تقلّد عقب قيام الثورة عديداً من المناصب السياسية الهامة تقديراً لدوره العظيم ، فعيّن عضواً في مجلس قيادة الثورة فعضواً في مجلس الرئاسة ، فعضواً في المكتب السياسي ، ثم وزير أوقاف شئون وقبائل في آن واحد ، ثم رئيساً للمجلس الأعلى للمتابعة والذي كان بديلاً لمجلس الشورى ، ثم نائباً لرئيس الوزراء للشئون الداخلية ومستشاراً لرئيس المجلس الجمهوري .

وطوال نصف قرن من الزمان تقريباً ظل عبد السلام صبره أطال الله عمره رمزاً بارزاً في الحركة الوطنية اليمنية متحلياً بنكران الذات ، جامعاً بين وقار المعرفة وبساطة وتواضع المناضل ، ونزاهة وعفة وطهر الثوري الأصيل . . . .

الفهرس

ص

